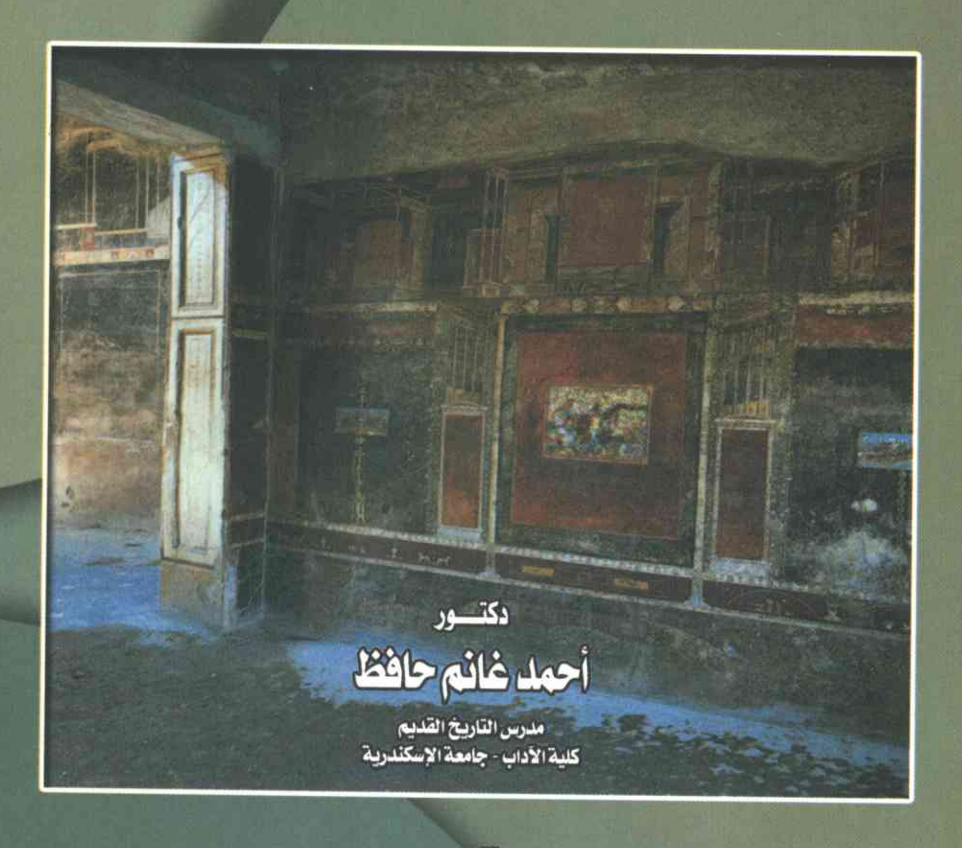
الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار



دكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

حسين أحمد الشيخ

أستاذ التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

الامبراطورية الرومانية

من

النشأة إلي الانهيار



الامبراطورية الرومانية
من
النشأة إلي الانهيار

دكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور حسين أحمد الشيخ

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٢٠٠٧

دار المعرفة الجامعية

للطبع والنشر والتوزيع

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة - الإسكندرية ت : ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ شارع قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية ت : ٥٩٣٢١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« وفوق كل ذي علم عليم »

صدق الله العظيم

الأهداء

إلي أغلي من ضمّني فأحتواني للأبد

والدي رحمة الله عليه

عهداً دائماً بالعمل علي الدرب ليوم اللقاء

شكر وتقدير

يَشرفنى فى هذا المقام أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور حسين أحمد الشيخ على عطائه الدائم وعلى وقته الذى استهلكه فى مراجعة مادة هذا العمل المتواصع العلمية وعلى ما أبداه سيادته من ملاحظات قيمه أفادت البحث والباحث.

كما يسعدنى أن أوجه شكرى الجزيل إلى الأخ الفاضل/ صابر عبد الكريم صاحب منشأة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية على ما أبداه من حماس وعلى ما قدمه من تشجيع كانا سبباً فى ظهور هذا العمل إلى النور.

وإلى صاحبة الفضل الأكبر – زوجتى – شكر دائم موصول على تحملها معى مشقة وعناء إنجاز هذا العمل.

الاسكندرية في ٢٠٠٦/٨/١٣ أحمد غانم حافظ



علي سبيل التقديم

فى هذه العجالة أحاول أن أقدم للقارئ المتخصص، والقارئ المثقف المهموم بقضايا التاريخ فى عمومه، والتاريخ القديم على وجه الخصوص، واحدا من الباحثين والدارسين الشبان الواعدين هو تلميذى وزميلى الدكتور أحمد غانم، الذى تصدى وبجراة الشباب لموضوع يحمل قدراً كبيراً من التعقيد والحساسية والخلاف الشديد فى الرأى ألا وهو عصر الامبراطوريه الرومانية وعلاقتها المعقدة والمتشابكة بالديانة المسيحية وعلاقة الكنيسة نفسها بالإمبراطورية والأراء العديدة حول سقوط هذه الإمبراطورية التى سيطرت فى وقت من الأوقات على كل العالم المكتشف تقريباً.

وقد بدأ الباحث دراسته بفصل تقديمي عن بدايات العصر الامبراطورى فى روما عالج فيه تدهور الجمهورية الرومانية، والذى أدى إلى نتيجة منطقية ومتوقعة هى التحول إلى النظام الإمبراطورى، وظهور شخصية جايوس أوكتافيانوس الذى عرف بإسم «أوغسطس» واصلاحاته فى المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والدينية، كما تعرض لخلفاء أوغسطس من أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية والأسرة الفلافية وعصر الأباطرة الصالحين والأسرة السفيرية.

أما الفصل الثاني فقد خصصه الباحث لاستعراض الفترة القائمة ما بين

حكم الامبراطور دقلديانوس إلى الامبراطور قنسطنطين، وأستعرض فيه اصلاحات دقلديانوس فى المجالات الإدارية والعسكرية والمالية وموقفه من المسيحية، ثم يتطرق إلى ظهور قنسطنطين وتأسيسه للعاصمة الجديدة التى حملت إسمه «القسطنطينية».

وفى **الفصل الثالث** يدخل الباحث مباشرة إلى خضم العلاقة المعقدة والمتشابكة بين الإمبراطورية الرومانية والمسيحية . فيبدأ بإستعراض علاقة اليهود بالمسيحية ثم الصراع العقائدى داخل الديانة المسيحية نفسها، كما يستعرض أشهر القديسين من رجال الدين المسيحيين، وظاهرة الرهبنة، والكنيسة الغربية فى روما برئاسة البابا، والكنيسة الشرقية التى تحولت إلى كنيسة الروم الأورثوذوكس، ثم كنيسة الاسكندرية التى تحولت إلى الكنيسة القبطية الاورثوذوكسية.

أما **الفصل الرابع** فقد ركز فيه المؤلف على وضع الإمبراطورية الرومانية المتأرجح بين المسيحية من جهة وغزوات البرابرة لروما من جهة أخرى، وفيه يستعرض عودة الوثنية مرة أخرى على يد الامبزاطور جوليان المرتد، ثم انتصار المسيحية وسيادتها مرة أخرى، كما يتطرق إلى ظهور قبائل الجرمان والقوط والوندال والهون والتيوتون وغيرهم، وسقوط روما فى الغرب على يد البرابرة ، وإستمراراً فى نفس الاتجاه يواصل الباحث فى **الفصل الخامس** من دراسته استعراض قبائل البرجنديون والأليمانى والفرنجة، كما يتطرق إلى وضع الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية وواحد من أشهر اباطرتها والذى يعد من العلامات الفارقة فى تاريخها ألا وهو الإمبراطور «جستنيان».

وفى الفصل السادس والأخير يستعرض الباحث الأراء المتعددة التى فسرت سقوط الإمبراطورية الرومانية بدءاً من زوسيموس وصولاً إلى توينبى وچونز والتى تعرضت لاحتمالات عديدة من أسباب سياسية وإقتصادية وعسكرية ودينيةورأى شمولى تبناه الباحث كختام لدراسته.

وفى ختام هذه العجالة أرحب بالباحث الجديد عضواً فى مدرسة تتعامل مع الأحداث التاريخية بشكل مختلف، فقد تجاوز مرحلة المؤرخ التقليدى الذى أطلق عليه أزوالد شبنجلر فى كتابه الرائع «سقوط الغرب» اسم «منظف الأترية الأكاديمى» والذى يكتفى بإزالة الغبار عن الحدث التاريخى وعرضه دون أى تدخل منه، إلى مرحلة محاولة قراءة ما وراء الحدث التاريخى وتفسير ما يحيط به من ظروف ودوافع ، مما يتيح فهماً أعمق لمثل هذا الحدث، مما يمثل فى رأى الشخصى مرحلة متطورة فى الدراسة التاريخية، وأتمنى للباحث كل التوفيق فى دراساته القادمة،،

دكتور حسين الشيخ

أستاذ التاريخ القديم بجامعة الاسكندرية



فهرس الكتاب



الفصل الأول

العصر الإمبراطوري المبكر



الفصل الأول

العصر الإمبراطوري المبكر(*)

مقدمة:

اختار الباحث ان يأتى الفصل الأول من هذا المؤلف ليصبح جزءاً اساسياً من موضوع العمل كله. فإذا كان موضوع المؤلف هو الإمبراطورية الرومانيه فى عهدها المتأخر فحرى بالقارئ أن يبدأ بمعرفة ظروف قيام النظام الإمبراطورى اساساً فى روما، أو ما يطلق عليه أسم العصر الإمبراطورى المبكر، وذلك حتى تكتمل الصورة التاريخية عن هذا العصر منذ بدايته وظروف نموه وقوته حتى نهايته، وهى الفترة التى شملت احداثاً كانت فى جزء كبير منها سبباً فى نهايته.

عموماً ينقسم تاريخ روما القديم إلى ثلاثة عصور تقليدية هى:

١- العصر الملكى ويشمل الفترة الأولى منذ ٧٥٣(*) ق.م حتى عام ٥٠٩ ق.م.

٢- العصر الجمهورى Respublica : وهو يستمرمن عام ٥٠٩ ق.م عام قيام الجمهورية حتى عام ٤٤ ق.م وهو تاريخ اغتيال يوليوس قيصر آخر زعماء الجمهورية الرومانية وتنقسم الفترة الجمهورية التى تزيد على أربعة قرون ونصف إلى ثلاثة مراحل رئيسية كالآتى:

(*) ٧٥٣ يعد أكثر التواريخ تداولاً ولا يزال حتى الآن هو التاريخ الذى ينظر إليه باعتباره مولد روما Ab Urbe Condita (AUC) راجع حسين الشيخ، الرومان، دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة (٢)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٧ . وقارن محمد السيد عبد الغنى، تاريخ الرومان حتى نهاية العصرالجمهورى، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهورى المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٤-٤٥ حيث أورد تقسيم العصر الجمهورى إلى ثلاثة فترات.

أ - فترة العصر الجمهورى المبكر: الذى شهد نضج مؤسسات الحكم الجمهورية التشريعية والتنفيذية، والصراع بين طبقات المجتمع الرومانى من عامة واشراف، وأخيراً الكفاح الذى خاضته روما للدفاع عن كيانها واستقلالها ثم للتوسع على حساب جيرانها اللاتين Latini والايطاليين وتمتد هذه الفترة من ٥٠٩ ق. م حتى ٢٦٥ م.

ب- فترة التوسع الرومانى فى ارجاء المتوسط غرباً ثم شرقاً وامتدت هذه المرحلة فيما بين ٢٦٤ إلى ١٣٣ ق.م والتى بدأت بحرب روما ضد قرطاجه فيما عرف باسم الحروب البونية.

جـ- عصر الثورة أو عصر الزعامات الرومانية وهى مرحلة امتدت من ١٣٣ ق.م إلى ٤٤ ق.م.

٣- العصر الإمبراطورى، وقد استمرت الجمهورية الرومانية نحواً فى خمسة قرون، انتهت بسلسله من الصراعات الحزبية والحروب الأهلية حتى وضع اوكتافيانوس حداً لها فى عام ٢٧ ق.م وذلك باستحداث نظام دستورى وسياسى جديد عرف بالنظام الرئاسى ورغم ان اوكتاڤيانوس قد حافظ على هيكل النظام الجمهورى فى جميع مظاهرة. من حيث:

١- استمرار الأنتخابات لجميع مناصب الحكم.

٢- الابقاء على المجالس التشريعية

إلا أنه اتخذ لنفسه منصباً جديداً يبعد تماماً عن الهيكل الجمهورى، وهو منصب المواطن الأول أو رئيس الدولة Princeps Civitatis ولذا فقد اصطلح على تسمية نظام اوكتاڤيانوس بالنظام الرئاسى Principate[1].

- وفى واقع الأمر أصبح اوكتاڤيانوس - الذى لقب بـ أوغسطس Augustus فيما بعد - هو الحاكم الفعلى المتصرف فى جميع شئون الدولة،

---

(١) مصطفى عبد الحميد العبادى، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦ الإسكندرية ص ص ١١ - ١٢.

وجمع فى يده كل سلطة سياسية وقضائية وعسكرية، ونظراً لأن سلطة القيادة العسكرية المطلقة Imperator أصبحت أهم صفه ملازمة لشخصية رئيس الدولة، فقد غلب على المؤرخين تسمية هذا العصر ا لذى بدأه أغسطس بأسم «الإمبراطورية الرومانية».

– وقد أستمر النظام الإمبراطورى منذ ١٧ ق.م حتى سقوط مدينة روما فى القرن الخامس أمام غزوات القبائل المتبربرة فى الغرب. فى حين استمرت الإمبراطورية الرومانية فى الشرق فى مدينة القسطنطينية التى بدأ سلطانها يتقلص عن معظم املاكها فى الشرق مع قيام الدولة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى.

– واستمرت القسطنينية ذاتها وممتلكاتها الأخرى فى آسيا الصغرى وشرق أوروبا بعد ذلك بعدة قرون فيما اصطلح على تسميته بالإمبراطورية البيزنطية التى سقطت نهائياً، فى يدى محمد الفاتح فى عام ١٤٥٢ ميلادية.

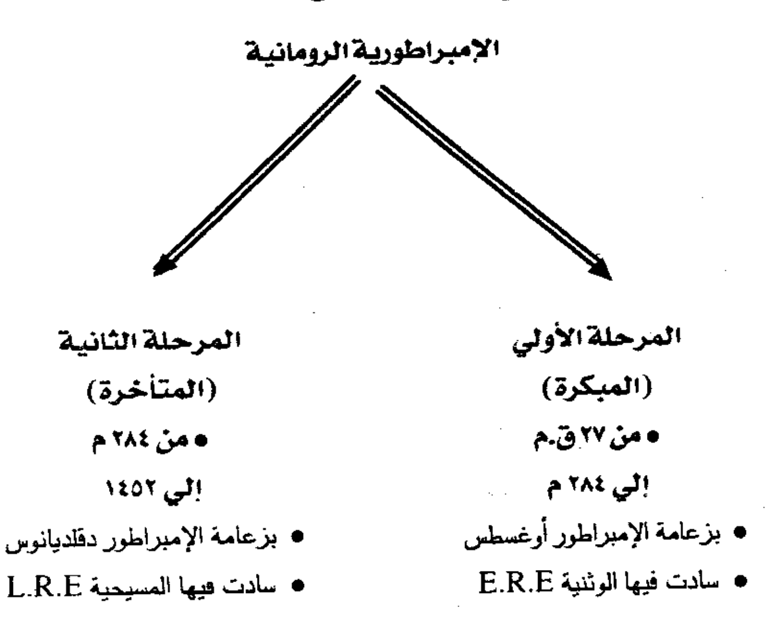
– ولم تبق الإمبراطورية الرومانية محافظة على النظام الأوغسطى على مدار تاريخها ولكن شهدت تعديلات جذرية فى النظم والدين غيرت من شخصيتها تغييراً بعيداً ، ولذلك فأتفق المؤرخون على تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى مرحلتين متميزتين.

١- **المرحلة الأولي:** تشمل القرن الثلاثة الأولى من ١٧ ق.م إلى ٢٨٤ م وهى محل الدراسة فى هذا الفصل.

٢- **المرحلة الثانية:** تشمل الفترة منذ ٢٨٤ م وهى بداية حكم الإمبراطور دقلديانوس الذى نعتبره مؤسس الفترة الثانية فى الأمبراطورية، على أن هناك من المؤرخين من يؤثر اعتبار عام ٣٢٤م بداية أيضاً للفترة الثانية من الإمبراطورية وهى بداية حكم الإمبراطور قسطنطين الذى اعلن المسيحية ديانة رسمية ضمن الديانات الأخرى الموجودة فى الدولة.

وأيا ما كان الأمر فأهم ما يفرق بين الفترتين المبكرة والمتأخرة هو إختلاف ديانة الامبراطورية ففى الفترة الأولى كانت الديانه الوثنية هى السائدة، وفى الفترة الثانية سادت المسيحية.

ويلخص التصور التالى مضمون ما سبق:



المرحلة الأولي	المرحلة الثانية
(المبكرة)	(المتأخرة)
• من ٢٧ ق.م	• من ٢٨٤ م
إلي ٢٨٤ م	إلي ١٤٥٢
• بزعامة الإمبراطور أوغسطس	• بزعامة الإمبراطور دقلديانوس
• سادت فيها الوثنية E.R.E	• سادت فيها المسيحية L.R.E

أولاً: تدهور الجمهورية الرومانية:

حتى عام ١٤٠ ق.م كانت الإقطاعيات الزراعية الكبرى قد إنتشرت تماماً فى الجمهورية الرومانية، وكان مجلس السيناتوس محتكراً للسلطة السياسية. إلا أن هذا الاحتكار قوبل بدءاً من هذا التاريخ بتحدى عنيف خاصة بعد ظهور زعيماً الاصلاح الاخوان تيبريوس وجايوس جراكوس ولم ينته هذا التحدى إلا بزوال النظام الجمهورى نفسه.

E.R.E = Early Roman Empire.

L.R.E = Late Roman Empire.

١- تيبريوس جراكوس Tiberius Sempronius Gracchus:

- رأى ان الخطر الأكبر على الجمهورية الرومانية يكمن فى نظام الاقطاعيات الزراعية الضخمه التى نتج عنها تشريد المزارعين الرومان الفقراء، وكان العلاج فى وجهة نظره هو إعادة توزيع الأراضى الزراعية من جديد.

- رشح نفسه لمنصب التريبون Tribunus «نقيب العامة»وانتخب عام ١٣٣ ق.م حيث قدم إقتراح بأعادة تطبيق قانون ليكينيوس سيكستوس Licinius Sextus والذى صدر فى ٣٦٧ ق.م والذى حدد الحد الأقصى للملكية الفردية فى الأراضى بما لا يزيد عن ٥٠٠ فدان رومانى (يوجيرا) واضاف إليه ٥٠٠ يوجيرا أخرى للأبنين البالغين ليصبح بذلك الحد الأقصى للملكية هو ١٠٠٠ يوجيرا للأسرة.

- وشكل تيبريوس لجنه للإصلاح الزراعى تكونت منه ومن أخيه جايوس جراكوس وأبيوس كلاوديوس لممارسة تطبيق الاقتراح السابق عمليا وذلك بعد أن نجح فى استصدار قانون من مجلس السيناتوس بهذا المعنى.

- عندما حاول ترشيح نفسه للعام الثانى على التوالى لمنصب التريبون[١] لضمان تنفيذ هذا القانون ثار بعض من أنصار مجلس السيناتوس وقبضوا عليه وبعض آعوانه واغتالوه.

- رغم ذلك ظلت لجنه الإصلاح الزراعى تمارس عملها لمدة أربعة

---

(١) حسين أحمد الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ٥٠، حيث يوضح أن ترشيح تيبريوس لنفسه للعام الثانى لنفس المنصب كان مخالفاً للتقاليد الرومانية التى كان تقضى بأن يشغل التريبون منصبه لمدة عام واحد فقد. وقد أكد عبد اللطيف أحمد على على ذلك حيث قال أن إعادة الترشيح لمنصب عينه فى سنتين متتاليتن أمراً محظوراً بمقتضى قانون ڤيلليوس الصادر فى عام ١٨٠ ق.م Lex Villia annalis راجع عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الرومانى عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى اكتاڤيانوس اغسطس، دار النهضة العربية، بيروت ، بدون تاريخ، ص ص ١١ - ١٢.

عاماً متتالية حتى عام ١٢٠ ق.م وكان بها جايوس جراكوس الذى حرص بدوره على تنفيذ رؤية اخيه تيبريوس فى الأصلاح الزراعى.

٢- جايوس جراكوس Gaius Sempronius Gracchus:

- كون جبة قوية ضد مجلس الشيوخ من أصحاب المصالح المالية والتجارية والفقراء والحلفاء الايطاليون.

- فى ظل السماح بدءاً فى عام ١٣١ ق.م باعادة ترشيح التريبون لنفسه مرة أخرى، قام بترشيح نفسه لمنصب التريبون من ١٢٤ ق.م وحتى ١٢٢ق.م.

- نتيجة لازدياد شعبيته بين الفقراء الرومان على وجه الخصوص بسبب القوانين المتتالية التى اصدرها والتى كان هدفها الأول تحقيق قدر من الرخاء للفقراء كقانون توزيع الغلال علي فقراء روما بنصف سعر السوق ثم مجاناً فيما بعد[٣]، حاول مجلس الشيوخ التخلص منه وتمكنوا من قتله هو وثلاثه الاف من أعوانه.

أما عن مشروعات جايوس التى تمكن من إستصدار قوانين بشأنها قبل غتياله فهى كالتالى:

- استصدر قانون بأنشاء شبكة من الطرق الريفيه في مختلف أنحاء يطاليا وتحسين الطرق الريفيه القديمة وقد أولى هذا المشروع عناية خاصة حتى تكون الطرق نافعة وجيدة ولا تقل جودة عن الطرق العسكرية المنتشرة فى ارجاء شبه الجزيرة الايطالية وكان يرمى بذلك إلى تيسير نقل الغلال

(٣) حسين الشيخ، نفس المرجع السابق، ص ٥١، قارن مصطفى العبادى، مرجع سابق حيث رأى أن هذه الأحداث تدل على بداية ظهور العنف فى الحياة السياسية مع البدء فى مخالفة الدستور مما يعلى فى وجهة نظره قصور الدستور عن متطلبات الدولة ومسئولياتها، ص ٤١ وقارن أيضاً: عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، حيث رأى أنها كانت محاولة منه لاسترضاء زعماء العامة Plebs Urbana وقد عرف هذا القانون بإسم قانون الغلال Lex Sempronia Frumentaria، ص ٢٢.

والمحاصيل الزراعية الأخرى إلى الأسواق القريبة فيسهل على صغار الزراع مهمة تسويقها محلياً.

– ومن المرجح أنه اعاد للجنة الاصلاح الزراعى سلطتها القضائية التى سلبت منها فى عام ١٢٩ بعد مصرع آخيه بسنوات قليلة.

– اقترح مشروعاً بأنشاء عدد من المستعمرات Coloniae فى ايطاليا بهدف تخفيف أزمة تضخم سكان روما وغيرها من المدن ومن بين المستعمرات التى ينسب اليه تأسيسها كانت اثنتان وهما «نبتونيا» Neptunia بالقرب من تارنتم و «مينرڤيا» Minervia بالقرب من اسكولاكيوم(٤).

غير أن أهم مشروع جرئ له فى هذا الصدد هو محاولته تأسيس مستعمرة – لأول مرة – عبر البحر – مقتدياً بالأغريق – فى مكان قرطاجنة القديمة وقد تم بناء هذه المستعمرة بناء على صدور قانون يعرف باسم قانون روبريوس Lex rubria نسبه إلى نقيب العامة الذى تبنى المشروع بتشجيع من جايوس.

واتبع جايوس ذلك المشروع بمشروعين احدهما يهدف إلى التخفيف من صرامة الخدمة العسكرية الإلزامية بمنع التجنيد قبل سن السابعة عشر والأخر ينص على ان تصرف الدولة للجنود الملابس مجاناً دون خصم الثمن من رواتبهم.

وقد بدأ جايوس عملة السياسى بإقتراح زيادة عدد أعضاء مجلس الشيوخ الذى كان محور الدستور وذلك بأضافة ٦٠٠ عضو اليه إلا أن هذا الاقتراح قوبل بمعارضة شديدة من جانب السيناتو فسحبه جايوس، غير أنه تمكن من استصدار قانون ينص على فرض عقوبات على محلفى محكمة الابتزاز (رجال السيناتوس) الذين تثبت ادانتهم بالرشوة باعتبارها جريمة.

---

(٤) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٢٤ – ٢٥.

وأخيراً كال للسيناتوس ضربة قاصنية بأصدار قانون اكيلوس Lex Acilia وغير به تشكيل محكمة استرداد الأموال المبتزة Quaesto de Repetundis وكانت هذه المحكمة المدنية مختصة بالنظر فى دعاوى الابتزاز المرفوعة على حكام الولايات السابقين والزامهم بدفع تعويضات عن الأضرار فى حالة ثبوت التهمة(٥).

وبقى ان نقيم اعمال الأخوان تيبريوس وجايوس جراكوس وما ترتب عليها من آثار، فقد كان اخفاق الآخوين مأساة سياسية كبيرة وبينما احتلت ذكراهم موضع الاعزاز والأكبار فى قلوب انصارهما إلا أنها كانت فى الوقت ذاته مثار استهجان واستنكار بين صفوف خصومهما ومن الآثار التى ترتبت على أعمالهم.

١- زاد عدد صغار الملاك (ملاك الأراضى).

٢- زاد عدد المهاجرين إلى المستعمرات.

٣- هدأ مشروع الغلال ثائرة عامة العاصمة المعطلين.

٤- تمكن الاخوان فى حياتهما وبعد مماتهما من أضعاف نفوذ السيناتوس.

٣- ماريوس وسولا Marius et Sulla:

بينما كانت روما منهمكة فى الصراع الحزبى الذى احتدم بين السيناتوس وجايوس جراكوس، كانت الجيوش الرومانية مشتبكه على الحدود فى سلسلة من الحروب دفاعاً عن سلامة أراضى الجمهورية.

ولم تمضى عدة سنوات على موت جايوس حتى اتضح الفساد وعدم الكفاية واشتعلت من جديد نار التطاحن الحزبى اثناء ذلك القتال الذى خاضته روما فى شمال افريقيا ضد الزعيم النوميدى «يوجورثا» Iugurtha ولكن هذا الصراع الذى بدأ فى عام ١١١ ق.م انجب جندى عظيم يدعى Marius

---

(٥) عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق، ص ٢٦.

.ماريوس وهو رجل عصامى ايطالى المولد وجندى عظيم آخر يدعى .سولا Sulla، وهو سليل أسرة شريفة[6].

وبفضل هذين الجنديين انتهت الحرب ضد يوجورثا فى مصلحة الرومان والتى سجلها المؤرخ الرومانى ساللوستيوس C. Sallustius فى عمله الذى يعرف بعنوان الحرب اليوجورتية Bellum Iugurthinum.

ويذكر التاريخ أنه نظراً لتفوقه العسكرى وتعرض روما لمخاطر أجنبية سبقت الإشارة اليها قبل السيناتوس إعادة ترشيحه لمنصب القنصلية خمس سنوات متصلة وذلك بالرغم أنه كان من طبقه الفرسان الجديدة وكان يميل إلى مناصرة العامة، ونظراً لعدم تطرفه السياسى وتذبذبه بين الطبقتين كان السيناتوس يقبل بقاءه فى السلطة بسبب تفوقه العسكرى.

إن تجربة ماريوس تعد تجربةٍ جديدة فى تاريخ روما إذ لم يحدث أن تولى شخص القنصلية مرتين متتاليتين مهما كانت مواهبه[7].

وقد استطاع ماريوس ان يوجد لأول مرة جيشاً نظامياً تقوم الدولة بتسليحه ويكون ولاء جنوده لقائدهم، إذ كان الجنود يعتمدون على قائدهم فى الحصول على مكافآت سخية من أرض ومال بعد انتهاء الحرب وهكذا ارتبطت مصالح الجنود بأفراد القواد وهذه ظاهرة جديدة سوف تظهر خطورتها حين يتخذ القادة العسكريون من أمثال بومبى وقيصر جيوشاً خاصة فالجيوش لم تصبح جيوش الوطن ولكن جيوش الأحزاب الطبقية.

أما عن إصلاحات ماريوس العسكرية فهى كالتالى:

١ – اعاد تنظيم الجيش وغير طريقة تسليحه وتدريبه.

---

(٦) عبد اللطيف أحمد على، نفس المرجع السابق، ص ٤٥ – ٤٦، حيث يوضح أن شمال أفريقيا كانت هى مسرح حرب يوجورثا حيث نشأت هناك مملكه نوميديا (الجزائر) حالياً بعد الحرب البونية الثانية.

(٧) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٤١.

٢- غير نظام التجنيد حتى يستطيع ان يعبئ القوات اللازمة، إذ فتح باب التجنيد للمواطنين الفقراء Proletarii في جميع انحاء الإمبراطورية.

٣- اعتمد على التطوع أكثر منه على التجنيد الإجبارى لعدد معين من الحملات.

٤- أفضت اصلاحاته إلى انتصار رائع احرزه ضد قبائل التيوتون Teutoni فى اكواى سكستياى Aquae Sextiae فى عام ١٠٢ ق.م، وانتصار آخر فى عام ١٠١ على قبائل الكمبرى فى ڤركللاى Vercllae فى حوض البو عند الطرف الشرقى من شمال ايطاليا الذى كان هؤلاء البرابرة قد تسللوا منه اخيراً وهكذا نجت ايطاليا من الخطر البربرى.

وهكذا نجد أن ايطاليا قد انقذت لا بفضل الجيوش الرومانية أو الحكومة الرومانية بل على يد ماريوس والجيش الذى انشأه وهو الجيش الذى شبهه الدكتور عبد اللطيف أحمد على بجيش هانيبعل(٨).

ومنذ ذلك الحين ظلت الجيوش الرومانية تتألف من اتباع لكل من ماريوس وسولا وبومبى وقيصر مما جعلها من مصادر القلق والخطر المستمر على الدولة، وإن كانت فى نفس الوقت أجهزة رائعة للقتال كفيلة بتأمين حدود الإمبراطورية، وأستمر الأمر كذلك إلى أن أحيا أوغسطس فى نفوس الرومان من جديد الشعور بالواجب نحو الدولة.

- عموماً فقد اساءت الحرب مع يوجورثا إلى سمعة حزب السيناتوس الذى عرف باسم الحزب الارستقراطى Optimae وقللت من هيبته وزاد من تزعزع مركزه الهزائم التى منى بها قواد هذا الحزب فى اثناء غزوات الكمبرى والتيوتون وقد شجع ذلك زعماء الحزب الشعبى أوالديمقراطى Populares على شن سلسلة من الهجمات على حزب السيناتوس مستندين إلى تأييد ماريوس والتفاف الشعب حوله والفرسان.

---

(٨) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٥٦.

- وثمه ظاهرة أخرى أخذت تتفاعل لتزيد الموقف تعقيداً فى تلك المرحلة وهى حلفاء روما من الإيطاليين، إذ بدأ أهالى المدن الإيطالية الذين اخضعتهم روما فى بداية عصرها الجمهورى وفرضت عليهم التحالف معها وتقديم الجنود والسفن والمساعدات المختلفة فى وقف الحرب يضيقون بوضعهم وخضوعهم لشعب روما.

- إزداد الموقف تعقيداً حينما حدث انقسام داخل حزب الشعبين فى روما فوجدنا بعض زعمائهم المتطرفين يميلون إلى إنصاف الحلفاء الايطاليين بمنحهم المواطنة الرومانية ومثل هذا الموقف كان يحقق هدفين لروما فى وقت واحد.

الأول: هو إرضاء الإيطاليين بأن يصبحوا مواطنين رومان وبالتالى ما يترتب عليه ذلك من تمتعهم بكل الامتيازات الرومانية وأهمها عطاءات الجنود.

الثاني: ان تكتسب روما مزيداً من الجنود فى الفرق الرومانية Legiones وبذلك تزداد قوتها العسكرية التى كانت فى حاجة مستمرة اليها.

- ورغم ذلك فكان السيناتوس وكثير من الشعبين أنفسهم يعارضون مثل هذا الحل بدعوى حرصهم على نقاء الدم الرومانى، أو الاستئثار بأكبر قدر من مكاسب الحروب.

- بلغ الموقف درجة الأزمة حين تعرض أحد زعماء العامة ويدعى دروسوس Drusus للقتل وكان ينادى بمنح المواطنه الرومانية للإيطاليين من موقعه كنقيب للعامة سنة ٩٠ ق.م ونتيجة لذلك قام الإيطاليون بثورة عارمة سرعان ما تحولت إلى حرب ضد روما عرفت باسم «حرب الحلفاء» Socii[٩] واشتهرت أيضاً بأسم حرب المارسيه Marsi نسبة إلى المارسيون.

---

(٩) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٤٢ وقارن عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٦٣ ومحمد السيد عبد الغنى، مرجع سابق، حيث يرى أنها انتهت فى ٨٨ وعرفت بأسم الحرب ضد الحلفاء Bellum sociale، ص ١٣٥.

- لم تتمكن روما من القضاء على هذه الثورة التى تحولت إلى حرب إلا بقبول منح الإيطاليين المواطنه الرومانية كاملة ولكنهم رغم ذلك استمروا يشعرون بأنهم مواطنين من الطبقة الثانية وذلك لسببين:

١- لأنهم لم يصبحوا أعضاء فى مجلس السيناتوس.

٢- منع تسجيل اسمائهم ضمن القبائل الرومانية القديمة.

- هذا الوضع الخطير نتج عنه فيما بعد انقسام الصراع السياسى إلى قسمين (حزبين).

(أ) حزب المحافظين، الذين يرغبون فى الحفاظ على النظام الجمهورى ممثلاً فى سيادة شعب روما.

(ب) حزب المجددين، الذين يدعون لإقامة الحكم المطلق بالمحافظة على وحدة الشعوب الإيطالية دون تمييز.

- عموماً وبعد انتهاء «الحرب المارسية» التى استمرت ثلاث سنوات من ٩٠-٨٨ ق.م تعرضت روما لأخطر مواجهة عسكرية لها مع قوة أجنبية منذ نهاية الحرب البونيه الثانية وتمثلت هذه القوة فى ميثراداتيس السادس، وكان أشد طموحاً فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود، والتى كانت تتمتع بقدر واسع من الثراء والقوة العسكرية[١٠]، إذ كان ميثراداتيس الخامس على علاقة طيبة بروما وتمكن من بسط نفوذه على جيرانه من المدن الصغيرة، إلا أن ابنه ميثراداتيس السادس كان أشد طموحاً فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود وبذلك أصبح يسيطر على مملكه قوية فى الشرق بعد تدهور سوريا.

- انتهز ميثراداتيس فرصة انشغال روما فى الحرب الأهلية الدائرة بينها وبين الحلفاء الايطاليين وهاجم آسيا فى عام ٨٨ ق.م واكتسح القوات الرومانية بها ودبر مذبحة قتل فيها فى يوم واحد عدد يتراوح ما بين ثمانين

(١٠) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

إلى مائه وخمسين ألفاً من الرومان والإيطاليين وصودرت أملاكهم لصالح الخزانة الملكية وهكذا خسرت روما آسيا ، وبات من الضرورى لها التخلص من ميثراداتيس السادس[11] .

- واستمراراً لظاهرة العنف الشديد نجد Sulla الذى اختياره مجلس السيناتوس للتخلص من ميثراداتيس السادس، وبعد أن يتحقق له النصر على ميثراداتيس . يتحول إلى قائد عسكرى يسيطر على أكبر جيش رومانى موجود خارج ايطاليا، وحين نازعه فى القيادة، الشعبيون، لم يتردد فى أن يقود جيشه ويقتحم روما عسكرياً وان يشن حرباً شعواء على خصومه وأعمل فيهم القتل والتنكيل وهو ما لم يحدث فى تاريخ روما من قبل .

- أقام سولا من نفسه دكتاتوراً وبقى فى المنصب سنتين فيما بين ٨٢-٨٠ ق.م فى حين أن منصب الدكتاتور كان مقرراً فترة ست أشهر فقط لشغله وفى حالات إستثنائيه، وأصدر بموجب السلطة المخوله له كدكتاتور سلسلة من القوانين الغى بها كثير من امتيازات العامة وعمل على تأكيد سلطة السيناتوس .

- لم يستطع ان يوحد بين مصالحه ومصالح الدولة العليا، لأنه كان بالفطره مجرداً من روح العطف وهذا ما سلبه القدرة على معرفة حقيقة تلك المصالح، وفى هذا الصدد فقد قورن سولا بنابليون والمقارنة صحيحة من وجه نظر أو اثنين ولكنهما يختلفان كل الاختلاف فى نقطه جوهرية، وهى القدرة على الإدراك المشمول بروح العطف .

- فنابليون على قسوته والتوائه فى معظم الأحيان قد أظهر بوضوح عند تنظيمة شئون فرنسا أو سويسرا أو مصر أنه يدرك حاجات تلك الأمم وابتكر لها ما يعينها على الخروج من حالة الركود إلى حياة سياسة واجتماعية أفضل، وقد ادرك سلا أن الظروف تتطلب اقرار النظام بأى ثمن وحفظ السلام

---

(١١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٣ .

والقيام بالأصلاح ولكنه اقبل على عمله بروح تنم عن عدم اكتراثه بالشعب الذى يشرع له، ورغم أنه أمد كثير من مرافق الدولة بجهاز ادارى رائع. إلا أنه لم يمدها بالقوة الدافعة لتسييرها.

- إن تشريعات سولا لم تكن كلها سياسية بحته، ولا سيما ما يتصل منها بأعادة تنظيم سلك الوظائف الشرفية، والقانون الجنائى، وإجراءات الدعوى الجنائية إذ كانت جميعاً اعمالاً قيمه، ولذلك لم يحاول أحد الغاءها فظل بعضها قائماً طوال فترة التاريخ الرومانى(١٢).

- لقد قصد سولا بتشريعاته أن يعيد السيناتوس إلى مركزه القديم الذى تمتع به قبل ظهور تيبريوس جراكوس وان يوطد سلطة ذلك المجلس Patrum auctoritas ويضمن استمراره فى ذلك المركز بوصفه الهيئه الوحيدة القادرة على حفظ الأمن واستقرار النظام.

- بعد وفاة سولا فى ٧٨ ق.م وحتى عام ٣١ ق.م شهدت هذه السنوات :

١ - عودة ميثرادتيس ملك بونتوس إلى ساحة القتال ضد روما.

٢ - ظهور ثورة العبيد تحت زعامة سبارتاكوس فى ايطاليا نفسها(١٣).

٣ - انتشار القرصنه فى البحر المتوسط.

٤ - ظهور عدد من أهم القادة العسكريين الذين خلفوا سولا مثل بومبى وكراسوس ويوليوس قيصر وماركوس انطونيوس واكتافيانوس الذى لقب فيما بعد بأوغسطس.

وأخيراً فقد كان سولا كغيره من رجال ذلك العصر والعصور التالية يؤمن بالحظ أو التوفيق Felicitas, Fortuna إيماناً شديداً حتى أنه لقب نفسه بسولا سعيد الحظ أو الموفق Felix وكان قد أطلق على ابنه وابنته التوأمين فى عام

---

(١٢) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٣.

(١٣) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ص ٨٤ - ٨٥.

٨٦ لقباً يحمل معنى مشابهاً Faustus et Fausta[١٤]، غير أن هناك من يستبعد ان يكون سولا قد فهم الكلمة بمعنى «قوة عليا مسيطرة على العالم من شأنها أن تسددِ خطاه السياسيه فتبعده عن السعى وراء المصلحة الشخصية وترشده إلى الاهداف القومية السامية[١٥].

– فى عام ٧٤ ق.م اشتعلت الحرب مرة أخرى بين روما ومثيراداتيس ملك بونتوس Pontus فقاد لوكللوس الجيوش الرومانية واستطاع طرد ميثراداتيس من مملكة بونتوس نفسها فى ٦٧ ق.م.

– أما ثورة العبيد التى قامت بقيادة سبارتاكوس فقد بدأت بحركة تمرد قام بها فريق من العبيد فى عام ٧٣ في إحدى مدارس المصارعين GladiaToress بمدينة كابوا Capua بأقليم كامبانيا Campania حيث كان العبيد يدربون على المبارزه لتسلية الجماهير فى حلبات المصارعة Arenae وكان زعيمها هو سبارتاكوس Spartacus وكان طراقى وسانده زعيم آخر كلتى يدعى كريكسوس Crixus. وقد استمرت هذه الثورة من ٧٣ إلى ٧٠ ق.م وقد تمكن ماركوس ليكينيوس كراسوس M. Licinius Crassus أحد ضباط سولا القدماء من قمع ثورة العبيد تلك تقريباً وذلك بعد أن عينه الـ Senatus قائداً على ست فرق ومنحه بصفه إستثنائية سلطه بروقنصليه لاتمام هذا الهدف، وقد أكمل بومبى على بقيتها، وعموماً فقد اكتسب كلاً من بومبى وكراسوس شعبيه كبيرة مكنتهما من التقدم سوياً لمنصب القنصل Consul على الرغم من معارضة مجلس السيناتوس.

فى نفس الوقت كان قراصنه البحر المتوسط قد ازدادوا قوة لدرجة مهاجمتهم لشواطئ ايطاليا نفسها وتهديدهم لتجارة الحبوب التى تعتمد عليها

---

(14) Balsdon. J.P.V.D., "Sulla Felix", J.R.S. 41, 1951, pp. 1-10.

(١٥) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٩٩.

وهو L. Licinius Lucullus احد ضباط سولا فى حربه الأولى ضد Mithradates وقنصل عام ٧٤.

روما فى غذائها ، فعهد إلى بومبى بالقضاء عليهم ومنح بمقتضى قانون «جابنيوس» سلطات غير عادية واستطاع فعلاً ان يقضى على خطر القراصنة فى مدة لم تتجاوز الثلاثة أشهر.

- استطاع بومبى ان يستثمر انتصارات لوكللوس فى آسيا لصالحه فبقى فى آسيا فى الفترة من ٦٦ ق.م حيث نظم ثلاث ولايات رومانية هى:

١- بونتوس. ٢- سوريا. ٣- كيليكيا.

وأكد سيادة روما على هذا الجزء من العالم القديم.

- وخلال فترة غياب بومبى فى آسيا زادت شعبيه يوليوس قيصر فى روما ولذلك فحين عاد بومبى إلى روما حدث تحالف ثلاثى ضم كل من:

١- كراسوس. ٢- بومبى. ٣- يوليوس قيصر.

وذلك بدءاً من عام ٦٠ ق.م[١٧] وبعد إنتهاء قنصلية قيصر استطاع الحصول على بلاد الغال القريبة لمدة خمس سنوات، ووضعت ثلاث فرق عسكرية رومانية تحت امرته، فقام قيصر بغزواته الشهيرة لبلاد الغال ابتداء من ٥٨ ق.م وحتى ٥٢ ق.م والتى سجل احداثها فى عمله De Bello Gallico وحين عاد إلى ايطاليا بعد القضاء على الثورة القومية الغالية وانتهت مهمته بنجاح فى ٥١ ق.م كان قد تمكن من تكوين جيش قوى يدين له وحده بالولاء اعتماداً على شخصة ومشاركته لجنوده فى معاركهم وحملاتهم، وجدد كذلك تحالفه مع زملائه كراسوس وبومبى وأصبح بومبى وكراسوس بمقتضى هذا التحالف الذى تجدد قنصلين لعام ٥٥ ق.م.

- فى نفس الوقت ظهر خطر جديد يهدد روما وهو مملكة بارثيا التى قامت نتيجة للفراغ الذى خلفته الأسرة السليوقية بعد انهيار حكمها فى سوريا وعندما حاولت هذه القوة الجديدة السيطرة على تجارة الجزء الشرقى من

---

(١٦) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٥٠.

العالم القديم والذى كانت روما تعتبره منطقة نفوذ تجارية فأصبح ذلك مبرراً قوياً لحملة يقودها كراسوس لاخضاع بارثيا، لكن للأسف انتهت هذه الحملة بكارثه حلتا بالجيش الرومانى وقتل فيها كراسوس نفسه.

- بوفاة كراسوس تفجر الصراع بين كل من بومبى وقيصر، ووجد مجلس السيناتوس فى بومبى قوة لا يستهان بها ليقف بها فى وجه قيصر الذى رأى المجلس أنه يشكل خطراً مباشراً عليه، فعين بومبى قنصلاً منفرداً (وحيداً) واحتل مركز «بطل مجلس الشيوخ»[١٧].

- كان رد قيصر على اجراءات السيناتوس السابقة هو أن دخل ايطاليا بجيوشه بما يعد تحدياً سافراً لمجلس السيناتوس الذى دخل ايطاليا كقائد عسكرى، فاندلعت الحرب الأهلية بين كل من قيصر (عدو السيناتوس) وبومبى (بطل السيناتوس) خاصة بعد ان استطاع قيصر ان يسيطر سريعاً على إيطاليا - واستمر الصراع بينهم خارج ايطاليا حتى انتهى بانتصار قيصر على منافسه فى موقعة فارسالوس وهرب بومبى إلى مصر Aegyptus ، إلا أنه قتل عند نزوله للشاطئ، وانتهز قيصر فرصة وجودة فى مصر كممثل لروما فى انهاء الحرب الأهلية بها واعلان كليوباتره السابعة ملكه على مصر بعد معركة ضد السكندريين احترقت فيها أجزاء كبيرة من الإسكندرية وربما كانت المكتبة بين الأماكن المحترقة[١٨].

- هكذا كانت إنتصارات قيصر المتتالية مبرراً كافياً ليركز كل سلطات الدولة فى يديه واضاف إلى أسمه لقب (امبراطور) ومنحته الجمعية الشعبية Comitia Plebis Tributa لقب الدكتاتور Dictator وفى عام ٤٩ ق.م عدل التعيين ليصبح دكتاتوراً لمدى الحياة.

---

(١٧) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٥.

(١٨) حسين الشيخ، العصر الهللينستى (مصر)، دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص ٥١.

- لقد اغدقت على قيصر الكثير من الألقاب الشرفية والوظائف والامتيازات والسلطات مما لم يكن له مثيل من قبل فى تاريخ الرومان فأثار هذا الاتجاه ثائرة الجمهوريين وبعض اتباع قيصر نفسه، واغتيل بيد أقرب أصدقائه ومنهم بروتوس Brutus فى ١٥ مارس ٤٤ ق.م.

- بعد موت قيصر ظهر ماركوس انطونيوس M. Antonius كخليفه له كما ظهر ليبيدوس الذى شغل منصب قائد فرسان القصر وظهر أيضاً اوكتافيوس ابن أخ يوليوس قيصر الذى تبناه وجعله وريثاً له ليحمل اسم اغسطس فيما بعد.

- وفى عام ٤٣ ق.م قام ائتلاف ثلاثى آخر بين كل من ماركوس انطونيوس وليبيدوس وجايوس يوليوس قيصر اوكتافيوس لمدة خمس سنوات، وعموماً فقد أدى طموح كليوباتره السابعة ملكه مصر البطلمية فى الفترة من ٣٦ - ٣١ ق.م إلى خلق فجوة فى العلاقة بين كل من انطونيوس واوكتافيوس إذ اتصلت كليوباتره بانطونيوس وأستمالته إلى جانبها بعد أن كانت قد فعلت نفس الشئ مع سلفة يوليوس قيصر آمله فى الزواج منه إلا أن مصرعه قضى على آمالها.

- تجددت آمال كليوباترة فى شخص انطونيوس الذى رأت ان بأمكانها السيطرة عليه وبالتالى على روما، فقاد اوكتافيوس حرباً دعائية ضد انطونيوس وكليوباترة ومشروعاتهما حول مستقبل الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية ولذلك فعندما تولى اوكتافيوس منصب القنصل عام ٣١ ق.م أعلن الحرب على انطونيوس باعتباره خائناً لروما وانتصر عليه فى موقعة اكتيوم فى نفس العام وشهد العام التالى انتحار انطونيوس وكليوباتره لتتحول مصر إلى ولاية رومانيه ذات طابع خاص.

عرضنا خلال ما سبق الظروف التى صاحبت تدهور الجمهورية الرومانية، واتضح من خلالها ضياع هيبته الدستور الرومانى ومجلس

السيناتوس (مجلس الشيوخ الرومانى) بعد أن أصبح العنف لا الحوار هو لغة العمل السياسى، ذلك العنف الذى ظهر فى أكثر من حادثه سبق التعرض لها تفصيلاً.

وهكذا كانت تلك الظروف بدورها ممهده لظهور نظام سياسى جديد وهو النظام الامبراطورى الذى يبدأ بظهور جايوس يوليوس قيصر اوكتاڤيوس Gaius Iulius Caesar Octavius.

والآن نعرض لتاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ النشأة ٣١ ق.م وحتى ٢٨٤م.

ثانياً: العصر الإمبراطوري المبكر The Early Roman Empire:

وصف السيرجون هامرتون فى موسوعته تاريخ العالم معركة أكتيوم - قرب الشاطئ الغربى لبلاد اليونان - بأنها إحدى المعارك الفاصلة فى تاريخ العالم[١٩]، وبالرغم من ان تفاصيل المعركة لازالت غامضة حيث لا نعرف شيئاً عن اطوارها ولا طبيعتها ولا حتى عن الوقت الذى استغرقته - إلا أنها بالقطع لم تكن بالحجم القتالى المروع - كما زعم الشعراء الرومان[٢٠] فقد قال الشعراء الرومان أن الملكه المصرية ولت هاربه مذعوره[٢١] من هول بأس اكتاڤيوس وقال آخرون ان الملكة تخلت عن غريمها فجأة عندما ثبت عدم جدواه[٢٢].

- دخلت قوات اكتاڤيوس في غرة اغسطس عام ٣٠ ق.م الإسكندرية حيث استولى عليها دون مقاومة، واحتراماً للمدينة وتاريخها أمر جنوده بعدم

(١٩) السير جون هامرتون، موسوعة تاريخ العالم، الجزء الثالث ٥١٥.
(٢٠) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص ص ٣٠-٤٠.
(21) Vergilius, Aen., VIII, 707 - 710.
(22) Propertius, III, II, 52 - 54.

التعرض للناس ولا لأموالهم(٢٣)، والقى خطاباً باللغة الأغريقية أبدى فيه احتراماً وتقديراً، وزار قبر الإسكندر المؤسس وخلع عليه تاجه ووفاه ما يستحقه من التجيل ولما عرض عليه زيارة ملوك البطالمة رفض(٢٤).

ورأى الدكتور سيد الناصرى ان اكتيوم لم تكن لها أهمية عسكرية بقدر ماكان لها أهمية سياسية خطيرة للغاية إذ قلبت النظام الجمهورى رأساً على عقب فقد أصبح اكتاڤيوس وحيداً لا ينافس، وانتهى قرن من الحروب الأهلية وبدأ عصر من السلام. وبضم مصر إلى حوزة الولايات الرومانية نجحت روما فى ضم جميع اقطار البحر الأبيض المتوسط الذى اضحى بحيرة رومانية Mare Romanum فى بناء سياسى وحضارى واحد دام فترة تزيد عن خمسة وقرون من الزمان هى التى نسميها الإمبراطورية الرومانى(٢٥).

- اكتاڤيوس ودعائم الحكم الإمبراطوري:

– وهكذا شاء القدر أن يصبح هذا الشاب النحيل البنية، الفولاذى الإرادة حاكم روما وسيدها لمدة أربع وأربعين عاماً، وعن طريق التبنى أصبح يتمتع بلقب «قيصر» وبحقه فى المطالبة بأنه وريث ذلك الراحل العظيم «يوليوس قيصر».

---

(23) Dio - Cassius, LI, 16, 3 - 5.

(24) Suetonius, Divus Aagustus, XVII, 1,

(٢٥) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٢٠.

ويموت كليوباترة آلت الإسكندرية ومصر إلى حوزة روما وأعلن أغسطس للشعب الرومانى فى سجل أعماله Res Gestae والمسمى بنقش أنقرة أنه قد اضاف مصر إلى سلطات الشعب الرومانى وابتهاجاً بهذه المناسبه ظهرت عملة تذكارية خاصة تحمل جملة «مصر سقطت» Aegypto Capta.

- Bagnall Roger S. and Rathbone Dominic W., Egypt From Alexander to the copts An Archaealagical and Historical Guide, The British Museum Company Ltd, 2004, p. 16.

– دعم اكتافيوس نفسه عن طريق المصاهرة فأصبح بعد زواجه من «ليفيا» ممثلاً لأسرتين من أعرق الأسر الرومانية هما آل ليفيوس Livii وآل كلاوديوس Claudii .

– خلال صراعه مع انطونيوس خرج من الأئتلاف الثلاثي الثانى الذى كان يضمه هو وانطونيوس ولبيدوس وذلك بحجة إنقاذ الجمهورية وفى العام التالى انتخب قنصلاً وكال له السيناتوس كثير من المناصب والسلطات الدستورية والشرفية وتذكرنا جميعها بما كاله السيناتوس من قبل من مناصب وسلطات ليوليوس قيصر ، وادت إلى تحوله إلى دكتاتور مطلق ولهذا رفض اوكتافيوس ان يصبح دكتاتوراً بذكاء شديد.

– وفى ١٣ يناير عام ٢٧ ق.م تنازل اوكتافيوس عن كافة سلطاته الاستثنائيه وغير الاستثنائية التى وضعها السيناتوس بين يديه إبان حربه ضد كليوباترة، واعلن أنه يخول السيناتوس والشعب الرومانى فى كافة سلطاته[٢٧] . وذلك فى خطبة وصف ديون كاسيوس إحساس مستمعيها بأن كان بينهم المصدق وغير المصدق[٢٨] .

– لقد قسمت ولايات الإمبراطورية تبعاً لهذا الحادث إلى قسمين:

الولايات السيناتورية Senatorial States

الولايات الإمبراطورية Imperial States

---

(27) Ronald Syme, The Roman Revolution, Oxford clarendon Press, 1939, p. 324. CF

- March F.B., The Founding of the Roman empire. London. 1931.
- Hammond M., The Augustan Principate. London. 1933.

ومصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٨٤ حيث يقرر ان جاء رد فعل السيناتوس أمام تلك الخطوة التى اتخذها اوكتافيوس برد سلطاته إليه مرة أخرى على معظم ارجاء الإمبراطورية خاصة السلطة العسكرية إذ كان ارتباط الجيش بأوكتافيوس من القوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما بأى قرار من قرارات السيناتوس.

(28) Dio Cassius, LIII, 11 - 12, 16 - 22, 30 - 32.

إذ منح السيناتوس حق الإشراف على الولايات المستكينة التى يستطيع السيناتوس جنى ثمارها دون خوف من ثورة أو تمرد ومنها:

١- ولاية افريقيا. ٢- ولاية نوميديا (الجزائر). ٣- ولاية آسيا. ٤-ولاية اليونان وابيروس. ٥- ولاية دالمتيا. ٦- ولاية مقدونيا. ٧- ولاية صقلية. ٨-ولاية كريت. ٩- ولاية برقه (قورينه) والأراضى الليبية حولها. ١٠-ولاية بونتوس. ١١- أراضى بيثنيا Bithynia الواقعه حولها وسردينيا. ١٢- ولاية بايتيكا Baetica فى جنوب أسبانيا وجميعها عرفت بالولايات السيناتورية.

- واحتفظ اوكتافيوس لنفسه بما تبقى من:

١- آسبانيا. ٢- بلاد الغال وما حولها. ٣- بلجيكا. ٤- المانيا حتى حدود الراين وذلك فى الغرب.

- أما فى الشرق فاحتفظ بـ:

١- سوريا (سوريا + لبنان فلسطين حالياً). ٢- فينيقيا. ٣- كيليكيا بآسيا الصغرى. ٤- قبرص. ٥- مصر.

- **السلطات التي حكم بموجبها الإمبراطورية:**

١- الإمبريوم العسكرى	Imperium
٢- اللقب الأوغسطى	Augustus
٣- اللقب الامبراطورى	Imperator
٤- السلطة التريبونيه	Tribunicia Poestas
٥- سلطة الامبريوم الأعلى	Imperium Maius

أولاً: الإمبريوم العسكري:

وهى السلطة التى تخول لأوكتافيوس قيادة الجيوش، وكان ذلك بهدف إدارة الولايات التى كان لا يزال يصعب تحقيق السلام فيها مثل اسبانيا وبلاد الغال وسوريا ومصر التى تحولت لتصبح ولاية رومانيه Provincia Romana وقد منحت له لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد.

ولم يكن لديه حق استخدام هذه السلطة في الولايات السيناتورية ولكنه كان يتدخل في شئون إدارتها عن طريق السلطة المدينه Auctoritas والتى أفرد لها الاستاذ شيلفر مقالاً خاصاً[٢٩] وبهذه السلطة استطاع اوكتاڤيوس تركيز السلطة العسكرية في يده .

ثانياً: اللقب الأوغسطي Augustus (*):

وهو لقب انعم به السيناتوس على اوكتاڤيوس وقد اضفى عليه هيبة خاصة، لأنه كان يطلق في الاساس على الالهه، وقد اناب عنه ممثلين شخصيين Legati لحكم الولايات الرومانية التى أخذت في الاتساع وحتى في الولايات السيناتوريه الحديثه العهد بالنظام الروماني وضع اغسطس بها قوات رومانية لحفظ الأمن كانت تابعه للجيش الروماني الذى كان معظمه قابعاً في الولايات الإمبراطورية، وهكذا تحكم في الفرق الرومانيه Legiones التى كان يرأسها ضباط كان يختارهم اغسطس بنفسه .

ثالثاً: اللقب الامبراطوري:

– كانت أول مرة يلقب فيها أوغسطس بالإمبراطور بعد إنتصاره في موقعة موتينا Mutina في غالة القريبة سنة ٤٣ ق.م، وقد حول هذا اللقب إلى صفه دائمة، بل اتخذه كاسمه الأول Praenomen في عام ٣٨ ق.م[٣٠] .

---

(29) Chilver G.E.F., Historia, 1950, p. 420.

(*) اسم مشتق من الفعل اللاتينى Augeo ويعنى المهيب وترجمته باليونانية Sebastos وربما كان تعنى أيضاً المختار بحسن الطالع.

(٣٠) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٩ ، حيث يذكر أن اغسطس قد كتب مفاخراً «لقد نودى بى قائداً أعلى Imperator واحداً وعشرين مرة.

Appellatus Sum Viciens Imperator

فى حين يذكر مصطفى العبادى أنه تلقب به أوغسطس سبعاً وعشرين مرة، راجع مصطفى العبادى، مرجع سابق، ص ٨١، وفى وجهة نظره أيضاً ان اوغسطس اعتمد عموماً فى قوته على الجمع بين سلطتى الجيش والشعب واعتمد فى ذلك على السلطان البروقنصلى Imperium Proconsulare والتى منحته حق قيادة الجيوش والسلطة التريبونية والتى منحته حق تمثيل الشعب مع التمتع بحق الاعتراض Veto على اعمال السيناتوس، ص٨٢.

– وقد تلقب بهذا اللقب من قبله ماريوس وسولا وبومبيوس ويوليوس قيصر.

رابعاً: السلطة التريبونية:

منح السيناتوس اغسطس حقوق تريبون العامة والتى بموجبها يحصل على:

١– حق القداسة والمناعة ضد أى عقوبة Ius Sacrosancititas

٢– حق تقديم المساعدة العسكرية لمن يطلبها Auxilium

٣– حق الاعتراض Intercessio

٤– حق دعوى الجمعية القبليه للانعقاد Ius Agendi Cum Plebe

٥– حق سن القرارات Rogatio

٦– حق دعوة السيناتوس للانعقاد Ius Senatus Consulendi

خامساً: سلطة الامبريوم الأعلي:

. بفضل سلطة الامبريوم الأعلى تمكن اوغسطس من وضع حكام الولايات الرومانية الأخرى تحت تصرفه وقد حرص أغسطس على الا يسلم هذه السلطة على الاطلاق حتى مات.

وكان آخر منصب توج به اغسطس منصب أبو الوطن Pater Patriae وذلك فى العام الثانى ق.م وهو أعلى منصب سياسى.

إصلاحات اغسطس:

١- في المجال السياسي:

١– أدرك اغسطس أهمية السيناتوس بالنسبة لروما فاكتفى بتطهيره من العناصر المندسه فيه والتى تسللت إليه اثناء الحروب الاهليه فأصدر فى ٢٨ ق.م قائمة جديدة لاعضاء مجلس السيناتوس حذف منها حوالى مائتين عضو وجاء اسم اغسطس فى أعلى القائمة كرئيس للسيناتوس Princeps Senatus.

٢- أمسك اغسطس بالوظائف المؤدية لعضوية مجلس السيناتوس وحرص على ان يرشح لها المخلصين من رجاله دون غيرهم، وهكذا دخل الفرسان لأول مرة مجلس الشيوخ ليصبحوا اعضاء فيه وبذلك لم يعد السيناتوس منغلق على نفسه كما كان فى السابق.

٣- بدأ السيناتو يتحول إلى محكمة دستورية عليا يرأس اجتماعاتها القنصلان لمحاكمة مرتكبى المخالفات وحصوصا الخيانه العظمى Proditio Patriae، وكان الإمبراطور يرجع إلى استشاره السنياتوس ومشاركتة وليس إلى اتباع أوامره فيما يخص القضايا الهامة.

٤- انشأ اغسطس ٢٧-١٨ ق.م لجنه سيناتوريه إستشارية Consilium مكونه من كبار المسئولين ومن القنصلين مصافاً إليهم خمس عشرة سيناتوراً يختارون بالقرعه وقد حرص اغسطس ان يضع الحروف EX.S.C(*) فى نهاية أى قرار يتحده وعلى المبانى العامة وحتى على النقود وقد فعل اغسطس ذلك حتى يكسب السيناتوس إلى جانبه

٥- اعتمد على طبقه الفرسان Ordo Equester إذ كان فى حاجه ماسة إلى مفوضين عسكريين بسلطات خاصة لقيادة الفرق المقيمة فى الولايات الرومانية المختلفة، وكان أيضاً عليم بخبراتهم فى مجال الاقتصاد والمال فعهد إليهم بأعمال الوكلاء الماليين.

٢- في المجال العسكري:

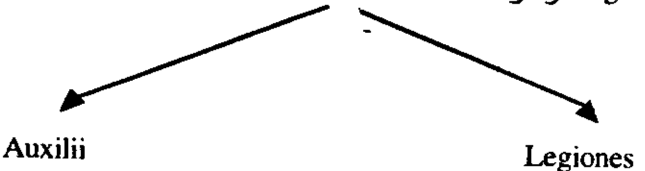
١- أدرك الامبراطور أن العالم قد ساده السلام وأنه ليس بحاجة إلى الحشد العسكرى ولذا بدأ عدد الفرق الرومانية يأخذ فى التناقص إلى أن أصبح ثمان وعشرين فرقة بعد أن كان ستين فرقه وبعد أن قام الامبراطور بتسريحهم كان يوطنهم فى مستعمرات اشتراها من ماله الخاص وليست مصادره بقوة السلاح.

(*) بناء على مشورة السيناتوس = EX.S.C. = EX Senatus consulto

٢- تخلص من الجند واعدادهم الكبيره عن طريق اقامة محميات فى المناطق الاستراتيجية على طول الامبراطورية وانشأ قاعدتين للأسطول الرومانى فى كل من Misenum ورافنا Revenna .

٣- أنشأ خدمة بريدية Cursus Publicus على طول الطرق والكبارى وعلى الممرات المائيه الهامة لنقل الرسائل ولتحريك القوات العسكرية بسهوله ولضمان توصيل المؤمن والعتاد إليها.

٤- بدأ سياسة التسكين العسكرى وابقى على نظام التطوع فى التجنيد بالرغم أنه أضطر إلى إلزام الناس على الانخراط فى الجيش فى بعض الاحيان وبدأ فى أختيار الضابط المدربين المحترفين فرفع بذلك مستوى الضباط كا أبقى على تكوين الجيش من جزئيه التقليديين وهما الفرق الرومانيه Legiones والقوات المساعدة Auxilii .



نشمل الجنود الرومان من داخل ايطاليا أو المقيمين فى ولايات الامبراطورية أو من حملة المواطنة الرومانيةCivitas Romana .

- كل فرقه مكونه من سته آلاف جندى

- أصبح عدد الفرق ثمانى وعشرين فرقة

تجند من الشعوب والقبائل غير الرومانيه التابعه للإمبراطورية وقسمت إلى Alae وهى المشاة وإلى وحدات خيالة

- عند تسريح الجنود فيها كانوا يمنحون الجنسيه الرومانية لهم ولأسرهم مكافأة لخدمتهم.

٥- اضاف إلى الجيش قوة جديدة وهى قوة الحرس البرايتورى Praetoriani وقسمها أغسطس إلى تسع وحدات من الخياله Cohortes يتكون كل منها من ألف راكب، وكان جنود الحرس البرايتورى يختارون من الايطاليين ويتقاضون رواتب عاليه.

٦- حرص أوغسطس دائماً على إرضاء الجنود إتقاءاً لشرهم فأدخل عام ١٣ ق.م نظام المكافأة المالية بدلاً من منح الجندى المسرح قطعة أرض معينه وكان جندى الحرس البرايتورى يتسلم ثلاثه ألاف دينار رومانى.

٧- أدرك أهمية تأمين وحراسة الشواطئ الايطالية وتأمين البحار من خطر القراصنه فأنشأ قوة بحرية دائمة وجعل قيادتها فى مدينة رافنا ومسينوم Misenum ولكن كان سر قوة الجيش الرومانى يكمن فى قواته المسلحة البرية وليست البحرية[٣١].

٣- في المجال الإداري:

- من انجازات اغسطس الكبرى تكوين جهاز إدارى دائم، ولم تكن فكرة الجهاز الإدارى جديدة تماماً، فمنذ الحرب البونية الثانية كان قد إعتاد حكام الولايات استخدام المحررين من العبيد والعبيد الذين يمتلكونهم كسكرتاريين ومحاسبين ومديرى اعمال لهم[٣٢].

- كانت هناك حاجة ماسة إلى الجهاز الإدارى فى روما أو ايطاليا وذلك من أجل الإشراف على الخدمات الحيوية مثل:

١- إمداد روما بالقمح Cura Annonae

٢- توزيع القمح على المواطنين الرومان Frumentario

٣- امداد روما بالماء Cura Aquae

٤- الشرطه والإطفاء.

٥- منع الفيضانات.

٦- رصف وصيانه الشوارع والأسواق العامة.

---

(31) Starr C. G, The Roman Imperial Navy, London 2nd ed., 1960, p. 60.

(٣٢) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٨٨.

أما أهمية الجهاز الإدارى فى الولايات فكانت ترجع إلى:

١- إدارة الممتلكات الخاصة بالأمبراطور.

٢- جباية الضرائب.

٣- تزويد الجيوش بالإمدادات والتموين.

٤- المنشآت العامة وبريد الإمبراطور

العناصر التي اعتمد عليها أوغسطس في جهازه الإداري:

١- اعضاء السيناتوس. ٢- طبقه الفرسان. ٣- المحررين من العبيد.

أ - وظائف أعضاء السيناتوس في الجهاز الإداري:

١- رئيس الشرطة

وكان تحت امرته قوة من رجال الأمن من ثلاث فصائل قوة الفصيلة ألف جندى وكان يختار دائماً من فئة القناصل.

٢- مدير هيئة المياة: وكان يعاونه عضوان من السيناتوس بالاضافه إلى ٢٤٠ عبد مدربين لخدمة قناطر المياه ومحطات مياه المدينة،

٣- هيئه منع الفيضانات: وهى هيئة أخرى مكونه من خمسة أعضاء من السيناتوس من طبقه القناصل.

٤- هيئه إمداد القمح: برئاسة عضوين من السيناتوس من طبقه القناصل وكان لهذه الهيئة مكاتب فرعية فى ميناء بيوتولى وكذلك فى ولايات ا لامبراطورية المنتجة للقمح.

ب- وظائف الفرسان في الجهاز الإداري:

١- سلك النيابة القضائية التى كانت جزء من الإدارة المدنيه.

٢- ضباط فى الحرس البرايتورى أو فى شرطه المدينه أو فرق الاطفاء.

٣- مشرفين ماليين Procuratores أو مندوبى الامبراطور فى الولايات. وكان يحق للمشرف المالى أن يحكم ولاية رومانية خاصة إذا كانت

---

(٣٣) مصطفى عبد الحميد العبادى، نفس المرجع السابق، ص ٩١.

جـ- وظائف المحررين من العبيد:

١- فى البداية تولوا الأعمال الأكثر تواضعاً ثم تولوا بعد ذلك مناصب ذات ثراء وسلطان ومنها الأعمال الكتابية للمراسلات الإمبراطورية.

٢- أصبحوا هم المسئولون عن إدارة الإيرادات والمصروفات فى الإمبراطورية، الذهب من أسبانيا ودالماتيا، القمح من افريقيا ومصر، الضرائب والجزية من الولايات والملوك التابعون لروما، اللؤلؤ من المحيط الهندى.

٣- أصبحوا يقررون ما تنفقه الدولة فى المجالات المختلفه مثل السلاح - قناطر الماء - المعابد - القصور - المباريات الاحتفالات - الطرق والكبارى - الموانئ - وزن العملات الذهبيه والفضيه - الضرائب والجزية القادمه من الولايات - رواتب الولاة ورؤساء الإدارات العسكرية Praefecti والمشرفين الماليين.

٤- تلقى الالتماسات والرجوات سواء كانت فى صوره شكاوى ضد الابتزاز من مجالس الولايات أؤ طلبات لتولى مناصب مدينة أو كهنوتيه أو رجوات لعتق العبيد(٣٤).

في المجال الاجتماعي والاخلاقي والديني:

أ - الإصلاح الديني:

- لقد كان المجتمع الرومانى قبل اغسطس مجتمعاً محطماً خلقياً واجتماعياً، لم يعد يهتم بممارسة الشعائر الدينية التى خلفها له الأولون حقيقة أن آلهه الرومان القديمة لم تكن قد ماتت تماماً ولكن الظروف الجديدة ساعدت على مولد آلهه جديدة.

- شهدت هذه الفترة مولد «عبادة الدولة» فى شخص الربة Roma وجوبيتر الكابيتولى Juppiter Capitolinus ولم يكن هذا الاتجاه السياسى

(٣٤) مصطفى عبد الحميد العبادى، نفس المرجع السابق، ص ٩٣.

الدينى جديداً على الرومان الذين كانت ديانتهم دائماً وابداً تعبيراً عن القومية والوطنيه ورمزاً للقوة والسيطرة.

لقد تعرضت الألهة الرومانية القديمة لتيارات منافسة قادمة من الشرق الغنى بالتراث الدينى والروحى إذ تسللت آلهه جديدة سرعان ما فرضت نفسها على المجتمع الرومانى الريفى كما ان الناس بدأوا فى تقبلها وذلك لأنها كانت تشبع متطلباتهم من الغذاء الروحى الصوفى.

لم تجد المذاهب والطوائف الدينية وقتاً أنسب للإزدهار من مثل هذا العصر، فظهرت الفيثاغوريه الجديدة والأورفية وأصحاب نظرية قدوم المخلص المنتظر وقد بلغت هذه التيارات الدينية الفلسفيه أقصى رواجها فى أعقاب الحروب الأهلية.

ومن أهم المؤثرات التى تثبت امتزاج الدين بالدنيا ظهور نوع جديد من الشعائر والعبادات التى تهدف إلي غرض مادى دينوى، إذ ازدهرت فى هذا الوقت ربه جديدة هى ربة الحظ السعيد Fortuna كذلك ازدهرت عبادة مركوريوس (هرميس الاغريقى) رب الرخاء والخير المفاجئ، واللاريس Lares ربات وراعيات الأسرة والبيناتيس حاميات الديار والحياة المنزلية وكلها كانت تحرز تقدماً كلما عصفت الثورة وظهرت آثار الحرب الاقتصادية القاسية على المجتمع.

- كان اغسطس صبياً عندما كانت تجتاح المجتمع الرومانى مثل هذه التيارات لذا اتجه إلى ميدان البعث والاحياء من التراث القديم. وكانت الخطوة الأولى هى ترميم المعابد والأماكن المقدسة واصلاح ما عبثت به الحروب ونعرف من سجل اعماله أنه رمم اثنين وثمانين معبد بالإضافه إلى المعابد الكبرى مثل معبد جوبتير الكابيتولى وهو مركز عبادة الدولة الرسمية ومعبد الأم الكبرىMagna Mater.

- كذلك لم يأل جهداً فى كسب عشاق التيارات الدينية الجديدة وعبادة الآلهه الوافدة من الشرق فأقام المعابد والمحاريب لربات الخير والبركه مثل فورتونا ربة الحظ وباكس ربة السلام Pax ومركوريوس رب الخير الوفير.

– عموماً يمكن القول بأن اغسطس لم يترك تياراً دينياً إلا وجنده لتدعيم مركزه إذ مهد اغسطس لعبادته بأن جمع كل الاتجاهات الدينية والعقلانية فى عبادة الاله يوليوس (قيصر) Divus Iulius[35].

ب- الاصلاح الخلقي والاجتماعي:

كان طبيعياً يتجه اغسطس إلى حقل الأصلاح الخلقى والاجتماعى لاستكمال حلقه الأصلاح التى كان المجتمع الرومانى فى أشد الحاجة اليها، وذلك بعد ان ضاعت القيم اثناء الحروب الأهلية واستهتر الناس بالاخلاق والمثل، وكذلك فقد تفككت الأسرة الرومانية خاصة تلك التى فقدت عائلها، وقل عدد الرجال بينما تزايد عدد النساء مما أدى لانتشار الفساد الخلقى وقد أصدر اغسطس فى هذا الصدد مجموعة من القوانين يمكن أن نوجزها على النحو التالى:

١- مجموعة قوانين يوليوس الخاصة بالزواج

Leges Iuliae De Maritandis Ordinibus

– وقد شجعت هذه القوانين الشباب على الزواج بأعطاء امتيازات للمتزوجين على حساب العزاب.

– كما شجعت المتزوجين على الإنجاب فجعلت الذين انجبوا ثلاث أبناء فأكثر لهم أولوية الترقى فى الوظائف العامة وهو ما عرف «بحق الأبناء الثلاث» Ius Trium Liberum.

– أشتملت على قوانين تحارب الزنا وخيانة النساء لأزواجهن وأيدت حق الأب فى أن يقتل ابنته الزانيه والرجل الذى ارتكبت معه جريمة الزنا إذ ضبطهما لحظه ارتكاب هذا الأثم.

– شملت قوانين خاصة بالحد من الاسراف ومظاهر البذخ خاصة وان

---

(٣٥) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٩٢ – ١٠٢.

البساطه Simplicitas كانت صفة جوهرية من صفات الرومانى القديم التى حاول اغسطس أحياءها.

٢. مجموعة قوانين عتق العبيد:

ادرك اغسطس الخطر الذى يحدثه تزايد عدد العتقاء من العبيد ولهذا الغرض اسس قانونين هما:

١ – ايليوس سنتيوس Lex Aelia Sentia

٢– فوفيوس كانينيوس Fufius Caninius

بهدف تقييد عتق العبيد والحد منها حرصاً على رفع خامة الجمهور الرومانى كما أصدر قانون يوليوس نوربانوس Lex Iulia Norbana الذى الغى العتق ما لم يستوفى الإجراءات الخاصة بذلك والتى كان الرومان يتجاهلونها تهرباً من دفع الرسوم المقررة[٣٦].

وانتهت حياة أغسطس ذلك الرجل الذى بفضل كفاحه وذكائه استطاع وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره أن يرسى دعائم امبراطورية قوية عالية قدر لها أن تبقى خمسة قرون من الزمان قبل أن تسقط، وظلت اصلاحاته وأفكاره الواجهة العظيمة للإمبراطورية التى لا يقدر أحد على التبديل أو التغير فيها لما يقرب من ثلاثة قرون من بعده حتى اعاد دقلديانوس النظر فيها بعد أن تغيرت الظروف وساءت الأحوال.

- خلفاء أغسطس:

أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية ١٤م - ٦٨م:

بعد وفاة أوغسطس تولى الحكم أربعة أباطره من أسرته فى الفترة من ١٤–٦٨م وتلقبوا بأسم الأباطره اليوليوكلاوديين نسبة إلى يوليوس (عشيرة أغسطس) وكلاوديوس (عشيرة ليڤيا زوجته) وهم:

---

(٣٦) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٠٦.

تيبريوس وكاليجولا وكلاوديوس ونيرون، ولم يشهد عهدهم أى نزاع أو خلاف حزبى إذ أرسى أغسطس بالفعل نظام تولى العرش. ولكن هذه الأسرة ومع مرور الوقت بدأت فى الضعف وانهارت فى عام ٦٩ بظهور فسباسيانوس الذى نصب نفسه امبراطوراً بقوة السلاح بعد اغتيال نيرون ليؤسس بذلك اسرة جديدة وهى الأسرة الفيلافية.

- تيبريوس ١٤م - ٣٧م.

- اسمه تيبريوس أغسطس قيصر تولى الحكم وهو فى سن الخامسة والخمسين.
- لم يغتصب الكثير من سلطات السيناتوس كما فعل أغسطس من قبل.
- لم يشهد عهده احداثاً مؤثره لإن الأمور كانت قد استتبت بالفعل فى عصر اغسطس ما عدا تمرد لبعض القوات الرومانية على ضفاف الراين.
- قبل وفاته أوصى ان يؤول العرش إلى جايوس كاليجولا.
- كان يعانى من التردد وعدم الثبات على رأى ولكنه كان مع ذلك حارماً فى تطبيق القانون.
- فيما يخص السياسة الخارجية حاول أن يسير على نهج سلفه اغسطس.
- حرص على استمرار المجلس الاستشارى القديم الذى انشأه اغسطس من بين اعضاء مجلس السيناتوس بغرض دراسة شئون الامبراطورية(٣٧).
- فيما يخص سياسة المالية والاقتصادية فقد كان تيبريوس شحيحاً إذ خفض النفقات العامة مثل التى كانت تخصص للانفاق على التسلية والمهرجانات الرياضة التى اعتاد الشعب الرومانى عليها وكانت نتيجة الحرص المالى ان تراكمت المدخرات فى الخزانة العامة.
- لم يكن على وفاق مع السيناتوس بعكس اغسطس الذى كان ذكياً، وقد هاجم تيبريوس السيناتوس علناً ورفض فى بعض الأحيان أن يجتمع به بل ضاق ذرعا بتصرفات بعض زعمائه من أمثال ارونتيوس وغريمه اسينيوس جاللوس(٣٨).

---

(٣٧) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٣٨) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٤٣.

- جايوس كاليجولا Gaius Caligula، ٣٧ - ٤١ م

– تولى عرش الإمبراطورية ولم يتعد عمره الخامسة والعشرين ربيعاً وساد الفرح والرضا الناس بعد اختياره.

– بدأ عهداً جديداً فأطلق سراح المسجونيين السياسيين والغى نظام المخبرين، وخفض الضرائب عن كاهل الناس، وزاد اعتمادات النفقات العامة.

- اعاد نظام الأنتخابات عن طريق المجالس الشعبية.

– أبدى روحاً عصرية وتقدميه فى حبه للمسرح والرياضة والمهرجانات بعكس تيبريوس تماماً ومن ثم أصبح معبود السيناتوس والجماهير الرومانيه فى أوائل حكمه[٣٩].

– لم يكد يمضى سته أشهر على توليه العرش حتى داهمه مرض شديد أثر على قواه العقليه والنفسيه ونهض منه وقد ظهرت عليه علامات الجنون، وبنى جسراً عالياً ربط ما بين القصر الإمبراطورى فوق تل البلاتين ومعبد چوبيتر الذى أعلن أنه شقيقه.

– أهم أعماله قيامه بأصلاح الطرق الهامة فى اسبانيا، وبنى فناراً فى بولونيا لارشاد السفن القادمة من بريطانيا، وعاقب مقاولى انشاء الطرق الايطاليين ممن فشلوا فى تنفيذ عقودهم على الوجه الأكمل ثم شرع فى بناء جسرين لنقل المياه Aquaduct فى روما.

– انشأ العديد من الولايات والممالك فى تراكيا وأرمينيا ليعين عليها اصدقائه وعين صديقه اليهودى هيروديس اجريبا ملكاً على ربع يهوذا (جوادايا) Judaea.

– أدى اصراره على الزام الشعوب فى الإمبراطورية على اعتباره رباً فى

(٣٩) حسين أحمد الشيخ، الرومان، ص ٦٠.

صورة البشر إلى نشوب خلاف بينه وبين اليهود الذين كانوا قد أعفوا من هذا الألزام.

- زادت كراهية الرومان للامبراطور جايوس كاليجولا لتصرفاته التعسفية ومحاولته ملء الخزانه عن طريق مصادرة الأموال وفرض الضرائب على الناس وتزوير الوصايا حتى قتل على يد الحرس البرايتورى.

- كلاوديوس Claudius: ٤١ - ٥٤ م

- تلقى تعليمه على يد المؤرخ الرومانى تاكيتوس، وكانت له دراسات فى سير العظماء وفى الآثار والتاريخ ومن أشهر أبحاثه بحثه عن اغسطس، وعن تاريخ قرطاجة ودولة الاتروسكيين.

- كان محباً للشراب ومتيماً بالمراهنات ولعب النرد حتى أنه ألف فيها كتاباً وكان سادياً محبا لمشاهدة المهارزات الدامية ويطيل التأمل فى وجه القتلى من المتبارزين.

- تمتع بموهبه كبيره فى كسب عطف الناس، وكان متيماً بحب اغسطس لدرجة أنه جعل اسمه القسم الأعظم، وقد ثبت أنه أعظم الأباطره الذين حكموا روما فبسياسته الليبراليه ومثاليته وحسه المتواصل على العمل وأداء الواجب أصبح يتفوق على سابقيه حتى اغسطس نفسه.

أما عن سياسته واصلاحاته:

- أظهر الامبراطور احترامه وتبجيله للسيناتوس وفعل كل ما بوسعه ليجعله يشارك فعلياً فى الحجكم ولكن ما اغضب السيناتوس هو اتجاه هذا الإمبراطور الى الاعتماد على العبيد والعتقاء فى تسيير شئون الإمبراطورية.

- أوقف المهازل التى كانت ترتكب ضد المواطنين الأبرياء بأسم الخيانة العظمى وحد من نفوذ المخبرين المحترفين.

أهم تجديداته هو تطويره لوظائف الأمناء التى كان اغسطس قد أوجدها

وحولها إلى دواوين لها اختصاصاتها وجعل لها رؤساء، هم نخبة رجال الامبراطور من العتقاء والطموحين وكان مديروا الدواوين رجالاً ذوى نفوذ قوى على الامبراطور وبالتالى أصبح لهم تأثير كبير فى رسم السياسة العامة للامبراطورية.

- بدأ عهده بحركه واسعة للإنشاء والتعمير فأكمل جسور مجارى المياه التى كان ابن أخيه كاليجولا قد شرع فيها ورمم القديم منها.

- أعطى اهتماماً خاصاً للتجارة الدولية إذ لم تعرف الامبراطورية حركة انتعاش واهتمام بالتجارة والمواصلات مثل تلك الحركة التى قام بها كلاوديوس.

- فيما يخص سياسته الخارجية - فقد كانت خروجاً على الانغلاق والجمود فقام بضم بريطانيا للامبراطورية الرومانية بهدف استغلال خبرات أهالى هذه الجزيرة وأنشأ هناك معبداً لروما ولأغسطس وبهذا دخلت عبادة الامبراطور فى الولاية الجديدة بل والعبادات السكندرية خاصة ايزيس التى عبدت بشدة فى بريطانيا وتركت آثراً قوياً فيها حتى بعد انتشار المسيحية.

كذلك أقام علاقات وثيقة مع ممالك البحر الأسود خاصة مملكه كريميا عند مخرج هذا البحر تجاه روسيا وكان يهدف إلى جعل البحر الأسود بحيره رومانيه وقام بتطهيره من عصابات القراصنه.

- على المستوى الشخصى كان حظه سيىء فى الزواج إذ تزوج أربع مرات ولم يكن من بين هذه الزوجات زوجة واحدة صالحة، بل كلهن كانوا سيئات، فاسدات، وطموحات وشريرات وقد انجب من زوجته الثالثه وتدعى ميسالينا ولداً وبنتا هما Britannicus وأوكتافيا Octavia وقد بلغ درجه الاستهتار بهذه الزوجه أنها أقامت علاقات مع رجال البلاط وشاعت علاقاتها الغرامية مع شاب ارستقراطى يدعى جايوس سيليوس Gaius Siliusوانتهزت ذات مرة غياب الإمبراطور فى رحلة تفتيشية إلى ميناء Ostia وأقامت حفلا لزفافها على هذا

الفتى فى القصر الأمر الذى آثار حنق رجال الامبراطور فقرروا التخلص منها[٤٠] .

- نيرون Nero، ٥٤ - ٦٨م

– تولى الحكم بعد موت كلاديوس مسموماً وأصبح يسمى نيرون كلاوديوس قيصر Nero Claudius Caesar ووعد الحرس البرايتورى بمكافأة ضخمة[٤١] .

– كان محباً للفنون وتلميذاً للفيلسوف والأديب الرومانى سينكا Seneca، وقد مارس نيرون حياة اللهو والبذخ الخرافى الذى نتج عنه افلاس الخزينه العامة وبالتالى اضطر إلى تخفيض قيمة العملة الرومانيه ثم لجأ إلى عمليات المصادرة من أجل تعويض هذا الافلاس[٤٢] .

– كان منبع جنون نيرون ولعه الشديد بالثقافه والفن الأغريقى حتى فقد اتزانه، إذ تمنى أن ينقل بلاد اليونان وحضارتها والاسكندرية وفنونها ومؤسساتها إلى روما.

– حدث فى عهده حريق ضخم دمر حوالى عشرة أحياء وكانت خسائره مروعه واشغل مستشارو الامبراطور ذلك بأتهام المسيحيين بأشعال هذا الحريق عمداً نكاية منهم فى كراهية الشعب الرومانى لهم. ورأى البعض أن اليهود كانوا وراء الصاق هذه التهمة بالمسيحيين فقدم المئات من المسيحيين الرومان إلى المحاكمة بتهمة «الاتيان بأفعال فوضويه» وانزل بهم عقوبات بربرية، وكان هذا بداية اضطهاد الرومان للمسيحيين ويقال إن القديس مرقص ورفيقه القديس بولس هلكا خلال عمليات الاضطهاد الأولى تلك[٤٣] .

---

(40) Tacitus, Annales, XI, 26 - 27, Suetonius, Claudius, 29 :2 36, Dio Cassius, IX, 31.5.

(٤١) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ٦٢.

(42) Levick Barbara, The Governement of the Rornan Empire, Croom Helm, London, 1985, pp. 15-17.

(٤٣) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٦٥.

- وفيما يخص حكم الولايات الامبراطورية فى عهد نيرون فقد تدهورت الادارة الرومانية للولايات ولم يهتم نيرون بالشعوب التابعه له اللهم إلا الاغريق، وإزاء هذه السياسه اندلعت حركات التمرد والثورات ضد الرومان خاصة وان هذا الامبراطور اعفى بلاد اليونان من ضريبة الرأس(٤٤).

ومن الثورات التى قامت ضد الرومان فى عهد نيرون.

١- ثورة بريطانيا عام ٦١م بزعامة ملكة الايكينين Iceni المسماة Boudicca بوديكا.

٢- فى الشرق اندلعت الصراعات فى مملكه أرمينيا بين روما والبارثيين.

٣- ثورة فلسطين كلها عام ٦٦م بسبب سياسة الامبراطور الفاشله وجهل موظفيه وقسوة قواته وجشع جامعى الضرائب.

٤- ثورة بلاد الغال بزعامة فندكس Vindex التى شهدت مقتل نيرون لتنتهى بذلك الأسرة اليوليوكلاوديه التى انشأها اغسطس.

كان العام الذى اعقب مقتل نيرون ٦٨ - ٦٠م عام فتن وفوضى فى روما، تعاقب فيه على العرش اربعة اباطره هم:

جالبا أوتو فيليتيوس فسباسيانوس

وقد عرف هذا العام بأسم عام الأباطره الأربعة، فلم يكن الامبراطور يستقر على عرشه سوى اسابيع أو اشهر قليلة وذلك بسبب تدخل الجيوش الرومانيه فى الغرب فى شئون السياسه والحكم فكان الجنود يتحكمون فى تعيين وعزل الأباطره حسب اهوائهم(٤٥).

---

(44) Momgliano A.J.R.S., 1944, p. 115.

(٤٥) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ١٣٤، جالبا فى أبريل ٦٨م حتى يناير ٦٩، أوتو من ١ يناير حتى ابريل ٦٩ م فيتيلليوس من ابريل حتى ديسمبر ٦٩ من ديسمبر ٦٩م فسباسيانوس راجع: سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ١٨١ - ١٨٥.

الأسرة الفلافية:

وشملت ثلاثه أباطرة هم فسباسيانوس وتيتوس ودوميتيانوس. وقد حكموا من ٧٠ إلى ٩٦م.

- فسباسيانوس ٧٠ - ٧٩ م Vespasianus:

تولى العرش وهو فى الستين من عمره عام ٧٠م وواجه صراع القادة العسكريين. كما وجد الخزانه العامة مفلسة وخاوية ووجد الروح المعنوية العامة لدى الرومان منهارة، وما أن تولى العرش حتى حذى حذو جالبا وأوتو وفتيلليوس بل واباطرة الاسرة اليوليوكلاودية فلقب نفسه باسم قيصر حيث أصبح هذا الأسم لقباً ورمزاً للسلطة أكثر منه نسبةً.

– وقد حرص فسباسيانوس على أن يرى السيناتوس يصدر قراراً باختياره وان تصدق الجمعية العامة على هذا القرار.

– وحاول ان يتشبه باغسطس فراح ينشر الاشعاعات على أنه رجل المعجزات تباركه عناية السماء وراح يذكر الناس ان بمقدمه:

١ – اختفت حركات التمرد والحروب فى المانيا وبلاد الغال البلجيكيه والشمالية.

٢ – كادت ثورة اليهود ان تسحق فى فلسطين.

فاعلن ان عهده هو عهد السلام ومن أجل ذلك بنى معبداً للسلام وساحة كبيرة سماها ساحه السلام Forum Pacis.

– اصلاحاته العسكرية تمثلت فى الآتى:

١ – تفادى تجنيد البروليتاريا الرومانيه والرعاع الايطالية لأنها مصدر الفوضى ومحية للشغب مما يشكل خطراً على سلامة الامبراطورية وفضل الاعتماد على الطبقه الوسطى المثقفه المهذبة وانشأ الاكاديميات العسكرية Collegia Inventum لتخريج كوادر الضباط المدركين لرسالة الجيش.

٢- تناولت اصلاحاته تطهير الحرس البرايتورى واعطاء لواء قيادة فرقه لابنه تيتوس.

- أما عن اصلاحاته المالية فقد تمثلت فى الآتى:

١- الغاء الاعفاء الذى منحه نيرون لبلاد اليونان من دفع الضرائب.

٢- أكد بسلوكه البسيط للشعب الرومانى أن أموالهم لن تنفق إلا فيما هو يستحق وواجب ،ولذا فهجر القصور الفخمة التى بناها نيرون ولجأ إلى بيت بسيط.

٣- اعاد تعمير المنشأت والطرق العامة واعاد بناء الكابيتول ومن اشهر المنشأت التى خلفها للانسانية ذلك الأثر الخالد المعروف بأسم الكولوسيوم Coliseum والذى كان الغرض من بناءه هو اعداد مكان مناسب لعرض مباريات المبارزين Gladiatores وهو يسع لخمسين ألفاً من المشاهدين[٤٦].

وفيما يخص نظرته للتعليم فقد كان أول امبراطور يحرص على جعل التعليم خدمة من الخدمات التى يجب أن تقدمها الدولة للمواطنين لأنه أدرك مدى أهمية التعليم فى نشر الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية فى كافه ولايات الامبراطورية، كما أنه وضع نواة التعليم العالى بتأسيس وظيفة أستاذ البلاغة والخطابة والتى كان أول من شغلها الخطيب الأسبانى الأصل فابيوس كوينتليانوس ٣٥-٩٥م مؤلف كتاب «معاهد الخطابة»Institutio Oratoria[٤٧].

- واجة مشكله رفض الكلبيون فكرة توريث العرش لابنه وقاد الحملة فيلسوف بارز فى مجلس السيناتوس اسمه هلفيديوس بريسكوس Helvidius Priscus والذى دعى الى عودة المبادئ الجمهورية القديمة ووصلت درجة التهور به أنه لام الامبراطور علناً ووجه له الشتائم مما اضطر الامبراطور إلى

---

(٤٦) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٤٧) سيد أحمد الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

الانتقام منه بنفيه من روما إلى ايطاليا ثم أمر باعدامة، ولكنه حزن عليه حزناً شديداً بعد ذلك لما عرف عنه من رحمة وعفو(٤٨).

- وفيما يخص علاقته بالسيناتوس فقد كانت نظرته إلى السيناتوس يسودها الاحترام وكان يعتبر السيناتورس مستودعاً للخبرة والقدرات وليس شريكاً فى حكم البلاد.

- عموماً كان رجلاً صارماً محباً للعمل منكباً عليه ويرى بلينى أنه كان يبدأ يومه قبيل الفجر(٤٩) وهو صاحب عبارة «ان الامبراطور يجب أن يموت وهو واقفاً على قدمية»(٥٠).

وبعد موته اعلن الرومان تأليهه وكان جديراً بذلك لأنه لم يكن أقل شأنا من غيره من الأباطره بل أكفأهم منذ اغسطس وكان جديراً ان يسمية الناس بمؤسس الامبراطورية الثانى(٥١).

تيتوس Titus ٧٩ - ٨٠م:

- كان وسيماً، ساحر لشخصة، وكان قائد الحرس البرايتورى الذى حمى اباه فى المؤامرات بحماس شدايد وتناقلت اخبار حبه العنيف لبرنيكى اليهوديه شقيقه چوليوس اجريبا الثانى ملك مملكه يهوذا فأحتج الناس على اساس أنهم اعتبروها كليوباتره الجديدة وبرزت فى الشرق من جديد.

- ما ان تولى العرش إلا وهجر فراش برينيكى وسار على منهاج ابيه فى انفاق الأموال العامة وحرصه عليها فاهتم بالمشروعات العمرانية وشبكات الطرق عبر الامبراطورية كلها، وأكمل بناء الكولوسيوم وافتتحه فى احتفال استمر مائه يوم وانشأ بروما حمامات عرفت بأسم حمامات تيتوس.

---

(٤٨) نفس المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(49) Pliny, Epistulae, III, 5,9.

(50) Suetonius, Vespasianus, 1, 23 - 24.

(٥١) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢١٣.

- قضى على نظام المرشدين والمخبرين السريين الذين تفشى خطرهم ضد أمن المواطنين وامتدت سماحته إلى احترام الديانات المختلفة لشعوب الامبراطورية.

- تعرضت الامبراطورية فى عهده لكارثتين عنيفتين.

الأولي، فى أغسطس سنه ٧٩م عندما ثار بركان فيزوف والقى بحممه فدفن ثلاث مدن تماماً هى مدينة بومبى وهركولانيوم وستابيى Stabii(٥٢).

الثانية، فى عام ٨٠م عندما اندلع حريق روما الثانى والذى استمر ثلاثه أيام واتت النيران على معبد چوبيتر الذى بناه ابوه وسرعان ما مد يد العون لأسر الضحايا.

توفى عن عمر يناهز الثانية والأربعين على أثر حمى اصابته وبكاه السيناتوس والشعب الرومانى ورفع لمصاف الألهه.

دوميتيانوس Domitianvs ٨١ - ٩٦م:

هو أخو تيتوس وكان محباً للسلطة والنفوذ فغير لقب منصب الرقيب إلى الرقيب الأبدى Censor Perpetuvs، وبالرغم من أنه نظر إلى السيناتوس نظره الوقار والاحترام إلا أنه لم يترك له الفرصة فى التلاعب أو الخروج عن الحجم الذى اراده له ولذا اصدر السيناتوس لعنته عليه بعد موته Damnatio Memoriae.

- وإلى جانب حرصه على تأييد الجماهير حرص على ارضاء الجيش وقادته فاهتم بتنظيم وسائل الامداد العسكرى حيث انشأ قيادة لشئون الجنود المغتربين Castra Peregrinorum لتتولى الإشراف على تجهيز القوات المسافرة.

- ورث عن ابيه واخيه المهارة الإدارية والمالية وأصر على جمع

---

(52) Pliny, Epistulae, VI, 16.

الضرائب أولاً بأول، وحاول اصلاح الاقتصاد الرومانى بالعناية بالزراعة وفيما يخص تشريعاته وقوانينه فقد كانت ممتزمته صارمة، وقد طبق نظام المجندين السريين ولكنه كان ينزل العقاب الصارم بكثير منهم خاصة أولئك الذين يلصقون التهم بالأبرياء من الناس وقال «ان الامبراطور الذى لا يعاقب المخبرين هو الذى يثيرهم[٥٣].

وإزاء حرص الامبراطور على فرض سلطاته المطلقه ورفض اليناتوس لهذا الاتجاه بدأ دوميتيانوس يتجه نحو الارهاب والمحاكمات الصوريه والإعدام بالجملة بتهمة الخيانه العظمى، مما شكل رأياً عاماً مضاداً له، حتى ان بعض المحيطين به لم يروا بدأ من اغتياله وفعلاً تم اغتياله فى عام ٩٦م على يد زوجته واثنين من قادة الحرس البرايتورى لينتهى به عصر الأسرة الفلافيه ويبدأ عصر جديد وهو عصر الاباطرة الصالحين وأولهم نيرفا Nirva واشهرهم تراجانوس Traianus وهادريانوس Hadrianus [٥٤].

عصر الأباطرة الصالحين ٩٦م - ١٨٠م:

ويطلق عليها فترة العصر الذهبى للامبراطورية الرومانيه[٥٥] وتبدأ مع تولى الامبراطور نيرفا Nirva عرش الامبراطورية وتنتهى بموت الامبراطور ماركوس اوريليوس Marcus Arilius عام ١٨٠م.

- نيرفا ٩٦ - ٩٨:

– هو ماركوس كوكيوس نيرفا ينحدر من أسرة عريقه عملت بالقانون آبا عن جد، ويمت عن طريق المصاهرة إلى الأسرة اليوليوكلاودية وجعلته كفاءته على علاقه طيبة بالفلافيين.

---

(53) Suetonius, 9, "Princeps qui delatores non.Castigat, Irritat.

(٥٤) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٤.

(55) Voget Joseph, The Decline of Rome, p. 25 ff English edition, London, Weidenfed and Nicolson, 1967.

- كانت أول محاولاته هى التشاور مع شيوخ السيناتوس والتعاون معهم ولهذا بدأ فى شراء الأرض وتوزيعها على المعدمين من الرومان كما بدأ مشروع بمقتضاه أصبحت الدولة تفرض رعايتها على أبناء فقراء الاقاليم وتمدهم بالمعونه والتعليم(٥٦) .

- كان محبوبا من السيناتوس ومن الشعب الرومانى وذلك لأنه أوقف محاكمات الخيانه العظمى تلك التهم الملفقه التى كان الأباطرة السابقون يستخدمونها لتصفية أعدائهم واعاد كذلك كل المنفيين السياسيين والفلاسفة المطرودين.

- ويعتبر مشروع نيرڤا بأنشاء لجنه لمساعدة الفلاحين الايطاليين الفقراء ورعاية ابناء المحتاجين وتعليمهم من أعظم انجازاته وقد عرفت هذه بالمعونة Alimenta (٥٧) .

- بدأ مرحلة جديدة فى نظام تولى العرش عن طريق التبنى من خارج الأسرة فاختار خليفه له من أحد قادة الحرس البرايتورى الحازمين وهو تراچانوس حاكم المانيا(٥٨) .

- تراچانوس ٩٨ - ١١٧م:

- هو أول امبراطور يجلس على عرش الامبراطورية ينحدر من أصول غير رومانية وبالتحديد من اسبانيا. تقلب فى العديد من المناصب قبل أن يختاره نيرڤا ويتبناه ويشركه معه فى الحكم كولى للعهد. ويعنى وصول تراچانوس للعرض بداية لانتهاء سيادة اثرياء الايطاليين والرومان واحتكارهم للوظائف العليا فى الامبراطورية وبداية تولى طبقه من النبلاء والاعيان القادمين من الولايات الغربية.

---

(56) Hands A. r., Charities and Social Aid in Greece and Rome, Thames and Hudson, London, 1968, p. 20.

(57) Henderson B. w., Five Emperores, London, 1927, pp. 212.

- سلك تراجانوس مع السيناتوس سياسة الاحترام والتقدير وتعاون معه وحظى أيضا بحب الجماهير الرومانيه، ومنحه السيناتو لقب «أفضل الاباطره» Optimus Princeps وذلك سنه ١٠٠ م إذ الغى كل احتفالات التأليه السابقه مما جعل السيناتوس والشعب الرومانى يثق فيه ويؤمن ببعده عن التجبر.

- وسع من نظام المعونه الغذائية والرعاية التعليمية لأبناء الفقراء فى الاقاليم، وقدم للفلاحين المساعدات والسلفيات المالية نظير نسبه محدده من الفائدة بهدف انعاش الزراعة فى ايطاليا كى تنافس نظيرتها فى الولايات الرومانية الغربية.

- حرص على تحسين الطرق والكبارى والجسور والموانئ فى الولايات الرومانية وساعد أصحاب المطاحن والمخابز على تحسين وسائلهم وبدت روما فى عهده ذات مركز اقتصادى هام. إذ اهتم بتجميل العاصمة وأقام فيها ساحة جديدة Forum ، وأقام جسراً لمد الأحياء الفقيره على الناحية الأخرى من نهر التيبر بالمياه عرف بأسم جسر مياه تراجانوس Aqua Traiana .

- احسن معاملة سكان العاصمة فأقام لهم المهرجانات ابتهاجاً بالمناسبات وانفق عليها ببذخ شديد، هذا وقد كان هو أول من حطم الجمود الأوغسطى وعاد بالبلاد إلى سياسة التوسع، فأضاف مملكه داكيا إلى الولايات الرومانيه ووسع من حدود ولايه نوميديا وتوسع فى الشرق فضم مملكه الانباط فى شرق الأردن.

وشهد عهده ثوره اليهود الكبرى فى ١١٥ م والتى بدأت فى قورينه فى برقه وامتدت إلى قبرص ومصر وفلسطين إلا أنه قمعها بكل عنف .

وعموماً فقد كان تراجانوس طموحاً مثل الاسكندر الأكبر يجمع بين الخيال والواقع إذ اندفع فى حملاته التوسعيه العملاقة، لكن هذا التوسع كلفه حياته وكلف الامبراطورية شللاً عسكرياً بعد ان اتسعت أكثر من اللازم وأصبحت بحاجه إلى طاقه عسكرية لتدافع بها عن ممتلكاتها تلك.

- هادريانوس ١١٧ - ١٣٨م:

– تمتع باحترام كبير بين قوات الجيش وبين جموع الشعب الرومانى وشعوب الولايات، فقد كان تاريخه العسكرى مشرفاً للغاية ولاقى قرار تعيينه ترحيبا واسعاً.

ورث هادريانوس تركه مثقلة عن سلفه تراچانوس صاحب سياسة الاندفاع العسكرى التوسعى فقد كلفت هذه الحروب التوسعية الاقتصاد كثيراً، كما اهلكت جزءاً كبيراً من القوة البشرية فى الامبراطورية.

– أدت الظروف السابقه إلى أن اتخذ هادريانوس قراراً بأحداث تغيير شامل فى السياسة الخارجية لوقف النزف الاقتصادى والبشرى لكن احياء سياسة «السلام الرومانى» من جديد وهجر سياسة التوسع لم تعجب بعض كبار قادة الجيش خاصة المراكشى لوسيوس كويتوس Lusius Quietus الذى اعتبر سياسة هادريانوس المسالمة سياسة انهزامية وتفريطاً فى ممتلكات الشعب الرومانى[٥٩].

– اثناء رحلته لزيارة آسيا الصغرى والشرق الأوسط ومصر زار أورشليم وامر ببناء معبد للإله چوبيتر فوق اطلال معبد سليمان الذى دمره تيتوس مما أطلق ثورة يهودية أخرى عام ١٣٢م إلا أنه سحق هذه الثورة فى ١٣٥ ودمر اورشليم تماماً وهجر سكانها من اليهود وتفرقوا فى شتى بقاع العالم[٦٠].

ومن أهم التغييرات التى أجراها هادريانوس فى المجال العسكرى إزالته للفروق بين القوات الرومانية النظامية المعروفة باسم الفرق Legiones وبين القوات المساعدة Auxilia فى مجالات التدريب والتسليح والتشكيل.

وإلى جانب القوات المساعدة التى عسكرت فى القلاع والابراج على طول حدود الامبراطورية خاصة فى جبهتى الراين والدانوب أسس هادريانوس

(٥٨) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٥٠.

(٥٩) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

قوات جديدة أطلق عليها اسم «الفئات» Numeri أما فيما يخص التجديد فى فن التكتيك الحربى الذى أدخله هادريانوس وسارت على نهجه الجيوش الرومانيه حتى مجئ دقلديانوس فعمل على احياء نظام الفيالق المقدونية القديمة Phalanx عند الهجوم والدفاع.

– وبقدر ما نشر العمران والحضارة بقدر ما نشر حقوق المواطنة الرومانيه كمكافأة للشعوب التى تشربت تماماً بالروح والثقافة الرومانية، وكان أعلى مرحلة هى منح المقاطعه أو الولاية درجة المستوطنه الرومانية Colonia حتى يتمتع سكانها بالجنسيه الرومانية الكاملة بدلاً من الحقوق اللاتينية.

– إبتدع تقليداً جديداً وهو منح الحقوق اللاتينية لأعضاء مجالس الشيوخ فى ولايات الامبراطورية Decuriones وكبار الموظفين المحليين فيها، وسماه الحقوق اللاتينية الكبرى Latium Maius أو المجال اللاتينى الأكبر. وكان هدفه هو تشجيع الوفاء للامبراطوريه فى الولايات بخلق جماعات رومانية الثقافة والحقوق[61].

– اصبحت اصلاحاته فى مجال التشريع تراثاً عاماً للبشرية وقدوة لرجال ا لقضاء فى كل مكان وزمان فمثلاً جعل لفتاوى المشرعين والفقهاء قوة القانون Responsa ، وقد جمع الإمبراطور جيستيان الأول ٥٢٧–٥٦٥م هذه الفتاوى فى موسوعة قانونية Digesta نسبها إلى نفسه.

وقد زادت أهمية الامبراطور فى مجال التشريع وأصبحت قراراته Con-stitutiones مصدراً للقوانين وكانت هذه القرارات ذات درجات مختلفه فهى:

١– إما مراسيم امبراطوريه Edicta يصدرها بموجب حق الامبريوم.

٢– أو قرارات Decreta يتخذها بعد نظر المشكلات.

٣– أو ردود Responsa على التساؤلات التى يبعث بها موظفوه.

٤– أو توجيهات Mandata الموظفين التابعين له.

---

(٦٠) حسين أحمد الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٦.

ولقد حرم هادريانوس على السيد أن يقتل عبده أو يعذبه أو حتى بيعه كجلاد يقتل أو يقتل وكان هذا أول تشريع يعامل العبيد كبشر لهم حق الحياة، كما الغى حق رب الأسرة القديم فى التحكم فى منح أو رفض الحياة بالنسبة لأبنائه وهو الحق القديم المعروف باسم «حق الحياة أو عدمها» Ius Vitae necisque.

– وفى مجال العمارة أقام هادريانوس أروع نموذج للعمارة الرومانية على طول التاريخ وهو ضريحه الشهير Mausoleum ومكانه الآن قلعه سان انجلو St. Angelo من الرخام الخالص وزينت أرضيته بالفسيفساء واقيمت فيه التماثيل المختلفة.

أما آخر الأبنيه التى أقامها هو معبد البانثيون Pantheon الذى نفذه المهندس الاغريقى أبوللودوروس Apollodorus وفى العصور المسحية حول إلى كنيسة فى عام ٦٠٩م واعتبر اثراً قومياً منذ القرن التاسع عشر(٦٢).

-أنطونينوس بيوس Antoninus Pius ١٣٨ - ١٦١م:

كسب الامبراطور الجديد كنيته بيوس Pius أى التقى تعبيراً عن تقواه وورعه تجاه هادريانوس وبسبب التزامه بالواجب والفضائل الرومانيه.

حكم ثلاث وعشرين عاماً هادئه سار منها على منوال هادريانوس ولم يحدث فى عهده حروب أو ثورات فى أى جزء من الامبراطورية إلا نادراً.

– حرص على أن تأخذ العدالة مجراها وان يسود القانون فى كل ربوع الامبراطورية وعمل على دعم حدودها باقامه الحصون والموانع عند اطرافها.

– أدى تنظيم الجهاز المالى فى عصر هادريانوس إلى الاستقرار الاقتصادى فى الامبراطورية وامتلأت الخزانه العامة بالأموال التى راح انطونينوس ينفق منها على التعمير والعمران وأعمال الخير.

---

(٦١) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٦١ – ٢٦٢.

- دفعه حرصه على ارضاء المحتاجين فى ايطاليا إلى دعم صندوق الإعانه الاجتماعيه والغذائيه والصحية والتعليمية القديم.

- من مساهماته فى القانون الرومانى تخفيف العقوبات المفروضة على الهاربين من الجندية والجيش، والغى الحظر الذى فرضه هادريانوس على اليهود بخصوص ممارسة عادة الختان، وحظر أى اضطهاد ضد المسيحين وهو صاحب اشهر قواعد القضاء مثل «المتهم برئ حتى تثبت إدانته»[٦٣].

- فى ١٣٩م انعم على خليفته ماركوس اوريليوس بلقب القيصر فكان ذلك بمثابة اعلانه خليفة له رسمياً.

- ماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠م:

كان ماركوس اوريليوس فيلسوفاً بطبيعته ومريداً مخلصاً للرواقية التى كان قد تلقى دروسها فى شبابه ومارس أفكارها ولكن بغير تشدد أو تعصب[٦٤].

- كان دائم الرجوع إلى ذاته والتأمل فيها لدرجة أنه ألف كتابه المشهور باللغه اليونانية والذى اعطى له عنوان (مع الذات) والذى ترجمه الرومان إلى «التأملات Meditationes» وبالرغم من زهده وتجرده عن الطموح فقد فرضت عليه الاخطار التى حاقت بالامبراطورية القتال وهو كاره له من أجل حماية الامبراطورية من خطر الاعداء وهو جوهر الأحساس بالواجب كما يقول بيرلى فى مؤلفه عن ماركوس اويليوس[٦٥].

- فى البداية اشرك معه اخوه بالتبنى فى الحكم وهو لوكيوس ڤيروس، تمكن من محاربة البارثيين وذلك عندما غزا ملكهم فولوجاسيس الثالث Vologases III أرمينيا. كما حارب فى الدانوب وفى هذه الحرب مات

(٦٢) سيد أحمد على الناصرى، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٦٣) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ص ٢٧٠ - ٢٧٤.

(٦٤) عثمان أمين، الفلسفه الرواقيه، القاهرة، مكتبه الانجلو المصرية، ١٩٧١ ص ص ٢٥٦ - ٢٦٩.

(65) Birley, Marcus Aurelius, Eyre and Spottiswood, London,

شريكه فى الحكم لوكيوس ڤيروس فانفرد ماركوس اوريليوس بالحكم وقد واجه أيضاً تمرد قام به اوڤيديوس كاسيوس – الذى كان حاكماً على ولاية سوريا والذى بفضل شكيمته حمى الشرق كله من خطر البارثيين – وقد تمكن من اخضاع هذا التمرد بسرعه لصالحه(٦٦).

– اعتبر ماركوس أوريليوس نفسه عضواً عادياً فى مجلس السيناتوس عند حضور جلساته وكان يعتمد عليهم حيث يتوجب الاعتماد، وكانت سياسته العامة هى حماية الفقراء المعدمين من الأغنياء وكان حريصاً على رعاية الفقراء وتوفير حاجاتهم من الغذاء وفى وقت الأزمات الاقتصادية كان يخفف عن كواهل الناس بإلغاء الضرائب المتأخرة(٦٧).

كان ماركوس اوريليوس نزيهاً وعفيفاً لا يميل إلى البذخ متأثراً بالفلسفة الرواقية كما سبق وان اشرنا وفى أواخر أيامه أعلن ماركوس اوريليوس ابنه كومودوس خليفه له على العرش، وبذلك خرج على التقليد الذى سنه من سبقوه من الأباطره(٦٨).

- كومودوس ١٨٠ - ١٩٢م:

– ضرب بنصائح ابيه ماركوس اوريليوس عرض الحائط وسارع الى عقد الصلح مع قبائل «الماركومانى» و «الكادى» وعاد مسرعاً إلى روما لينعم بمزايا الامبراطور ويتمتع بملاهى العاصمة تاركاً الحكم برمته فى أيدى جماعه من الانتهازين الذين أستغلوا الحكم لمصالحهم الشخصية

– انهمك فى عالمه الخاص وترك الحكم واحتقر السيناتوس واكتشف مؤامرة يحيكها ضده زعماء السيناتوس فانتقم بوحشيه من أعضاء المجلس.

1966.

(٦٦) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٦٧) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(68) Rostovetzeff M., Economic and Social History of the Roman Empire, I, p. 358.

– ورغم ان حدود الامبراطورية بقيت سالمة بفضل يقظه جنرالات الجيش الرومانى الذين قاموا بواجبهم على أكمل وجه، إلا أن الفوضى الداخلية بدأت تهدد أمن الإمبراطورية.

– تدهور الاقتصاد فى عهد كومودوس وفى نفس الوقت اغرق نفسه فى الترف والملذات حتى افرغ الخزانه وتركها خاوية على عروشها ولجأ إلى مصادرة أملاك الأغنياء بعد أن كال لهم التهم، ونتيجة تصرفاته الخاطئة تآمر عليه قائد الحرس البرايتورى كوينتوس ايميليوس لايتوس وعشيقته ماركيا وكبير امناء البلاد وقتل لتبدأ فترة صراع القادة العسكرين على العرش(٧٠).

- **بيرتيناكس ١٩٣م:**

– تولى العرش بعد اغتيال كومودوس ونظراً لأنه كان أقدم أعضاء مجلس السيناتوس فقد وافق السيناتوس على تعينه امبراطوراً ونظراً لكبر سنه أصبح العويه فى أيدى قادة الحرس البرايتورى وقاموا باغتياله بعد أقل من ثلاثه أشهر من توليه العرش.

– تم ترشيح جوليانوس وجايوس نيجر وكلاوديوس البينوس وسبتميوس سيڤيروس وحسم الأخير الأمر عندما دخل بجيشه روما وأعلن نفسه امبراطوراً وعرف هذا العام أيضا بأسم عام الأباطرة الأربعة(٧١).

(69) Grant M., The Antonines, Routledge, London, 1996, p. 9 ff.

(70) Parker H.M.D., A History of the Roman World, London, 1971, p. 26.

(٧١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٨ وراجع أيضاً:
Wellesley Kenneth, The Year of The Four Emperors, Routledge, London, 2000, p. 15.

الأسرة السيفيرية:

- سبتميوس سيفيروس ١٩٣ - ٢١١:

- بالرغم من أصله الفينيقى إلا أنه تلقى تعليماً رومانياً وثقافه لاتينيه حيث درس الفلسفه فى اثينا والقانون فى روما، وكان طموحاً متعطشاً للجاه والسلطان وكان كذلك شديد الاعجاب بماركوس اوريليوس.

- كانت عقليته مزيجاً من البيروقراطية والعسكرية وقد أظهرت سياسته الداخلية اهتمام واسع بمصالح الرعايا الذين يعيشون فى الولايات خاصة فيما يتعلق بمشاكل الإدارة والحكم.

عزم على تغيير هيكل نظام حكم المواطن الأول فأصبح الامبراطور يعرف رسمياً باسم «المولى» وروما مقر قصره وتعرف بالمدينة المقدسة Urbs Sacra(٧٢).

- اعتبر ان الجيش هو جوهر السلطه والحكم ومن ثم اعطى الجنود وضعاً متميزاً ، ومن المزايا التى حصل عليها الجنود فى عهده زيادة كبيرة فى الرواتب بحجه تعويضهم عن زيادة الأسعار التى ارتفعت كثيراً فى عصر كومودوس، وسهل لهم الترقيات وسمح لهم بفلاحة الأراضى الزراعية الواقعه حول المناطق التى كانوا يعسكرون فيها ،وشجع كذلك التخصص المهنى والفنى فى أنواع الاسلحة، وفتح الباب أمام العسكريين لتولى الوظائف المدنية، كما أنعم على الجنود بحق القيام بعقد زواجهم اثناء تأديتهم الخدمة العسكرية والاعتراف بشرعية الابناء الذين يولدون من هذا الزواج Ex Castris بل وسمح للجنود المتزوجين بحق الاقامة مع عائلاتهم بالقرب من المناطق التى تعسكر فيها القوات التابعون لها.

---

(٧٢) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٣١٤ – ٣١٥.

– ويتسم عصره بازدياد رقابة الدولة على الجمهور وذلك عن طريق أجهزه ذات طابع عسكرى بحت ،وفى الأقاليم كلف أعضاء المجالس البلدية من الواجهاء بالاشراف على جمع الضرائب.

– ظهرت فى عهده بوادر للانهيار السياسى والاقتصادى فى الامبراطورية مثل انعدام الامن وظهور قطاع الطرق الذين ازدادات سطوتهم فى الولايات، وفى نفس الوقت هدد مستأجروا الأراضى التابعه للإمبراطورية بترك الأراضى التى يدفعون عنها ايجارات للدولة إذا ما استمر ألزامهم بأعمال فى المدن التى تقع حقولهم فى زمامها مما يعطلهم عن الفلاحه فى الأراضى التى يدفعون عنها الرسوم والضرائب.

– وعن سياسته الخارجيه فقد هاجم دولة البارثيين وانشأ ولاية ما بين النهرين Mesopotamia.

– ومات سيفيروس بعد أن أعلن انابناهباه كاراكلا وجتيا وريثين له على العرش.

- الامبراطور كاراكلا وأخيه جيتا ٢١١ - ٢١٨م:

بعد وفاة الأب بدأ الصراع بين الأخوين وانتهى بعد عام واحد بمقتل جيتا فى مؤامرة دبرها له كاراكلا، وجعل من نصيحة ابيه بالعناية بالجيش والاعتماد عليه جوهر فلسفه حكمه الاستبدادى العسكرى.

وكان يقول «لا أحد سواى يجب ان يملك المال، وذلك حتى اعطيه لجنودى[٧٣].

– لم يضيف كاراكلا جديداً فى مجال السياسه والحرب[٧٤]، ماعدا

(73) Dio Cassius, LXXVIII, 32

(٧٤) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٩.

الدستور الانطونينى أو ما يعرف باسم قانون كاراكلا الذى يقضى بمنح كل الاحرار من ساكنى الامبراطورية الجنسية الرومانية فى ٢١٢م ولازال حتى الآن يختلف الباحثون فى شأن هذا القانون الذى يعرف إصطلاحاً -Constitu tio Antoniniana .

– عموماً وفيما يخص مغامراته العسكرية فقد حاول السير فى خطى الاسكندر الأكبر وبدأ مغامراته العسكريـــة فى الغرب عندما سحق قبائل الألمانيين Alamanni ثم اتجه نحو الشرق حـــتى وصل إلى سوريا دون مقاومة وحاول التحرش بالبارثيين فسار إلى الإسكندرية حيث راعته الحرية التى يتمتع بها سكان هذا البلد فجمع زهرة شباب المدينة وعمل فيهم القتل ولقد كانت مغامراته تلك علـــى حســـاب إضـــعاف الامبراطورية إقتصادياً لانه أرهق الخزانه بما قرره من زيادات فى رواتب الجند واضطر إلى تخفيض قيمة العملة، واستمر التدهور حتى وصل إلى مرحلة الافلاس فى أواخر عام ٢١٧ م تم اغتياله على يد ماكرينوس وهو موريتانى الأصل وتولى الحكم لمدة عام واحد واغتاله الجيش وعين بدلاً منه الامبراطور الجابالوس Algabalus .

- الامبراطور الجابالوس ٢١٨ - ٢٢٢م:

– تفرغ لنشر عبادة إله الشمس الذى كان يعمل كاهناً له فى حمص فثار عليه الجيش واغتاله ليتولى بعده الكسندر سيفيروس Alexander Severus الذى حكم من ٢٢٢ إلى ٢٣٥ ولأنه كان ضعيفاً ففشل فى مواجهة الفرس والالمان فاغتاله الجند أيضاً لتقاعسه عن محاربه الألمان وعينوا بدلاً منه قائدهم ماكسيمينوس Maximenus .

وبتولى ماكسيمينوس من تراكيا عرش الامبراطورية فى ٢٣٥م تبدأ الفوضى والتفكك والحروب الاهلية والانهيار الاقتصادى.

وقد استمر هذا الحال لمدة خمسون عاماً حتى عام ٢٨٤م حين يظهر الامبراطور دقلديانوس ليتولى العرش ويعيد إلى الذهن عهد الأباطرة الصالحين.

وسوف يترك الباحث الحديث عن الاباطرة منذ الاسكندر سيفيروس حتى كاروس ووالداه كارينوس ونومر يانوس الآن حيث سيتحدث عنهم تفصيلاً فى الفصل الذى سيتعرض لغزوات البرابره على الامبراطورية الرومانية.



العصر الإمبراطوري المتأخر

من دقلديانوس إلي قنسطنطين



الفصل الثاني

١- الإمبراطور دقلديانوس

١- ظروف توليه العرش وسياسته الإمبراطورية:

– جاء دقلديانوس إلى عرش الامبراطورية فى ٢٨٤م وكان فى الأصل ينتمى إلى صفوف طبقه إجتماعية فقيرة فى اقليم دالمتيا Dalmatia وتمكن من ان يصبح قائداً للحرس الامبراطورى (البرايتورى) Domestici حيث كان وقتها أحد جنود الأباطرة الذين ينتمون إلى اقليم الليريا والذين وصلوا إلى دفة السلطة الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور Gallineus فى ٢٦٨م.

– وقد استطاع الإمبراطور اورليانوس ٢٧٠-٢٧٥م ان يقضى على ثورة قام بها الألمان Alamanni بهدف غزو إيطاليا وانتصر على الملكه زينوبيا Zenobia فى تدمر Palmyra وبذلك قضى على «الامبراطورية الغالية» بزعامة تيتريكوس Tetricus، وقد قتل اورليانوس مثله فى ذلك مثل جالينوس وكثيراً آخرون من آباطرة الإمبراطورية الرومانية.

– بعد مقتل اورليانوس جاء إلى الحكم بروبوس Probus والذى لقى حتفه أيضاً على يد قواته العسكرية ليتولى بعده كاروس Caras ٢٨٢-٢٨٣م الذى توفى أيضاً فجأة وتولى بعده ابنه نوميريانوس Numerian ولكنه قتل أيضا فى ظروف غامضة وتم بعدها إستدعاء Diocles على اثر أتهام رئيس الحرس البرايتورى أبر Aper بالتخطيط لقتل نوميريانوس وأعدم على مسمع ومرأى من جميع القوات حينما لقب Diocles باسم دقلديانوس Diocletian[1].

---

(1) Cameron Averil, The Later Roman Empire 284-430 A.D., Fontana Press, London, 1993, pp. 30 - 31.

(*) Tetrachy هى كلمة مركبة من عدد هو TεTαρTεs ويساوى أربعة واسم مشتق من فعل يونانى هو فعل αρXW بمعنى يحكم.

- ويعود الفضل إلى دقلديانوس فى إنه هو الذى وضع نظام جديد للإشتراك فى السلطة وذلك بهدف القضاء على ظاهرة «تغيير الاباطرة السريع» وذلك فى ٢٩٣م وبمقتضى ذلك النظام أصبح هناك زوج من أولئك الذين يحملون لقب Augustus وزوج آخر من اولئك الذين يحملون لقبCaesar، ذلك النظام الذى وضع نهايته الإمبراطور قنسطنطين الذى أعلن نفسه امبراطورا بعد وفاه والده قنسطنطيوس.

- ومهما يكن فهناك حقيقه لامراء فيها وهى أن دقلديانوس قد تولى الامبراطوريه وكانت على وشك الانهيار وينسب إليه القيام بأهم عملية ترميم تمت فى بناء الامبراطورية المتداعى فاقت فى أهميتها أهمية محاولة سابقة الامبراطور أورليانوس والملقب فى الوثائق المعاصرة باسم «مجدد الامبراطورية». حيث أنه كان من أشد المتمسكين بالعودة بالامبراطورية إلى سابق مجدها وعظمتها فى أيامها الأولى(٢).

- ونظراً لأن المشكلة الامبراطورية كانت معقدة فاكتفى الاباطرة السابقون على دقلديانوس ببعض الاصلاحات الجزئية التى تناولت على وجه التحديد كلاً من العملة الزراعية والضرائب كما أن بعضهم ارتكب - عن دون قصد - خطأ أثر بعد ذلك فى تاريخ الامبراطورية فى هذه الفترة المتأخرة ألا وهو السماح لبضع آلاف من الجرمان المرابطين على حدود الامبراطورية بالدخول إلى الامبراطورية والاقامة بداخلها بهدف توفير الأيدى العاملة اللازمة للزراعة من جهة واتقاء لشر هذه العناصر من جهة أخرى.

- وفى وجهة نظر الكاتب فإن تفرد إصلاحات دقلديانوس التى تحدثت عنها العديد من المراجع المهتمه بتلك الفترة إنما يعود لإنه وجه جهوده نحو تحقيق ثلاث أهداف كبرى هى كالتالى:

---

(٢) محمد محمود الحويرى، رؤية فى سقوط الامبراطورية الرمانية، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٩٥، ص ٣٤.

١- تقوية نفوذ الامبراطور Imperator .

٢- إعادة تنظيم الجهاز الإدارى الحكومى.

٣- تجديد نظام الجيش - حيث أكدت معظم المصادر الأدبية إن التغيرات التى اضافها دقلديانوس على الجيش الرومانى (نظام العسكرية الرومانية) كانت هى الأولى من نوعها منذ عهد الامبراطور Augustus[٣].

كما أنه استلهم روح أغسطس وشرع فى حكم الامبراطورية حكماً مطلقاً فكان له الحق فى التصرف المطلق فى الشئون المالية، وحق التشريع وكان هو القائد الأعلى للجيش وبذلك جرد مجلس السيناتو Senatus من سلطاته التشريعية وامتيازاته الشكلية[٤].

كما أضفى على نفسه هالة دينية مقدسة مدعياً بأنه من نسل جوبيتر Jupiter ملك الآلهه[٥] ورغم ذلك إلاأنه كانت هناك فئه فى المجتمع لا تستطيع ان تقدس الاباطره ومنهم المسيحيون.

٢- إصلاحاته:

ونعرض الآن لأهم المجالات التى طالتها إصلاحات دقلديانوس.

أولاً: المجال الإداري:

١- أعاد تنظيم الجهاز الإدارى بشكل حرم ايطاليا من مكانتها الإدارية الممتازة التى كانت تتمتع بها وبالتحديد روما بوصفها مركزاً للحكم الامبراطورى.

حيث ظهرت العديد من العواصم فى أجزاء مختلفة فى أنحاء

(3) Cameron Averil, The Later Roman Empire, op. cit., p. 33.

(4) Painter S., A History of the Middle Ages 284-1500, London, 1964, p. 6.

(5) Runciman Steven, Byzantine Civilization, Methuen and Co. LTD, London, 1975, p. 23.

الامبراطورية ومنها نيقوميديا Nicomedia المقر الرئيسى لإقامة دقلديانوس ومنها سيرديكا (صوفيا) Serdica ومنها سيسالونيكا Thessalonica المقر الرئيسى لعرش جاليريوس Galerius ومنها Sirmium (سيرميوم) فى بانونيا Pannomia مقر عرش لكينيوس Licinius ومنها ترير Trier فى المانيا والتى كانت مقر إقامة قنسطنطيوس كلوروس Chlorus والد قنسطنطين وهناك مراكز أخرى أصبحت تحل محل العواصم منها Naissus (Nis) نايسوس وكارنينتم Carnuntum على الدانوب وميلانو واكويلليلا Aquileia[٦].

٢- قضى على التفرقة بين الولايات الإمبراطورية وولايات السيناتو.

٣- اتجه ناحية الشرق وذلك لإمتياز الولايات الشرقية بوفرة خيراتها وكثرة سكانها ومهارة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة والتجارة ويعتبر بذلك ممهداً لسياسة قنسطنطين من بعده.

٤- اتخذ من نيقوميديا فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى على بحر مرمرة عاصمة جديدة للإمبراطورية[٧].

٥- قام بنقل عاصمة إيطاليا من روما إلى ميلانو وذلك لأسباب عسكرية منها أنها تتحكم فى معظم ممرات جبال الألب مما يسهل إنتقال جيوش الإمبراطورية منها إلى كل من غاليا Gallia أو جرمانيا Germania وذلك لصد أى هجوم أو اخماد أى فتنة.

٦- أدرك الخطر الناجم عن تضاعف عدد الولايات الرومانية Provinciae لما ترتب عليه من ظهور قيادات إنفصاليه. ففكر فى ربط الولايات الرومانية

---

(6) Cameron Averil, The Later Roman empire, op, cit., pp. 212 - 213.

(٧) كريستوفر دوس، تكوين أوروبا، القاهرة، ١٩٦٧، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة ود. سعيد عاشور، ص ٢١ حيث رأى ان دقلديانوس اختارها لنفسه حتى يستطيع مراقبة مناطق الدانوب فى الشمال والاطراف الفارسية فى الشرق.

ببعضها فقسم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم يمكن أن نطلق عليها لفظه اقسام إدارية كبرى ووضع على رأس كل قسم منها حاكم إدارى عام يتمتع إما بلقب اوغسطس Augustus أو بلقب قيصر Caesar وكان من الناحية العملية شريكاً للإمبراطور فى حكم الإمبراطورية وفيما يلى الأقسام الإدارية الأربعة وما شملته من أقاليم.

(أ) غاليا وتشمل: ١- بريطانيا

٢- غاليا

٣- اسبانيا

٤- مراكش

(ب) إيطاليا وتشمل: الأراضى الواقعه بين الدانواب والبحر الأدرياتى.

١- ايطاليا

٢- الجزائر

٣- تونس

٤- طرابلس

(جـ) إليريا وتشمل: ١- داكيا (داشيا)

٢- مقدونيا

٣- اليونان

(د) اقليم الشرق ويشمل: ١- تراقيا (طراقيه)

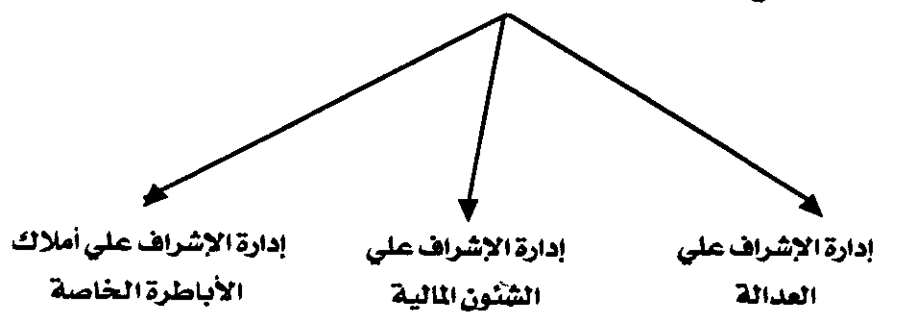
٢- آسيا الصغرى

٣- الشام

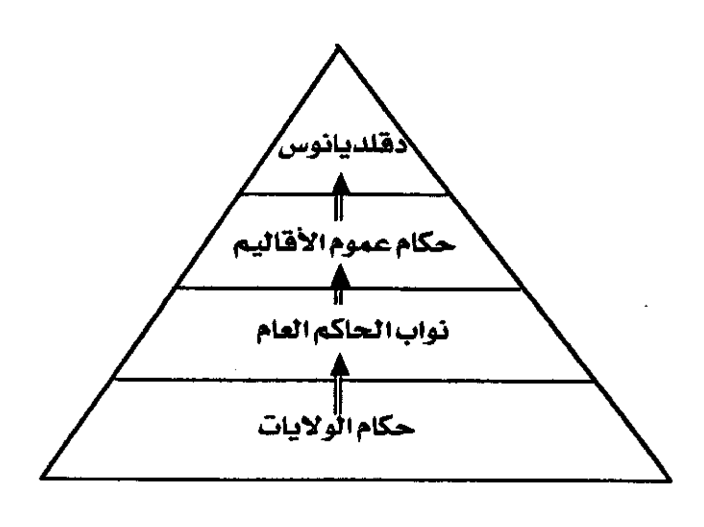
٤- مصر

وهو الاقليم الذى احتفظ به لنفسه وكان مركزه نيقوميديا كما احتفظ لنفسه بلقب «إمبراطور» Imperator ووظيفته.

وقد قسم دقلديانوس هذه الأقسام الإدارية الأربع الكبرى إلى سبع عشر وحدة اصغر سميت بأسم Dioceses وكان لكل وحدة منها رئيس يعرف بأسم Vicarus وهو بمثابه نائب عن الحاكم العام. وقد شملت كل وحدة عدد من الولايات بلغ عددها المائه ولاية وكان لكل ولاية ثلاث إدارات هامة هى:



وأصبح حكام الولايات مسئولون أمام نواب الحاكم العام والنواب بدورهم مسئولون أمام الحكام العموم للأقاليم، وحكام عموم الأقاليم بدورهم مسئولون أمام دقلديانوس صاحب السلطه التامة فى تعيينهم أو عزلهم، ويمكن تصور ذلك فى الهرم الإدارى التالى:



وبهذا التدرج الإدارى تمكن دقلديانوس من أن يتخلص من مظاهر الحكم الجمهورى Respublica بحيث بدت الإمبراطورية فى عهده ملكية استبدادية مطلقة.

ثانياً: المجال العسكري (الجيش):

– لم يختلف الإمبراطور دقلديانوس عن سابقيه من الأباطرة الرومان فى اعتمادهم على الجيش ذلك الاهتمام الذى بدأ مع بداية العصر الإمبراطورى نفسه حين تولى الإمبراطور أوغسطس عرش الإمبراطورية إذ خبروا جميعاً أهمية الجيش فى الدفاع عن الإمبراطورية وحدودها.

– اعتمد الإمبراطور دقلديانوس فى تكوين جيش الإمبراطورية على الجند الذين ينتمون إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلفاً فى المجال الحضارى مثل الچرمان فى أوروبا، والبربر فى إفريقية، والعرب فى سوريا وهذا لا ينفى بطبيعة الحال أن الغالبية العظمى من المواطنين الرومان المتمتعين بحقوق المواطنه الرومانية هى التى شكلت قوام الجيش الأساسى.

– والسؤال الذى يطرح نفسه هو لماذا اعتمد الإمبراطور دقلديانوس على جند ينتمون إلى شعوب أقل تحضراً من الرومان ومعروف عنهم العداء لروما وللإمبراطورية ؟!.

والإجابة هى إن حرص دقلديانوس على درء الاخطار الخارجية أستلزم زيادة اعداد الجيش فاتجه للاستعانه بالفرق المؤلفه من البرابرة المرتزقة وجعل مراكزهم قرب عواصم كبار الحكام الأربعة وذلك للتأهب للسير للحدود فى أى وقت، ويؤكد كاميرون فى مؤلفه «الحضارة البيزنطية» إن دقلديانوس قد زاد من اعداد الجنود بأضافة وحدات جديدة للجيش وان عمود الجيش الفقرى كان يتألف من الكتائب الرومانية Legiones والمسلحة على أعلى مستوى بالإضافة إلى عدد من الكتائب التى شملت حوالى خمسة آلاف من المشاة ويذكر دليلاً جاء فى Notitia dignitatum وكيف ان دقلديانوس قد

أعطى لكل فرقة منهم اسماً خاصاً فكان بعضهٰ يعرف بـ Iovia أو Herculia أو Diocletiana أو Maximiana[٨].

– جعل دقلديانوس الخدمة فى الجيش إلزامية ويخبرنا تشارلز ورث فى مؤلفه «الإمبراطورية الرومانية» أنه سمح لأبناء الجنود والمحاربين القدماء والمتطوعين بالانخراط فى الجيش[٩] وفتح الطريق أمام الجندى للترقى ليصبح «ضابط مائه» وصولاً إلى مرتبة «القائد الأعلى للجيش»

– ويجمع معظم الباحثين على أن دقلديانوس بفضل مجهوداته فى الجيش تمكن من تدعيم الحدود وبناء القلاع وبشق الطرق العسكرية من بريطانيا فى الغرب إلى ما يسمى بـ Strata Diocletiana فى الشرق وهو طريق يمتد من البحر الأحمر إلى Dura على ال Euphrates[١٠].

– ومن أهم تعديلات الإمبراطور أوغسطس فى الجيش هو تقسيمه للجيش إلى فرعين هم:

Comitatus	**Limitanei**
الجيش المقاتل	**قوات الحدود**
(الجيش الميداني)	
ونعرف من الأدلة الوثائقيه أنه كان موجود فى عهد دقلديانوس وتم توسيع اعداد المقبولين به فى عهد قسطنطين.	جنود مزارعين يعيشون على الحدود والتى سميت بعد ذلك بحرس الحدود تطبيقاً لنظرية الدفاع فى العمق والتى تنسب إلى دقلديانوس والتى نشرها بعد ذلك أحد الكتاب العسكريين المحديثن وهو إداورد ليتواك Edward Luttwak وآخرون.

(8) Cameron Averil, The Later Roman Empire, op. cit, p. 33.
(9) Charles Worth M.P., The Roman Empire, Great Britain. 1961, p. 44.
(10) Cameron Averil, the Later Roman Empire, Op. cit, p. 35

وعن مجهودات الجيش الحربية فى عهد دقلديانوس فنعرف ان دقلديانوس استعمل الجيش فى إقرار الأمن والنظام فى مختلف أرجاء الإمبراطورية والولايات التابعة لها، وفى إخضاع الثورات العارمة فى كل من Gallia غاليا، و Aegyptus مصر، وولاية Africa افريقيا وبريطانيا Britania .

وقد تمكن دقلديانوس بحسن قيادته للجيش من صد البرابرة على إمتداد جبهتى الراين والدانوب، وفى ٢٩٧م تمكن من مهاجمة الفرس واسترد منهم بلاد ما بين النهرين وبذلك امتدت حدود الإمبراطورية شرقاً حتى نهر دجلة، وعادت رقعة الإمبراطورية من جديد لما كانت عليه عام ١١٧ م بأستثناء اقليم أو اثنين.

ولا يمكن فى هذا الصدد ان نغفل إنشاء دقلديانوس لتلك القوة الحربية العسكرية المتنقلة وهى قوة غير مرتبطه بجهة بعينها وكان الهدف من ذلك هو أن تتحرك هذه القوة فى أى وقت لأيه جهة حسب الظروف ووفق مشيئة الأمبراطور.

ثالثاً: النظم المالية والضرائب:

قام دقلديانوس بحصر واسع للأراضى الزراعية فى الإمبراطورية وتحديدها بهدف تقرير الضرائب فى صورة عادية، ورغم أنه لم ينجح فى إصلاح الأزمة الإقتصادية إلا أنه نجح فى حماية الفقراء من جشع المستغلين والمتاجرين بأقوات الأهالى إذا اصدر قرارات خاصة بتحديد اسعار السلع والمواد الغذائية ووضع العقوبات لكل من يخالف ذلك[١١] .

وفى إطار مجهودات دقلديانوس للحد من ارتفاع الاسعار قام بسك عملة نقدية سليمة فى ٢٩٦م، ورغم ما احرزته تلك العملة من نجاح، إلا أن الأسعار ظلت مرتفعه وهنا اصدر مرسوم فى عام ٣٠١م تضمن الحد الأقصى لأثمان

---

(١١) محمود سعيد عمران، مقالات فى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٤، الاسكندرية: ص ٥٠.

السلع والحاجات الأساسيه للرعايا الرومان وفى المقابل عمل على تثبيت الحد الأقصى لمعدلات أجور العاملين فى المهن المختلفة(١٢).

والواقع ان الطبقات الدنيا قد تدهورت ظروفها فى عهد دقلديانوس بعد أن اضطر أفرادهم ترك مزارعهم وهجر تجارتهم فأصدر مرسوماً يجبر فيه الفلاحين وأصحاب المهن المختلفة على مبدأ الوراثه وذلك خوفاً منه على إقتصاديات الإمبراطورية(١٣).

وفيما يخص نظام الضرائب فقد لجأ الإمبراطور دقلديانوس لفرض الضرائب العينية بدلاً من النقدية، وقد القى مسئولية جمع الضرائب المقررة على عاتق ملاك الأراضى الزراعية وموظفى مجالس المدن. وكان يفرض عليهم دفع الضرائب التى يخفقون فى جمعها من أموالهم الخاصة فكانوا يتخلون عن وظائفهم ويهربون إلى الصحراء وبالمثل فقد تخلى دافعى الضرائب أنفسهم عن أراضيهم وكان أمامهم إما الانخراط فى سلك الجندية أو الإنسحاب إلى الأديرة(١٤). وادى ذلك إلى اسناد مهمة دفع الضرائب على الأراضى الزراعية التى تركها أصحابها إلى ملاك الأراضى المجاورة مما ساعد على زيادة طغيان وظلم جامعى الضرائب لدرجة ان الإمبراطور ڤالينثيان الأول فى عام ٣٦٤م انشأ وظيفه Defensor Civitatis (حامى المدينة) والذى كان من أهم واجباته حماية دافعى الضرائب من ظلم الموظفين ومندوبى المالية.

كانت هذه هى أهم ملامح اصلاحات دقلديانوس فى النظم المالية والضرائب وفى عام ٣٠٥ إعتزل دقلديانوس الحكم وعمرة تسعة وخمسين

---

(١٢) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٣٦.

(13) Robinson Cyril E, A History of Europe: Ancient and Medieval, U.S.A, 1920, p. 466.

(١٤) سهير ابراهيم نعينع، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٧١ وما بعدها.

عاماً بعد أن أصيب بعلل الشيخوخة المبكرة، وقضى أعوامه الأخيرة التسعة معتكفاً عن الحياة العامة واعتزل فى الوقت نفسه شريكه فى الحكم مكسيميان فى ميلانو وفقاً لإتفاق سابق مع دقلديانوس(١٥).

هكذا حاول دقلديانوس معالجة تدهور أحوال الإمبراطورية، وترميم التصدع الذى أصابها بإدخال تغييرات أساسية فى نظم الدولة وسياستها، ليتفادى ما يمكن أن يحدث من انهيار تام لها، ويمنع حدوث الاضطرابات والانقلابات العسكرية التى كانت تقع عادة عند انتهاء عهد إمبراطور وتولى إمبراطور آخر، وما كان يحدث من بروز طموح القادة العسكريين(١٦).

٣- الإمبراطور دقلديانوس والمسيحية:

عن موقف الإمبراطورية ممثلة فى حاكمها الإمبراطور دقلديانوس من المسيحية يحدثنا كاميرون قائلاً: أنه فى ٢٣ فبراير عام ٣٠٣م تم تدمير الكنيسة الموجودة فى نيقوميديا وفى اليوم التالى يقول لنا يوسيبوس أنه قد صدر قرار (مرسوم) من دقلديانوس يقضى بتدمير كل الكنائس وحرق جميع الكتابات المسيحية، كما تم بموجب هذا المرسوم خلع كل المسيحيين الذين كانوا يتولون وظائف حكومية فى الإمبراطورية من مناصبهم وقد تلت هذا المرسوم قرارات أخرى سريعة وتم العمل بها فى الشرق وكانت تقضى هذه القرارات بحبس القساوسة وإجبارهم على تقديم الأضاحى إلى الآلهة الوثنية ويحفظ لنا اوبتاتوس Optatus وهو قس كاثوليكى أفريقى ينتمى إلى أواخر القرن الرابع ما حدث فى كريتا Cirta فى نوميديا Numidia حيث تم مصادرة أملاك القس رئيس الكنيسة هناك وكذا أملاك المجلس الاكليركى فيها بما فى ذلك ملابس واحذية الرجال والنساء وهذا دليل قاطع على حدوث الاضطهاد فى حين أظهر كل من مكسيميان Maximian وقنسطنطين كلوروس Constantius Chlorus فى الغرب حماساً أقل تجاه هذه السياسه حتى لو

---

(١٥) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٥٠.

(١٦) محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٤.

اغفلنا رواية يوسيبوس فى هذا الشأن فى كتابه «الدفاع» Apologia، وعموماً فقد ترك هذا الاضطهاد اثراً عميقاً على المسيحين المعاصرين لهذا الحدث فكتب لاكتانتيوس Lactantius «عن وفاة المضطهدين» De Mortibus Persecutorum وذلك بعد انتهاء الاضطهاد ذاكراً أن قنسطنطين قد هزم ماكسينتيوس Maxentius ونجد ان العمل كله يهدف إلى ابراز فكرة ان الله (الرب) كان بالفعل إلى جوار المسيحيين وأنه سيعاقب اولئك الذين اضطهدوهم بعقوبات مرعبة(١٧).

والمسيحيون فى الشرق لم يكن لديهم ما يدعوهم ابداً للشك فى نوايا الإمبراطور دقلديانوس منذ بدء حكمه (عصره) الذى أطلق عليه عصر الشهداء سنه ١ قبطى = ٢٨٤م ويتضح ذلك من رسالة ارسلها بطريرك الإسكندرية إلى مدير القصر الامبراطورى وكان يدعى لوسيان يعتنق الديانه المسيحية وجاء تعيينه فى هذه الوظيفه بعد ارتقاء دقلديانوس العرش الامبراطورى بقليل(١٨).

ونعرف من خلال ما ورد بهذه الرسالة ان البطريرك كان عارفاً بواجبات الموظفين داخل القصر الامبراطورى حيث وجه نصائحه إلى أمين الكنيسة ولأمين الخزانة الإمبراطورية وللمسئول عن الثياب ولأمين المكتبه، كما نعرف ان المسيحيين كانوا يتولون وظائف خطيرة لدى الإمبراطور الوثنى.

ولعل محاولات بعض الولايات نحو الاستقلال عن الإمبراطورية التى تزعمها قادة مسيحيون(*) كانت سبباً فى اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين وتغيير سياسته معهم.

---

(17) Cameron Averil, op. cit, pp. 43 - 44.

(١٨) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٥١ وما بعدها حيث أورد نص الرسالة كاملاً.

(*) مثل الثورة التى تزعمها أخيلوس فى مصر والتى كانت تهدف إلى الاستقلال.

وترى وجهة نظر أخرى أن هذا الاضهاد الذى حدث فى عهد دقلديانوس انما يعود إلى علو شأن ونفوذ المسيحية وانصراف اتباع تلك الديانة عن عبادة الامبراطور وهى أمور رأى فيها دقلديانوس تهديداً لسلامة الإمبراطورية وأمنها ولذلك أعتزم محاربة العقيدة والحاق الأذى بأتباعها، ولم يكن دافعه إلى ذلك مقته للمسيحية ولكن خشية ان يؤدى اهمال شأنها إلى هدم صرح الإمبراطورية الرومانية وقد زادت مخاوفه عندما أصبح بين قواته النظامية - ضباطاً وجنوداً - فى القصر الإمبراطورى نفسه انصاراً لتلك الديانة(١٩).

وعلى الرغم مما قام به دقلديانوس تجاه المسيحيين من إجراءات عنيفه إلا أن ذلك لم يضعفهم فقد جادوا بكل نفيس فى سبيل العقيدة واظهروا ألوانا من الشجاعة والصبر والبطوله جعلتهم موضع اعجاب المعاصرين بشكل أدى إلى اعتناق الكثير منهم المسيحية(٢٠).

وعندما تنازل الإمبراطور دقلديانوس عن العرش انتهز البطريرك المصرى بطرس ٣٠٠-٣١٢م هذه الفرصة وأصدر قانونا عرف بأسم «قانون التوبة» بغرض العفو عن المسيحيين الذى ارتدوا عن المسيحية فى فترات الاضطهاد(٢١).

(19) Downey Glanville, The Late Roman Empire, U.S.A., 1969, pp. 15-16.

(٢٠) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ص ٦٤ - ٦٥.

(٢١) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ص ٦٠-٦١، حيث أورد بنود القانون ومجملها سبع بنود.

٢- الإمبراطور قنسطنطين

٣٠٦م - ٣٣٧ م

١- ظروف تولية عرش الأمبراطورية:

– أدى تنازل دقلديانوس عن عرش الإمبراطورية فى عام ٣٠٥م بعد بلوغه سن الستين إلى نشوب حروب أهلية طاحنة أدت بدورها إلى انهيار نظام وراثة العرش الذى وضعه بهدف تجنب الإمبراطورية اخطار الثورات والحروب الأهليه[٢٢].

– استطاع قنسطنطين الوصول إلى العرش بعد ان تغلب على منافسيه وكان هو الابن الأكبر لقنسطنطيوس وينتمى إلى نيسوس Naissus نيش حالياً فى يوغوسلافيا حيث ولد هناك لأم كانت نادلة فى حانه وتدعى هيللينا.

– أرسلة والده إلى بلاط دقلديانوس لينال قسطاً من التعليم وذلك بعد ان صار قيصراً مسئولاً عن كل من Britania و Gallia، وبعد أن توفى قنسطنطيوس نادى الجند بأبنه قنسطنطين إمبراطوراً فى ٣٠٦م[٢٣].

– وعلى اثر تولى قنسطنطين عرش الإمبراطورية اندلعت نيران الحرب الأهلية واستمرت حتى ٣١٠م، حيث تنازع السلطة ثلاثة من الزعماء هم :

١– لكينيوس Licinius فى الشرق.

٢– ماكسينتيوس Maxentius فى إيطاليا.

٣– قنسطنطين Constantius فى بريطانيا والغالة.

وتمكن الأخير من القضاء على ماكسينتيوس فى موقعة جسر ملفيان Milvian Bridge وأصبح بذلك النصر سيداً على الغرب، ثم تقاسم قنسطنطين

---

(٢٢) محمد محمود الجريرى، مرجع سابق، ص ٣٨.

(23) Jones A.H.M, The Decline of the Ancient World, London, 1975, p. 39.

بعد ذلك السلطة مع لكينيوس (حاكم الشرق) فيما بين عامى ٣١٢ و ٣٢٤م ولكنه لم يأتى عام ٣٢٤م إلى نهايته إلا وكان قنسطنطين قد خلع خصمة الشرقى وهزمة وبذلك تتوحد الامبراطورية على يد قنسطنطين مرة أخرى(٢٤) فى ٣٢٣م.

ويُجمع جمهور الباحثين على ان لقنسطنطين أهمية خاصة فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية المتأخر وذلك نظراً لأعماله الهامة التى كان لها أثر واضح على تغيير وجه التاريخ وتحقيق الأنتقال من العالم القديم إلى عالم العصور الوسطى حيث قام ضمن أعماله بعملين على قدر كبير من الخطوره وهم:

١- الإعتراف بالمسيحية.

٢- نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى روما الجديدة Roma Nouva التى شيدها على ضفاف البسفور فى الشرق والتى سميت بأسمه حيث عرفت باسم القسطنطينية Constantinople.

وفى الواقع فإن نقل قنسطنطين للعاصمة من الغرب إلى الشرق يدل على بصيرته السياسية الحكيمة ونضوج فكره السياسى، حيث ادرك ان اعترافه بالديانة المسيحية وسياسته الدينية لا يمكن أن تستقيم فى روما حيث تعبد الآلهه الرومانية الوثنية فجاءت فكرة نقل العاصمة إلى الشرق حيث يزداد عدد المسيحيين وهى الفكرة التى نفذها فعلاً فى ٣٣٠م(٢٥).

---

(٢٤) كانتور: تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٧، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، مراجعة د. على الغمراوى، جـ١، ص ٧٦.

(٢٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٥، جـ١، ص ٢٦ وما بعدها، قارن: Chadwick H., The Early Chuch, London, 1967, p. 122 -

- محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ١٥،

- إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانيه وسقوطها، جـ١، ترجمة محمد أبو درة مراجعة نجيب هاشم، ص ٥٠٥، حيث قال أنها سرعان ما بزت روما وتفوقت عليها.

٢- أثر الإمبراطور دقلديانوس علي الإمبراطور قنسطنطين:

اقتفى قنسطنطين أثر السياسة الإدارية التى وضع اساسها الإمبراطور دقلديانوس فأتم اعماله التى كان قد بدأها بشكل أبعد أثراً.

وجاءت إصلاحات كلاهما الإدارية على أساس التفرقة بين السلطتين الحربية والمدنية وقد ظهرت هذه التفرقة (الفصل) فى حكم الولايات إذ أصبح حاكم الولاية مسئولاً عن شئونها المدنية فحسب، فى حين أختص القائد DUX بالإشراف على النواحى الحربية.

- ألغى قنسطنطين النظام الرباعي فى الحكم والذى وضعه الإمبراطور دقلديانوس، وينسب إليه أهم تغيير إدارى طرأ على الإمبراطورية وهو إدخاله مبدأ الحكم الوراثى، ليصبح المنصب الإمبراطورى فى عهده وراثياً فى اسرته وذلك بعد أن انفرد بالسيادة على الامبراطورية بعد معركتى أدرنه Adrianople وكريسبوليس Chrysopolis[٢٦].

- اعتمدت اسرته على دعامتين فى حكم الإمبراطورية.

١- تأييد الجيش.

٢- الدعامة الدينية الجديدة.

أ - سياسته العسكرية:

اتجهت نحو انقاص عدد أفراد الفرق العسكرية وذلك على خلاف سياسة الإمبراطور دقلديانوس فى هذا المجال كما اسلفنا الحديث عنها، كما أستمر على سياسة دقلديانوس من جهة أخرى من حيث أنه استمر فى فتح الباب أمام الجرمان للعمل كجند نظاميين فى صفوف الجيش الإمبراطورى لنفس الأسباب التى دفعت سابقه دقلديانوس لانتهاج هذه السياسة.

(26) Camoron Averil, op. cit., p. 42.

ب- سياسته المالية:

لم تختلف عن سياسة دقلديانوس كثيراً وسوف نعرض الآن لبعض العناصر التى تخص سياسة كلاهما المالية.

أ- نظام الأراضي وملكيتها:

انقسمت الأراضى الزراعية فى مصر - مثلاً - إلى ضياع امبراطورية، أرض التاج، أملاك خاصة بالإمبراطورية، وأرض الكنائس، وقد اصبحت أرض المعابد قديماً ضمن أرض التاج وقد اطلق على أملاك الامبراطور الخاصة اسم «البيت المقدس» وذلك فى القرن الخامس، أما بالنسبة لأرض الكنائس والأديرة فقد آلت اليها عن طريق الهبات التى وهبها الأباطرة من أملاكهم الشخصية وكانت الكنائس والأديرة تقوم بزراعتها أو تأجيرها للمزارعين.

- انتقلت كثير من أرض التاج إلى الأفراد وأصبحت ملكاً خاصاً لهم لذلك أخذت أملاك الدولة فى التناقص، ولم يعد الإمبراطور فى هذا العصر عموماً هو المالك الوحيد أو حتى أهم الملاك فى مصر.

- وتوجد سجلات عن بيع الأراضى بعد دقلديانوس ويبدو أن حق الملكية قد أنتشر بعد أن قضى دقلديانوس على ثورة اخيلوس فى مصر وأعاد تنظيم البلاد، وتقرر بيع الأراضى الزراعية بشرط أن يقبل المشترى تحمل تسديد ما على الأرض من التزامات عامة فى ا لمستقبل.

- ويدل سجل هرموبوليس (الاشمونين) على نمو الضياع الكبيره وعلى أن الغالبية العظمى من أصحاب هذه الضياع كانوا من المصريين أو اليونانيين فى القرن الرابع.

- ومن أنواع ملكية الأراضى ما عرف بأرض الكنائس والتى اتت اليها عن طريق الهبات أو الأراضى المصادرة وتدل الوثائق الرسمية ان كلاً من كنيسة الإسكندرية والقسطنطينية كان لهما أملاكاً خاصة بمصر.

- وحازت الكنيسة أيضاً أراضى عجز أصحابها عن دفع الضرائب المستحقه فعرضوا أراضيهم تحت حماية الكنيسة كى تخلصهم من استبداد جامعى الضرائب خاصة فى الاسكندرية والقسطنطينية وكانت الكنيسة تأخذ ما معهم من أراضى فى مقابل تعهدها بدفع ما عليهم من ضرائب متراكمة[٢٧].

(ب) ثانياً: الضرائب وأنواعها:

اعتمدت الإمبراطورية الرومانية منذ عهدها المبكر وحتى عهدها المتأخر على الجيش وكان من بين وسائل الأباطرة الرومان لكسب تأييد الجيش منح الجنود إقطاعات من الأراضى وخصوصاً فى ولاية مصر. وفرض ضرائب جديدة لسد حاجة الجند ولذلك فنجد أن الضرائب فى الإمبراطورية الرومانية سواء فى عهدها المبكر أم المتأخر قد إزدادت زيادة ضخمة لسد مطالب الحرب ومن الضرائب التى كانت تمثل مصدراً مالياً للإمبراطورية الرومانية فى عهدها المتأخر.

١- ضريبة الأراضى الزراعية Adiectis Steriliam، وكانت قيمتها تتغير من عام لآخر حسب انتقال الملكية ومستوى الفيضان.

٢- ضريبة الرأس Kephaletion وكانت تفرض على الذكور من سن ١٤ وحتى سن الستين واعفى منها الرومان والاغريق واليهود وكان يتم تقديرها حسب المنطقة التى كان يعيش فيها الفرد.

٣- ضريبة الخدمات العامة Leitorgiae وعرفت فى العصر الرومانى باسم Munera وكانت تقتصر على الأغنياء لقدرتهم على الانفاق مثل شيوخ القرية والقائمين بأعمال الشرطة وجامعى الضرائب، عينية كانت أم نقدية وأعضاء مجالس المدن المركزية.

٤- ضريبة المهن الحرفية وفرضت على أصحاب الحرف ذكوراً وإناثاً وكانت تدفع على دفعات

---

(٢٧) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٦.

وكان يتم تكليف العاطلين بالعمل فى مصانع ومخابز الدوله حتى يتمكن من دفع هذه الضريبة.

٥- ضريبة الحيوانات وكانت تدفع عن كل رأس من الحيوانات وقد فرضت على الإبل والحمير والخيول والأغنام والماعز والحمام والدجاج.

وكانت هناك العديد من الضرائب الأخرى مثل ضريبة السدود وضريبة المرافق العامة وضريبة السماء Aerikon والتى كانت تفرض على المبانى العالية فى المدن وضريبة المساحة، وضريبة النخيل، والرسوم البلدية، وضريبة المعاملات التجارية وأخيراً الميرة العسكرية وهى الضريبة التى كانت تحصل من أجل تموين الجيوش وكان الجنود يتقاضون جزءاً من رواتبهم عنياً من القمح والزيت(٢٨).

– عموماً فقد انزل قنسطنطين طبقة الصناع لمرتبة العبودية وذلك عندما جعل الحرف والأعمال وراثية جرياً على سياسة سابقه دقلديانوس فى هذا الصدد حتى لا يفر أصحابها من قسوة الضرائب(٢٩).

وقد شدد العقوبات على جامعى الضرائب فى المدن فى حالة عجزهم عن استيفاء الضرائب المقررة من قبل الحكومة.

وفيما يخص المزارعين فقد وضع تشريع يقضى بمنع أولئك الذين يعانون من الديون من ترك أراضيهم والانتقال إلى ولايات أخرى مما عجل بالقضاء على طبقة المزارعين الأحرار وتحويلها إلى عبيد مربوطين بالأرض.

واستمرت العملة الرومانية على عهد قنسطنطين فى تحسن مضطرد

---

(٢٨) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ص ١٠٠ – ١٠٤.

(٢٩) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، حيث أورد نص المرسوم الذى أصدره قنسطنطين عام ٣٣٧م فى هذا الصدد حيث اعتبر هذا المرسوم محاولة لحل مشكلة خلو الإمبراطورية من أصحاب المهن الحرفية.

بشكل أدى إلى استقرار الوضع الاقتصادى فى الإمبراطورية[٣٠] ولدرجة أنه سك عملة ذهبيه جديدة عرفت باسم Solidus، وقد حقق السلام الذى ساد ربوع الإمبراطورية انتعاشاً غير مسبوق فى أسواق الذهب والفضة فيها بفضل احياء العمل فى مناجم الذهب والفضة القديمة[٣١].

٢- تأسيس العاصمة الجديدة:

- ان تأسيس القسطنطينية واتخادها عاصمة للإمبراطورية الرومانية يدل على شجاعة بالغة، لأن روما كانت رمزاً لعظمة تلك الإمبراطورية على مدار تاريخها إذ أدركنا كما اسفلنا الذكر ان روما لم تعد تصلح مقراً للإمبراطورية لأنها من جهة أصبحت بعيدة عن حدود الإمبراطورية التى إتسعت ومن جهة أخرى فقد كانت تموج بأنصار الجمهورية، كما أن روما بدأت تضعف منذ وفاة الإمبراطور أوغسطس Augustus سنه ١٤م وأكبر دليل على ذلك الضعف ان دقلديانوس نفسه نقل عاصمته إلى نيقوميديا الواقعة على تركيا الآسيوية بعد أن أدرك أن روما لم تعد المقر المناسب لإدارة حكم الإمبراطورية[٣٢].

- اختار قنسطنطين عاصمته الجديدة مكان بيزنطة القديمة الواقعة على البوسفور Bosphorus، ووفقاً لرنسيمان فقد أسس بيزنطه جماعةً من الملاحين من ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م

ومن الواضح أن موضع مدينة القسطنطينية يتميز بأهمية جغرافية واستراتيجية فمن الناحية الجغرافية تقع هذه المدينة عند التقاء قارتى آسيا

---

(30) Cary M. and Wilson John, A Shorter History of Rome, London, 1963, p. 322.

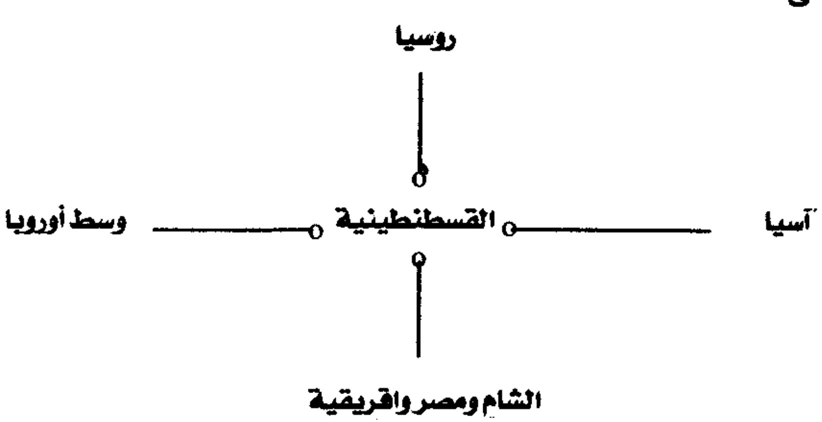
(31) Kent J.P.C. and Painter K.S., Wealth of the Roman World. Gold and Silver A.D 300-700, British Museum 1077, pp. 15 - 18.

(32) Rice Tamara Talbot, Byzantium, London, 1969, p. 10.

وأوروبا إذ يحدها البسفور من الشرق والقرن الذهبى من الشمال وبحر مرمره من الجنوب ولا يمكن الوصول إليها براً إلا من جهة واحدة.

أما من الناحية الاستراتيجية فأرضها تشكل مثلثاً تحمى المياه ضلعيه والضلع الثالث فقد حماه الحكام بفضل الاسوار التى أقاموها حوله.

– صارت أهم مراكز التجارة العالمية بفضل سيطرتها على تجارة البحر الأسود فمنها تتجة طرق التجارة شمالاً إلى روسيا وشرقاً إلى آسيا وغرباً إلى وسط أوروبا وجنوبا إلى الشام ومصر وافريقية كما هو موضح فى الرسم التالى:



وهكذا وبفضل مزايا القسطنطينيه السابقة فقد ظلت صامدة فى وجه أعدائها واستطاعت ان تحافظ على الإمبراطورية الشرقية لما يزيد على الألف عام[٣٣].

– لقد جمع قسطنطين كل ما يلزم لعملية البناء من العمال والمواد الأولية، وأحضر تحفاً وآثاراً وثنية رائعة جمعها من روما واثينه والاسكندرية وافسوس وزين بها شوارعها وميادينها ومنحت المدينة امتيازات ماليه اجتذبت

(33) Jones, op. cit., p. 50.

بها عدداً كبيراً من السكان، واشتهرت المدينة كذلك بكثرة ما شيده قنسطنطين بها من كنائس وبذلك اخذت الطابع المسيحى منذ البداية.

– أقام قنسطنطين بها قصراً وسوقاً ومحاكم وداراً للسيناتوس Senatus وحمامات وملعب ضخم، وسرعان ما اثبتت أنها تستحق بالفعل ان تسمى «روما الجديدة» وأنها مصدر قوة وثروة لكل حكومة قامت بها منذ افتتاحها الرسمى فى ١١ مايو ٣٣٠م[٣٤].

وقد ترتب على نقل العاصمة إلى القسطنطينيه عدة نتائج هى كالتالى:

١ – أنحسار المد الاقتصادى عن الغرب الأوروبى فتحولت الثروات إلى الشرق لتصبح مركزه فى أيدى تجار الاسكندرية وانطاكيه.

٢ – ضعف مكانه روما وهيبتها السياسيه فتحول القمح المصرى ليجد طريقه إلى القسطنطينيه بدلاً من روما[٣٥].

٣ – تسلل المؤثرات الشرقية فى نواحى الحكم والإدارة والآداب وبالتالى سيطر الطابع الهللينستى على ذلك القسم.

والواقع فإن مدينة القسطنطينية ذات فضل تاريخى على الحضارة الأوروبية في العصور القديمة، فلولا قيام القسطنطينيه لما استطاعت البابوية الوصول إلى ما وصلت إليه من قوة ومجد فى العصور الوسطى ولحرم شرق أوروبا من تلك القلعة المنيعة التى صمدت فى وجه المسلمين وحالت دون غزوهم شرق أوروبا.

وصارت القسطنطينيه حصن الحضارة اليونانية والدراسات الهللينيه ولولاها لأدت غزوات السلاف لشبه جزيرة البلقان فيما بعد إلى اقتلاع جذور هذه الحضارة.

---

(34) Idem, p. 49.

(35) Baynes Norman H., Decay of The Western Power and its Causes, in Universal History of the World, ed. by J.A. Hammerton, vol 4, pp. 2230 - 2231.

قنسطنطين والكنيسة المصرية:

يعد الانشقاق الدينى الذى وقع داخل الكنيسة المصرية أهم الاحداث التى وقعت فى عهد الامبراطور قنسطنطين وذلك لما كان له من أثر على العالم أجمع فى هذه المرحلة وما بعدها لعدة قرون[٣٦].

- وتسجل معظم المراجع والمصادر التى تعود إلى هذه الفترة أن قنسطنطين فى سنه ٣١٣م قد أصدر مرسوم ميلانو الذى يقضى بالتسامح مع المسيحيين وقد أصدر الإمبراطور قنسطنطين هذا المرسوم مع شريكه الإمبراطور لكينيوس، وقد جاء فى هذا المرسوم:

١- منح الحرية الدينية لجميع سكان الإمبراطورية.

٢- التسامح مع المسيحيين ووقف اضطهادهم.

٣- إلغاء كل القرارات الصادرة ضدهم.

٤- رد كل الأملاك والأماكن التى صودرت من المسيحية وبأقصى سرعة.

٥- اتخاذ إشارة الصليب علامة مميزة للمسيحيين والجنود.

٦- اعتبار يوم الأحد من كل أسبوع عيداً للمسيحيين.

٧- إجازة حق الإرث بالوصية لصالح الكنيسة.

٨- تصبح المسيحية ديانه شرعية ضمن ديانات الدولة ومساوية لكل الديانات الأخرى بها[٣٧].

عموماً زاد الأمن بعد صدور مرسوم ميلانو فأخذت الكنائس فى الإنتشار ويرى البعض أن «هيلانه» والدة الامبراطور قنسطنطين قد أمرت ببناء عدة كنائس فى مصر أوقفت عليها بعض الأوقاف، لعل أهمها :

---

(٣٦) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣٧) سير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ٣٥.

١- كنائس الدير الأحمر.

٢- الدير الأبيض بالقرب من سوهاج.

وفى هذه المرحلة أيضاً تأسست كنيسة الحبشة التى أعتبرها بعض الباحثين ربيبة الكنيسة المصرية(٣٨).

والواقع فإن الإنشقاق الدينى السابق الاشارة اليه الذى وقع داخل الكنيسة المصرية بعد الاعتراف الرسمى بالمسيحية فى عهد قنسطنطين بموجب مرسوم ميلانو لم يكن الأول فى تاريخ المسيحية فهناك الخلاف الذى حدث بين اورجينيس(*) واسقف الاسكندرية ديمتريوس إذ حاول اورجينيس ان يوفق بين المسيحية والفلسفه اليونانية القديمة فقام بتفسير سفر التكوين على اساس فلسفة افلاطون القائمة على ثنائية العقل والمادة فاعتبروه متطرفاً ورفضت المجامع الدينية قبول الكثير من أرائه.

وسوف نعرض لأسباب حدوث الانشقاق الدينى والخلافات المذهبية تفصيلاً وذلك بعد ان ننهى حديثنا عن خلفاء قنسطنطين فى هذ الفصل.

٣- الإمبراطورية بعد قنسطنطين

توفى قنسطنطين عام ٣٣٧م وبعد وفاته قسمت الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة:

١- قنسطنطين II.

٢- قسطنطينوس.

٣- قنسطانز.

---

(٣٨) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٧٠.

(*) هو أعظم مفكرى المسيحية فى عصره ولد فى ١٨٥م بالإسكندرية واستشهد زمن اضطهاد الإمبراطور سبتميوس سيڤيروس، ولم يبقى من كتاباته إلا شذرات وكتابه المعروف باسم «ضد كلسوس» Contra Celsum وقد ناقشت د. أميرة قاسم فكره الدينى فى اطروحتها التى اجيزت للدكتوراه فى ٢٠٠٦م بجامعة الاسكندرية – كلية الآداب.

وكانت مصر فى الجانب الذى وقع تحت حكم الأبن الأول الذى يعرف بأسم قسنطنطين الثانى.

وظلت الإمبراطورية مقسمة حتى استطاع الأبن الثانى قسطنطينوس توحيدها مرة أخرى عام ٣٥٠م تحت حكمه الذى استمر حتي عام ٣٦١م، وبالرغم من ذلك فقد اخذت الإمبراطورية فى الانحدار والضعف فى النصف الأخير من القرن الرابع بسبب هجمات الاعداء على حدودها.

كان قنسطنطين الثانى يعتنق المسيحية على المذهب الأثناسيوسى فى حين كان أخية قسطنطنيوس اريوسى المذهب ولذا فعندما توفى قنسطنطين الثانى فى عام ٣٤٠م قام الإمبراطور قسطنطينوس بأرسال أحد رجال الدين إلى مصر ليتولى منصب البطريرك ويدعى جريجورس فبدأت الاضطرابات مرة أخرى فى مدينة الاسكندرية وفى ظل هذه الاضطرابات استغل الوثنيون الفرصة وهاجموا الكنائس واحرقوا كتبها ونهبوا خزائنها[٣٩].

فى تلك الاثناء ذهب أثناسيوس[*] ليشرح قضيته فى روما وهناك تحدث عن الرهبنه حيث لاقى حديثه قبولاً لدى جمهور الغرب واثناء وجوده هناك دعا إلى عقد مجامع دينية، ولم تجتمع، وعقدت مجامع أخرى وبرأته وعاد إلى منصبه فى الإسكندرية حيث شكلت علاقته مع الإمبراطور جوليان ملامح الفترة التالية:

٤- جوليان وخلفائه:

زاد ضعف الإمبراطورية الرومانية بسبب هجمات الأعداء على حدودها ولم تفلح جهود الأباطرة الذين تولوا الحكم فى هذه الفترة فى صد ذلك الخطر أو وقف تيار الانحلال ومنهم:

---

(٣٩) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ص ٧٢ – ٧٣.

(*) وثنى المذهب عاشر المسيحيين ومال إلى آدابهم وديانتهم فعمده البطريرك اسكندر ٣١٣-٣٢٦م وجعله شماساً وتلميذاً خاصاً له وقد خلفه بعد وفاته ٣٢٦-٣٧٣م.

١- جوليان ٣٦١ - ٣٦٣ م.

٢- جوڤيان ٣٦٣ - ٣٦٤ م.

٣- ڤالــنز ٣٦٤ - ٣٧٨ م .

فجوليان قتل اثناء حربه مع الفرس في ٣٦٣، في حين لجأ خليفته جوڤيان إلى شراء السلم من الفرس عن طريق التنازل لهم عن أراضي ما بين النهرين، أما فالنز فعاد مسرعاً من الجبهة الفارسية لمواجهة خطر القوط والتقى بهم في موقعه أدرنه في أغسطس ٣٧٨ حيث تمكن القوط الغربيون بمساعدة اخوانهم الشرقيون من محو الجيش الروماني وقتل الإمبراطور ذاته في المعركة(٤٠) .

ويعد مقتل هذاالإمبراطور نقطة تحول خطيرة في تاريخ الإمبراطورية وذلك للأسباب التالية:

١- أخذت قبائل القوط الغربيون بعدها تتوغل داخل أراضي الإمبراطورية تحت ضغط الهون الآسيويين.

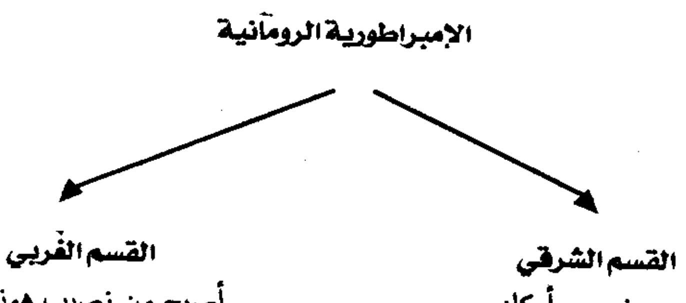
٢- أخذت الكنيسة في نفس الوقت تظهر على درجة من القوة والثروة حتى أصبحت المسيحية ديانه الإمبراطورية الرسمية على عهد الإمبراطور ثيودسيوس ٣٧٨-٣٩٥م.

٣- أصبح بعده مصير الإمبراطورية معلقاً بين ايدي الجرمان من جهة ورجال الكنيسة من جهة أخرى.

وبوفاه ثيودسيوس في ٣٩٥م انتهى الأمر بتقسيم الإمبراطورية الرومانية الكبرى بين ولديه إلى قسمين شرقي وغربي:

---

(40) Cameron Averil, op. cit., p. 31 , 100.



أصبح من نصيب هونريوس Honorius

أصبح من نصيب أركاديوس Arcadius

ويعتبر هذا التقسيم من مظاهر التفكك والانحلال الذى اصاب الإمبراطورية الرومانية والتى اشتد خطرها فى النصف الأخير من القرن الرابع لأسباب أربعة وهم كالتالى:

١- إزدياد الفساد الإدارى.

٢- تضاعف عبء الضرائب.

٣- تفاقم الخلل الاجتماعى بعد تكاثر عدد العبيد Servi المشتغلين بالزراعة والصناعة وتناقص عدد الأحرار.

٤- الصراع المذهبى الذى القى بظلاله على أحوال الإمبراطورية.

- لقد كان الاهتمام بتوفير الأمن والرفاهية للرعيه هو شغل جوليان Julian الشاغل وكان يخصص أوقات فراغه الشتوية لقضاء أعمال الإدارة المدنية، وقد اعاد جوليان معظم مدن الغالة Gallia إلى سابق عدها وانتعشت فى عهده روح الاقبال على العمل(٤١).

على أن كل ما سبق لم يكن سبباً فى شهرته التاريخية بل اكتسب شهرته بارتداده إلى الوثنية لدرجة أنه عرف باسم Julian The Apostate أى جوليان المرتد وقد اثبتت مجهوداته العسكرية فشلها.

---

(٤١) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ص ٧٤ – ٧٥.

ولما مات چوليان اختار الجيش جندى مسيحى ذائع الصيت يدعى چوفيان Jovian وكان مسيحياً على المذهب الاثناسيوسى وفى عهده عاد عدد كبير من رجال الجيش إلى المسيحية مرة أخرى بعد أن ارتدوا عنها حتى يظلوا فى مناصبهم فى عهد چوليان.

وتولى بعد چوفيان ڤالنز الذى كان اريوسى المذهب ولذلك نفى فى عام ٣٦٥م جميع الاساقفة الذين يتبعون مذهب اثناسيوس وهم الذين اعادهم چوفيان إلى مناصبهم[٤٢].

(42) Cameron Pveril, Op. cit., p. 31.

الفصل الثالث

الإمبراطورية الرومانية والمسيحية



الفصل الثالث

الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

١- الإمبراطورية الرومانية قبل ظهور المسيحيه:

- كانت الديانات الوثنية المحلية منتشرة فى كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية ومن أهم تلك الديانات التى وجدت تجاوباً شديداً من الأهالى، ديانة الأم الكبرى سيبلى Cybelle من فريجيا فى آسيا الصغرى، وديانة ميثرا Mithras من فارس وديانة ايزيس Isis من مصر، وقد عرفت جميعها بديانات الأسرار وذلك لانها كانت تتميز بسرية ممارسة طقوسها ولا يجوز لمن اطلع على اسرار احداها ان يبوح بها لغيره وعلى الرغم من اختلاف كل ديانه منهم عن الأخرى إلا أنها كانت مرضية لحاجات الأهالى الروحية، كما انها لم تحدث انقلاباً فى مركز العبادات الرومانية السائدة وكانت مقبولة خلقياً ومأمونة سياسياً ولذلك فقد نظرت الإمبراطورية لها جميعاً نظرة تسامحية[1].

- دخلت عبادة سيبلى روما سنة ٢٠٤ ق.م وانتشرت بسرعة بالغة فى افريقية والغال وليديا وفريجيا وأيطاليا وغيرها[2]، أما ديانة ميثرا الوافدة من فارس فتتلخص تعاليمها فى أن العالم نشأ عن أصلين هما: النور والظلمة ومن النور نشأ كل خير ومن الظلمة نشأ كل شر ، وقد دخلت عبادة ميثرا إلى روما عن طريق آسيا الصغرى وانتشرت عبادة مثيرا - الإله الذكر الذى هزم الموت إلى الأبد - فى الغرب الأوربى خلال القرنين الأول والثانى الميلادى،

(1) Painter, op. cit., pp. 11 - 12.

(2) Lindsay T.M., "The Triumph of Christianity" in Cambridge Medieval History, vol 1, p. 90.

كما انتشرت فى بعض الموانئ التجارية الهامة مثل الإسكندرية وبيرايوس وقرطاجنه[٣].

– غير أن العبادة الميثرائية واجهت منافساً خطيراً، وهو الديانة المسيحية التى رحبت بالنساء كاتباع لها يجدون راحتهم النفسية فيها على خلاف الميثرائية التى قصرت عضوية اتباعها على الذكور[٤].

– أما عبادة ايزيس الإلهه المصرية فقد لاقت من الترحيب أكثر مما لقيته عبادة سيبلى وقد عرفت شعوب البحر الأبيض المتوسط كلها كيف مات أخوها وزوجها أوزوريس (سيرابيس) إله الخير فى صراعه مع «ست» إله الشر وكيف اخلصت ايزيس لذكراه وتجوالها فى العالم تجمع بقاياه من شرق الأرض وغربها، وقد رحبت بجميع الناس فشملت فى عضويتها الرجال والنساء على حد سواء.

– انتقلت عبادة ايزيس إلى روما فى غضون القرن الثانى ق.م بفضل الاغريق وكان غالبية اتباع هذه الديانه من العبيد والمعتقين والأجانب وفقراء الرومان، وان ظهر بينهم فى بعض الأحيان سيدات من الطبقة الارستقراطية.

– وكان عصر الأسرة الڤيلاڤية هو العصر الذهبى لعبادة ايزيس فى روما إذ عثر على نقش يعود إلى عصر فسباسيانوس Vespasianus ٦٩–٧٩م أول أباطرة تلك الأسرة قام بكتابته أحد العبيد تعظيماً لايزيس Isis Invicta [٥]

(3) Grant Michael, The World of Rome, London, 1960, pp. 168-171.

(4) Runciman Steven, op. cit., pp. 18 - 19.

(٥) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، القاهرة ١٩٦٨، ص ص ١٤٨ – ١٤٩.

التى لا تقهر، وكذلك فقد حملت نقود فسباسيانوس التى سكت فى روما وغيرها من المدن صورة ايزيس فى معبدها بساحة مارس.

- أما الإمبراطور دوميتيانوس ٨١-٩٦م وهو أخر أباطرة الأسرة الفيلافية فقد بنى من أجل ديانة ايزيس معبداً هائلاً لها ولسيرابيس(٦).

- ورغم انتشار الديانات السابقة الواسع إلا أنها لم تفرض سيطرتها على بقية العقائد المختلفة والتى اتجه المثقفون اليها ومنها:

١- مذهب الشكاك Sceptics.

٢- مذهب الغنوسية Gnosticism.

٣- مذهب الفلسفه الرواقية Stoicism وكان لها الغلبة على سائر الفلسفات الأخرى لأنها تتفق والأخلاق والمثل الرومانية ويبدو أن الرومان كانوا رواقيين قبل ان يسمعوا أصلاً عن المذهب الرواقى بزمن طويل(٧).

- واثرت الرواقية فى شعور الرومان على مر العصور ونجد لها صدى فى كتابات الفيلسوف الرومانى سينيكا وكذلك كتابات الامبراطور ماركوس اوريليوس Marcus Aurelius ١٦١ - ١٨٠.

وعلى الرغم من أن الغنوسية كانت منافساً خطيراً للمسيحية فى البداية إلا أنها خلقت بيئه مناسبة لكى تسود المسيحية بعد ذلك، إذ شجعت على ترك الديانات القديمة لقصورها، فأفادت بذلك للمسيحية مساعدة كبرى، وعلى الرغم من هزيمة الغنوسية أمام المسيحية، إلا أنها تركت فى المسيحية اثرين هامين:

---

(6) Bury J.B., A History of The Roman Empire From its Foundation to The Death of Marcus Aurelius 27 B.C - 180 A.D London, 1930, p. 394.

(٧) مخمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٥٤.

١- أدت إلى تفكير رجال الدين المسيحى فى القرون الميلادية الثانى والثالث والرابع فى وضع اسس علم اللاهوت المسيحى.

٢- أوجدت الغنوسية مع الفلسفه، قوة الاتجاه التصوفى والروحانى الذى عرف فى المسيحية فيما بعد[٨].

والواقع ان المسيحية التى اعلنت زيف كل الديانات الاخرى وكتب لها النصر على بقية الأديان قدر لها بعد صراعها مع اليهودية والوثنية ان تقضى حوالى ثلاثة قرون مليئة بالتضحيات حتى استطاعت ان تحتوى الإمبراطورية الرومانية قاطبة.

٢- اليهود والمسيحية:

لقد رفع اليهود راية العداء فى وجه المسيحية وبداية فكانت السلطات الرومانية متسامحة معهم إذ آلت على نفسها حماية ديانتهم واعطتها ضمانات - ترجع لعهد Iulius Caesar بموجبها زاولوا شعائرهم الدينية فى حرية وأمن.

- وسمح لليهود بالمثل بأصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الامبراطور، ورغم كل الامتيازات التى منحها الرومان لليهود، إلا أنهم قابلوها بروح إنفصالية وتعصب دينى وانعزال عن المجتمع[٩].

ويروى لنا ول ديورانت فى مؤلفه «قصة الحضارة» أنه قبل إنتهاء القرن الأول الميلادى بلغ عدد اليهود فى روما حوالى عشرين الف، وكانوا يشتغلون بالصناعات اليدويه وبالتجارة فى الحوانيت، وكان لهم عدد كبير من المعابد وعرف عنهم إحتقارهم للديانات الوثنية، فضلاً عن امتناعهم عن الذهاب إلى المسارح الرومانية أو مشاهدة الألعاب، لكن هذه الصفات لم تحول دون

---

(٨) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ٢٦.

(9) Barrow R. H., The Romans, Great Britain, 1975, pp. 175 - 176.

اعجاب كثير من مثقفى الرومان بالديانة اليهودية التى كانت تدعو إلى وحدانية الله معارضة بذلك الديانة الوثنية وعبادة الإمبراطور لذلك اتجه البعض إلى الدخول فيها[١٠].

أ - تاريخ الخلاف بين اليهود والإمبراطورية الرومانية:

بدأ الخلاف بين اليهود وأباطرة الرومان مع اعتلاء الإمبراطور كاليجولا Caligola ٣٧م عرش الإمبراطورية وذلك عندما أمر جميع اتباع الديانات الموجودة آنذاك أن يقدموا قربانا له وأمر رجاله فى أورشليم أن يضعوا تمثاله فى الهيكل وذلك عملاً بمبدأ عبادة الامبراطور التى سارت عليه الإمبراطورية منذ عهد أوغسطس Augustus .

ولكن اظهر اليهود امتعاضاً شديداً من تصرفات الإمبراطور كاليجولا وانتهت هذه المشكلة مع وفاة كاليجولا نفسه.

– وفى عام ٧٠م ثار اليهود فى جودايا Judaea وتمكن القائد الرومانى من قمع هذه الثورة بعنف فقتل معظم اليهود الذين كانوا فى أورشليم (القدس) ودمر هيكلهم وادت هذه الضربة إلى تشريدهم فى جميع انحاء الإمبراطورية.

– فى عام ١١٥ و ١١٦م واجهه الإمبراطور هادريان ١١٧ – ١٣٨م ثورة أخرى قام بها اليهود وقضى عليها وحرم اليهود من آداء طقوسهم الدينية علناً كما:

١– فرض عليهم ضريبة شخصية جديدة.

٢– حرم عليهم دخول بيت المقدس إلا فى يوم واحد فقط فى السنة ليبكوا فيه أمام اطلال الهيكل[١١].

---

(١٠) ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى من المجلد الثالث، قيصر والمسيح والحضارة الرومانية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣، ترجمة محمد بدران، ص ص ٣٠٦ – ٣٠٧.

(١١) ول ديورانت، نفس المرجع السابق، ص ص ١٩٤ – ١٩٥.

– وهكذا عانى اليهود وفقدوا الثقة فى روما وبالتالى روادهم حلم النجاة من العذاب على يد السلطات الرومانية الذى بدأ فى نظر العديد من اليهود جزء من انتصار الشر القصير الأجل الذى سيقضى عليه أما بتدخل الله نفسه أو أن يرسل مسيحاً Messiah يدفع عنهم الذل والهوان(١٢).

– لكن أمل اليهود سرعان ما تبخر عندما آتى المسيح Jesus بديانة ليست كالدين اليهودى مقصورة على شعب بعينه ولكنها ديانة اضاءت حياة الناس جميعاً(١٣).

وعلى الرغم من الغموض الذى يكتنف تاريخ المسيحية المبكر إلا أنه من الثابت بالقطع أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ولد فى بيت لحم على بعد خمسة أميال جنوبى القدس خلال عهد الإمبراطور أوغسطس ٢٧ ق.م ١٤م(*).

– ويؤكد الدكتور سعيد عاشور فى مؤلفه «أوروبا العصور الوسطى» على فضل جهود القديس «بولس» فى إنتشار المسيحية وكيف أنه نظم المجتمعات المسيحيه وحدد تعاليمها مستغلاً شبكة المواصلات الرومانية التى خيم عليها السلام الرومانى بظلاله فى تحقيق مسعاه(١٤).

– واثار اليهود القلاقل ضد القديس بولس أثناء قيامه بنشر الدعوة للديانة المسيحية فى حين حرص الموظفون الرومان على حمايته نكاية فى اليهودية حيث اعتبره الرومان منشقاً عن اليهودية لأنهم فى البداية لم يميزون بين المسيحيه واليهودية.

---

(12) Salmon E.T, A History of The Roman World 30 B.C to 138 A.D, Great Britain, 1974, pp. 324 - 325.

(١٣) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٥٧.

(*) سمى المسيح باسم «يسوع Yeshua»، ومعناه معين يهوه.

- قبل انتهاء القرن الثانى أتسعت دائرة انصار المسيحية ممن ينتمون إلى الطبقات العليا مثل:

١- أعضاء مجلس السيناتوس.

٢- الفرسان Equites.

٣- الأطباء.

٤- ضباط الجيش.

٥- محامين.

٦- قضاة.

مما كان ينذر بالخطر والخوف من هذه الديانة الجديدة الصاعدة التى تمكنت من النسيج الاجتماعى والإداري والعسكرى الرومانى.

- عندما بلغ المسيح الثلاثين من عمره بدأ يعظ الناس على أسس اخلاقية، مثل عظته الشهيرة فوق الجبل [١٤]، ولقد كان المسيح عليه السلام شديداً فى إنتقاداته لعادات بنى اسرائيل وشرودهم عن الطريق، فهاجم عاداتهم، وطالب بتغييرها، مما جعل طائفه من اليهود المتدينين والمتطرفين تنظر إليه بشك وخوف.

- وسعى زعماء اليهود بزعامة القاضى «قيافة» مطالبين حماتهم الرومان بالتدخل ومحاكمة الرجل الذى يطالب بعرش اسرائيل، مما يعكر الصفو الرومانى، وتحت الحاح اليهود وخوفاً من ابلاغ الامبراطور الرومانى تيبريوس بأن واليه على فلسطين متخاذل فى حماية السلام الرومانى أمر الوالى بالقبض على السيد المسيح بتهمة الثورة والخروج على السلام الرومانى.

---

(١٤) انجيل متى، ٥، ٦، ٧.

حكمها بصلب المسيح وأضطر الوالى الرومانى للاذعان لهذه المحاكمة عملاً بالإلتزام الرومانى بعدم التدخل فى الشئون الدينية لشعوب الإمبراطورية، وبينما رأت الأناجيل المسيحيه إن المسيح قد صلب فى عيد الفصح اليهودى، ربما عام ٣٠م، وأنه كان فى الثالثه والثلاثين من عمره إلا أن القرأن الكريم رأى إن الله رفع المسيح إليه «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم».

- بعد صعود المسيح قاد حواريوه الاثنى عشر بزعامة بولس الطرطوسى مهمة نشر تعاليم المسيحيه، وانزعجت السلطات الرومانية للخطب والمواعظ التى كان يلقيها فقبض عليه فى عصر الإمبراطور نيرون ونفذت فيه عقوبه الإعدام عام ٦٧م بتهمة ازعاج السلطات الرومانية.

وحتى عام ٤٨م كان أنصار السيد المسيح يعتبرون طائفه منشقه عن اليهود، ويتبعون المعبد اليهودى، حتى أعلنوا فى اجتماع عقدوه فى اورشليم «بيت المقدس» أن الخلاص متاح للناس جميعاً.

- بنهاية القرن الأول الميلادى انتشرت كنائس صغيرة فى أجزاء كثيرة من الإمبراطورية الرومانية، وبدأ التنظيم الدقيق للسلك الكنسى فكانت كل كنيسة وحدة مستقله ترتبط مع الكنائس الأخرى بالاتصالات التبشيريه وأصبح لكل كنيسة شعبها Ecclesia الذى ينتخب شيوخهم Presbytéres لقيادة الكنيسة، وانتخب سلك من الكهانه Clerus من الرجال والنساء لإدارة الكنيسة واعداد الناس لعودة المسيح إلى الأرض.

- لقد أصر إذن المسيحيون على ان يخرجوا من كنف اليهودية، وأضطر الرومان إلى تحقيق رغبتهم وكان خروجهم معناه عدم التمتع بالإمتيازات التى كانت يتمتع بها اليهود مثل الإعفاء من عبادة الإمبراطور والذى كان ممنوحاً لليهود فقط وبالتالى أصبح على أصحاب الدين الجديد الإلتزام بعبادة الإمبراطور الرومانى كبقية شعوب الإمبراطورية.

- ولكن المسيحيين رفضوا رفضاً تاماً التعبد لغير الله، وفى تحد سافر

للإمبراطور رفضوا تقديم الاضاحى فى معابد الإمبراطور، كما رفضوا حرق البخور أمامْ تماثيله، بل ودعوا إلى رفض الخدمة فى الجيش الرومانى لأنه يتبع الإمبراطورية الرومانية التى اعتبروها دولة وثنية.

– وفى الواقع فقد كان سلوك المسيحيين الأوائل وتعصبهم الشديد وتفش شهوة الاستشهاد بينهم ومعاداتهم العلنية للديانة الوثنية وللإمبراطورية الرومانية أكبر عامل لإنتشار الكراهية ضدهم. وفى البداية حاولت الإمبراطورية تجاهل رفض المسيحيين حرق البخور، والسجود أمام تماثيل الإمبراطور، ولكن بدأ المسيحيين رفض الإلتزام بالنظم الاجتماعية والاخلاقية السائدة فى الإمبراطورية ودعوا الناس إلى نبذها. وكانت إجتماعاتهم تتم سراً فى أماكن خفية سواء بين القبور أو سراديب تحت الأرض مما آثار شبهات الإمبراطورية نحوهم بأنهم يمارسون شعائر تدعو للثورة والتآمر على الإمبراطورية، وأدى انعزالهم وانسحابهم من المجتمع ورفضهم التعاون معه إلى إثارة غضب سكان المدن التى كانوا يتواجدون فيها وقد ساعد اليهود فى إشاعة هذه الشبهات والاتهامات(١٥).

– ولا نعرف تدخلاً عدائياً ضد المسيحيين إلا فى عهد نيرون، عندما اشتعلت النيران فى مدينة روما فى الحريق الكبير عام ٦٤م، واشاع اعداد المسيحيه من الوثنيين واليهود أنها من فعل المسيحيين، وهنا إضطر الإمبراطور إلى جعل المسيحيين كبش فداء لامتصاص غضب الغوغاء، ونلاحظ هنا أن اضطهاد نيرون للمسيحيين ليس بسبب عقيدتهم ولكن لأنهم طائفة منسحبه كارهة للمجتمع الوثنى الذى بادلهم الكراهية بالمقت، فكل الأذى الذى عرفه المسيحيين كان على أيدى الغوغاء التى فتكت بزعماء

(١٥) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ٢١–٢٧.

المسيحيين إذ فتك الوثنيون بمرقص وفتكوا ببطرس وصلبوه(*) وكذلك اسطفانوس وبوليكاريوس والشهيد يوستين فى مدن الإمبراطورية الشرقية ونعرف من خطاب الإمبراطور تراچانوس الموجه إلى بلينيوس الأصغر ان بعض الأباطرة الصالحون حاولوا حماية المسيحيين وتركوهم يعبدون ما يعبدون[١٦].

هكذا عرضنا لتاريخ الخلاف بين اليهودية والمسيحية وعلاقة اليهود بالرومان وعلاقة الرومان باليهود فى الإمبراطورية الرومانية.

المسيحية والإمبراطورية الرومانية:

بأنتهاء عصر الأباطره الصالحين، انتهى عصر التسامح الكبير، ففى ظل هذا التسامح ازدهرت المسيحية وقويت شوكتها، وبدأت ملامحها العقائدية فى الوضوح واستوعبت الفلسفات الإغريقية وترجمت الأناجيل إلى اللغه اليونانية وبفضل هذا التطور انتشرت المسيحية على نطاق واسع إبان القرن الثالث الميلادى وأصبح لا ينافسها إلا العقيدة المثرائية الفارسية.

- بدأ الإمبراطور سيڤيروس فى الدعوة إلى اتحاد كافه الآلهه الوثنية فى مجمع واحد وتشجيع الافلاطونيه الحديثه لمقاومة الزحف المسيحى والأكثر من ذلك فقد ذهب ابنه كاراكلا إلى منح الجنسية الرومانية لجميع شعوب

(*) بطرس هو مؤسس الكنيسة المسيحية فى روما وجرى إعدامه مع بولس وغيره على يد نيرون ٦٤م راجع:

- Chadwick H., The Early Church, London, 1967, p. 18.

- أما مرقص فهو الشهير بالانجيلى وهو مؤسس الكنيسة فى الإسكندرية، وكان أول مبشر بالإنجيل فى مصر وكان أول اسقف مسيحى بالإسكندرية وعلى يديه اعتنق أول رجل للمسيحية فى مصر من اليهود راجع:

- السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١١.

(16) Pling, Epistulae, 10, 87.

الإمبراطورية لربط شعوبها بالأخاء والمساواة ردا على الأخوة المسيحية. وبذلك انتهت مرحلة التنافس السلمى وتأتى مرحلة محاربة المسيحية بالعنف وذلك خلال فترة الخمسين عاماً التى تلت سقوط الأسرة السيڤيريه ٢٣٥ – ٢٨٥م.

– حدث الاضطهاد الفعلى الذى بدأ على يد ديكيوس الذى كان أول من أمر بالقبض على المسيحيين وملاحقتهم وانزال العقاب بهم[١٧]، وكان آخر وأبشع اضطهاد للمسيحية هو الاضطهاد الذى قام به دقلديانوس وبعد اعتزال دقلديانوس وشريكه ماكسيميانوس تولى الحكم قنسطنطين الذى اراد التخلص من شريكه لكينيوس وذلك لينفرد بحكم الإمبراطورية وحده، ولما كان فى حاجة ماسة إلى انصار يؤازرونه، فبدأ يتجه إلى المسيحيين الذين كان معجباً بهم لغيرتهم الشديدة على دينهم. إذ رأى ان هذه الغيرة هى التى ستربط الإمبراطورية وتوحدها من جديد ومن هنا بدأ يتودد إلى القوى المسيحية.

– ففى عام ٣١٣م أصدر مرسوم ميلانو وبذلك أظهر نفسه حامياً للكنيسة كى يستفيد من تأيدها له[١٨]وكى يستفيد من تنظيماتها ومنظماتها الدقيقة، وبالرغم من ان قنسطنطين كان وثنى العقيدة إلا أنه استمر بعد توليه العرش فى مساندة الكنيسة المسيحيه ولذلك وضع فى تصوره لبناء العاصمة بناء أكبر

---

(١٧) أصدر هذا الإمبراطور مرسوماً يحتم على كل شخص تقديم شهادة تثبت ان حاملها قام بتقديم القرابين باسم الإمبراطور فى المعابد الوثنية إلى لجنه شكلت خصيصاً لهذا الغرض راجع محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطيه، مرجع سابق، ص ٣٩، حيث ذكر أيضا أن الإمبراطور ڤاليريان ٢٥٦–٢٦٠م لاحق زعماء المسيحيين وحرم عليهم الاجتماع فى دور العبادة أو فى المقابر، قارن، أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الجزء الأول، طبعة ثانية، منشورات المكتبة البوليسيه، ١٩٨٨، ص ٣٥.

(18) Vasiliev A., The Byzantine Empire, Madison, 1952, v, I, pp. 50 - 52.

كنيسة فى العالم وهى هاجياصوفيا (كنيسة الحكمة الربانية)، ولم يصبح قنسطنطين مسيحياً من الناحية الرسمية إلا وهو على فراش الموت عام ٣٣٧م حين طلب تعميده.

- لقد عفى قنسطنطين كهنه الكنائس من بعض الإلتزامات المدنيه الإجبارية ومن دفع الضرائب وساوى بذلك بينهم وبين كهنة المعابد الرومانية وذلك بين أعوام ٣١٣م - ٣١٩م[١٩].

الصراع العقائدي داخل الكنيسة:

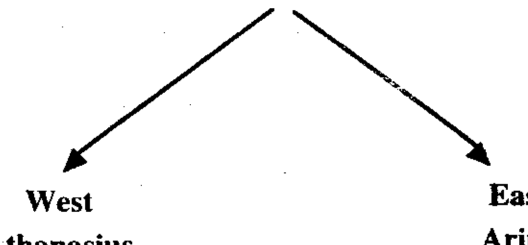
- ما أن انتهى الصراع مع الوثنية الاغريقيه ومع الإمبراطورية الرومانية حتى خرجت خلافات بين الكنائس حول نظرية الإيمان المسيحى، ومن أهم نقاط الخلاف هو علاقة الأب بالأبن وبالروح القدس، وهو الخلاف الذى قسم المسيحيين وبالتالى العالم الرومانى إلى معسكرين وأثار البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان.

- وقد فجر آريوس احد اساقفة كنيسة الإسكندرية ذلك الخلاف فى عام ٣١٨م عندما انكر الإيمان بالثالوث موضحاً ان الإبن والروح القدس من خلق الأب فكيف يوجدان مع وجوده ويتساويان معه؟! وعرفت هذه النظرية بالنظرية الآريوسيه Ariusism [٢٠]، وفى الحال رد عليه اثناسيوس شماس كنيسة الاسكندرية، الذى تمسك بالثالوث كرب واحد، وان للمسيح طبيعة واحدة هى ربانية ورفض اريوس بأن للمسيح طبيعتين، واحدة بشرية وهى «الناسوت»، وأخرى (ربانيه) وهى اللاهوت، فى حين تمسك انصار اثناسيوس بوحدانية طبيعة المسيح ولذا عرفوا باسم المونوفيسيون Monophysite.

---

(١٩) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٣١.

(20) Cambridge Medieval History, Cambridge, 1924, 8 vols, vol V, I. p. 1i9.



East

Arius

- قال أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الأبن، ولما كان المسيح مخلوق للآله الأب، فهو إذن يميزه ولا يمكن ان يعادل الإبن الاله الآب فى المستوى والقدرة.
- وبذلك يصبح المسيح مخلوق لا إله(٢١). والا يصبح المسيحيون متهمون بعدم التوحيد وعبادة آلهين.
- ولاقت دعوته استجابه فى الشطر الشرقى من الإمبراطورية وتمثله كنيسة القسطنطينية.

West

Athanasius

- قال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الإبن مساوياً للإله الأب تماماً وفى كل شئ وذلك بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه وان كانا شخصين متميزين(٢٢).
- اعتمد على مكانه المسيح وأدرك ان أى اتجاه نحو التقليل من مركزه يؤدى لإضعاف الدعوة المسيحية وهكذا كان انصار هذا المذهب من الموحدين «أصحاب الطبيعه الواحدة».
- ولاقت دعوته استجابه فى الشطر الغربى من الإمبراطورية وتمثله كنيسة روما.

خيب هذا الانشقاق آمال قنسطنطين التى كان يعقدها على وحدة الكنيسة من أجل وحدة الإمبراطورية ودعا إلى عقد مجمع لزعماء الكنائس فى نيقية عام ٣٢٥م وذلك برئاسته(٢٣).

مجمع نيقيه ٣٢٥م :

- أول مجمع مسكونى عالمى فى تاريخ الكنيسة.

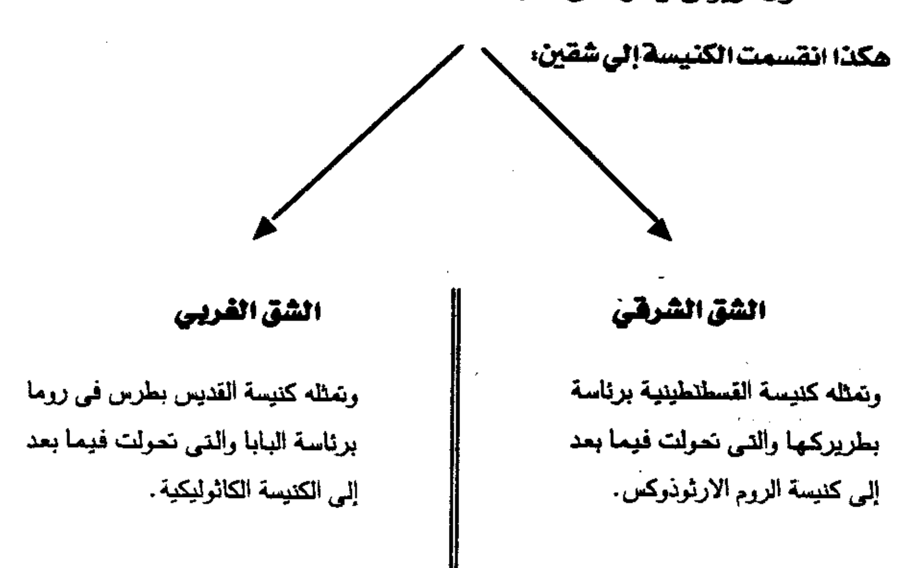
---

(21) Lot, G., the End of the Ancient World and The Begining of the Middle Ages, London, 1966, p. 43.

(22) Vasiliev A., op. cit, v, I, pp. 55 - 57.

(23) Chadwick. H., op. cit, p. 129.

- حضرة نحو ٣٠٠ من رجال الدين فى الشرق والغرب.
- رأسه قنسطنطين رغم عدم كونه معمداً.
- عزل آريوس وطرد من الكينسة ووصف بالمهرطق[٢٤].



كنيسة الإسكندرية
التي بدأت تستقل عن كلاهما بشخصيتها
وآرائها والتي تحولت فيا بعد إلي
الكنيسة القبطية[٢٥]

---

(24) Cambridge Medieval History, op. cit, v. I, pp. 122-123.

(٢٥) توالى على اسقفية الإسكندرية ثلاثة رجال فيما بين ٣٨٥م – ٤٥١م أضافوا إلى عظمتها الكثير وهم ثيوفيل، كيرليس، ديسقروس، راجع السيد الباز العرينى، مرجع السابق، ص ٥٧، وعن دور كيرليس تحديداً راجع:
- Bury J.B.. History of the Later Roman Empire From The Death of Theodosius I to the Death of Justinian, New York, 1958, pp. 216 - 217.

ونظراً لبقاء المذهب الأريوسى فى الشرق قوياً أضطر قسطنطين إلى تغيير رأيه فأستدعى أريوس من منفاه سنه ٣٢٧م وذلك تمهيداً منه لتحقيق رغبته فى نقل العاصمة إلى القسطنطينية (الشرق) وهو الأمر الذى تم بالفعل فى ٣٣٠ وكان يستلزم رضاء اهالى الجزء الشرقى من الإمبراطورية المسبق.

– إن الخطوة السابقه تؤكد على إن قنسطنطين كان على إستعداد تام لتغيير ميوله المذهبيه وفق مصالحه السياسيه ذلك أنه ظل يؤيد المذهب الأثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى الغرب وطالما كان يعتمد على الغرب فى قوته.

- **مجمع صور في ٣٣٤م:**

– مجمع دينى جديد عقده قنسطنطين والغى فيه قرارات مجمع نيقيه.

– وصل مجمع صور إلى العفو عن اريوس واتباعه.

– وقرر عزل اثناسيوس ونفيه إلى تريف فى غاليا حيث اطلق سراحه بعد ذلك چوليان المرتد ٣٦١ – ٣٦٣م الذى كان وثنى التوجه.

وعموماً فقد توفى أريوس فجأة فى القسطنطينيه عام ٣٣٦م واعتقد آتباعه أنه مات مسموماً، فى حين فرح خصومه معتبرين إن ذلك هو حكم الله العادل وسرعان ما لحق به الإمبراطور قنسطنطين حيث توفى فى ٣٣٧م بعد أن تم تعميده وفق مبادئ المذهب الأريوسى.

– كان قنسطنطين قبل وفاته قد قسم الإميراطورية بين أبنائه الثلاث:

قنسطنطين الثانى: الذى تولى إدارة وإشراف القسم الغربى.

قنسطنطيوس: الذى تولى إدارة واشراف القسم الشرقى.

قنسطانز: الذى تولى إدارة إقليم الليريا والجزء الأوسط فى شمال افريقيا.

وعمل كل منهم في الواقع على توطيد حكمه حسب المذهب السائد في القسم الذي يديره، فنجد قنسطنطيوس يشجع الآريوسية، خلاف اخواه اللذان دأبا على تشجيع الاثناسيوسيه مما جعل الخلاف المذهبي يتطور إلى انقسام في الكنيسة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني.

وبعد وفاة قنسطنطين الثاني أصبحت مهمة الدفاع عن العقيدة الاثناسيوسيه تقع على كاهل البابوية ورجال الدين في الغرب لاسيما بعد مقتل قنسطانز وتوحيد الإمبراطورية تحت حكم قنسطنطيوس المعروف بولائه للمذهب الأُريوسي ذلك الولاء الذي دفعه لفرض هذا المذهب على اجزاء الإمبراطورية الغربية مما رجح كفة الاريوسيه في الإمبراطورية عند وفاته في ٣٦١م.

لكن هذا الرجحان كان مؤقتا إذ أعلن الإمبراطور ثيودسيوس العظيم عدم شرعية المذهب الأريوسي في مجمع القسطنطينية ٣٨١م بل وفرض عقوبات مشددة على اتباع هذا المذهب في جميع انحاء الإمبراطورية.

أصبح طبيعياً بعد أن أعلن قنسطنطين اعترافه بالمسيحية عام ٣١٣م أن يتم الوقوف على صحة العلاقة بين الله والمسيح في نقاط محددة ودقيقة وان يتم الوصول إلى تفسير يشفي غله المثقفين بشأن المقصود بتحوّل الخبز والنبيذ إلى لحم المسيح ودمه وهل العذراء مريم أم للمسيح في طبيعته البرية أم في طبيعته الإلهيه. كل هذه التساؤلات القى بها على عاتق أباء الكنيسة ومن أشهرهم:

١- كليمنت السكندري ١٥٠ - ٢١٧م.

٢- اوريجينيس السكندري ١٨٥ - ٢٥٤م.

٣- جيروم ٣٤٠ - ٤٢٠م.

٤- امبروز ٣٤٠ - ٣٩٧م.

٥- اغسطين ٣٤٥ - ٤٣٠م.

أولاً: كليمنت السكندري ١٥٠ - ٢١٧م Clement of Alexandria:

ولد وثنياً بالإسكندرية وعرف الاسرار الوثنيه والمذاهب الفلسفية وكان يفضل ا لإفلاطونيه التى لم تشبع حياته الروحيه فاعتنق المسيحيه،.وكان يرى أن الفلسفه مفيدة للإيمان وليست ضرورية له وأنها تمهيد ضرورى للوصول للإيمان عن طريق الاستدلال، ورأى أن المثقف المسيحى عليه أن يتفقه فى الدين وان الفلسفه خير أداة لتحقيق تلك الغاية.

ثانياً: اوريجينيس ١٨٥ - ٢٥٤م:

هو تلميذ كليمنت السكندرى وفاق استاذه وولد أيضاً بالاسكندرية من عائله وثنية تنصرت، وكانت إضطهادات سيڤيروس سبباً فى اعدام ابيه ليونيداس ومصادرة أملاكه.

تولى منصب رئيس المدرسة المسيحيه بالإسكندرية محل كليمنت وحقق نجاحاً باهراً، وقام بعد رحلات كان آخرها إلى فلسطين عام ٢٥٠م حيث شب اضطهاد هائل وهو هناك لم يتحمله جسده الضعيف فتوفى هناك بمدينة صور بعد أن أعلن عن رجوعه عن ارائه التى اثارت السلطة الرومانية ضده وقد ألف العديد من الكتب منها «عن المبادئ Peri Archon»، والذى اشتمل على أول عرض فلسفى منظم للعقيده المسيحية[٢٦].

ثالثاً: القديس جيروم Jerome:

ولد سنه ٣٤٠م من أبوين على المذهب الكاثوليكى وتعلم فى روما، ودرس الآداب اللاتينيه واليونانية، واعتنق المسيحية عندما بلغ العشرين من

(26) Katz Solomon, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, N.Y., 1955, p. 56.

وراجع أيضاً مؤلف: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ص ٢٧٤ – ٢٨٤.

عمره وعاش حياة النساك فى الصحراء وتعلم اللغه العبرية، وفى عام ٣٨١م زار مدينة القسطنطينية وتعلم هناك على يد اللاهوتى الأشهر جريجورى النازيانزى ٣٢٩ – ٣٨٩م Gregory of Nazianzum.

وقد قام القديس جيروم بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وهى الترجمة التى اضحت النسخة المعتمدة فى الكنيسة فى العصور الوسطى والعصر الحديث(٢٧).

اتاحت له الظروف فرصة كافية لمواصلة دراساته باللغة العبريه والكلدانية فضلاً عن كتابة العديد من الرسائل التى تعطى لمحة حية عن حياة ذلك العصر.

رابعاً: القديس امبروز St. Ambrose:

ولد فى مدينة تريف فى بلاد الغال حوالى ٣٤٠م من أسرة رومانية عريقة ودرس القانون والآداب اللاتينية واليونانية فى روما، كرسى حياته لخدمة الكنيسة واحتقر الثروه فوزع ميراثه عن ابيه على الفقراء والمحتاجين.

وقد أعطى المثل على قوة نفوذ الكنيسة أمام الإمبراطور عندما أرادت جستينا Justina أرملة ڤالنثيان الأول فى عام ٣٨٥م – وكانت أريوسيه المذهب – الاستيلاء على أحد كنائس ميلانو لصالح الأريوسيين، هناك اتخذ امبروز موقفا حاسماً ضدها إذ أمر مجموعة من اتباعه بوضع أيديهم على الكنيسة كى يمنع جنود الإمبراطوره من الأستيلاء عليها وبالفعل فكت القوات الإمبراطورية حصارها عن الكنيسة.

(27) Lyon Bryce and Herbert H. Rowen and Hamerow Theodor S., A History of Western World, V&I, I, 2nd ed., U.S.A., 1974, pp: 206 - 210.

خامسا: القديس اغسطين St. Augustine:

ولد عام ٣٥٤م من أب وثنى وأم مسيحية، ودرس القانون فى قرطاجنة عزم العقد على تكريس حياته لخدمة الدين المسيحي ومن مؤلفاته كتابان يعدان أعظم ما كتب فى الأدب واللاهوت الأول هو «الإعترافات» Confessiones وقد وصف فيه ما اقترفه من ذنوب وآثام فى صباه، ثم قصة هدايته وتوبته إلى الله.

أما الثاني: فهو «مدينه الله» De Civitate Dei ويعتبر هذا الكتاب فلسفه للتاريخ وصورة للأفكار اللاهوتية والسياسيه التى سطرت على أوروبا العصور الوسطى حتى عصر توما الأكوينى فى القرن الثالث عشر الميلادى[٢٨].

وقد قرر اغسطين مبدأ ان تكون سلطة البابا فى منزلة أعلى من تلك التى يتمتع بها الامبراطور الأمر الذى يترتب عليه خضوع الدولة للكنيسة[٢٩].

الرهبانيه والديرية:

تعنى الرهبانية ان يحيى الفرد حياة العزلة التامة بعيداً عن العمران للإنقطاع للعبادة وممارسة حياة الزهد والتنسك مع اختيار التفرد تطوعاً، أما الديرية فيقصد بها التقاء جماعات من الرهبان فى مكان بعيد عن العمران ينقطعون فيه للعبادة وحياة الزهد، والدير هو المكان المخصص لسكنى الرهبان أو الرهبات وتعبدهم[٣٠]، والرهبنه بصورها الأولى من إنتاج مصر

---

(٢٨) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢٩) هارتمان ل.م وباركالاف ج، الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الأسكندرية، ١٩٦٦، ص ص ٤٥-٤٦.

(٣٠) محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٥.

(احدى الولايات الرومانيه) المسيحية فهو نظام مصرى أصيل ولم يتأثر بالحركات النسكيه السابقة[٣١]، وقد عرفت مصر الرهبانيه قبل ظهور المسيحية بقرون طويله وهذا ما تؤكده أوراق البردى التى تعود إلى العصر البطلمى، فقد وجدت الرهبنة فى معبد الاله سيرابيس حيث وهب هؤلاء الرهبان حياتهم لخدمة الإله Serapis سيرابيس فانقطعوا عن الدنيا ملبين نداء الإله لخدمته وتقديم الفروض الدينية[٣٢].

كانت الرهبنه وسيله من وسائل الاحتجاج أو الهرب أو النأى بالنفس عن مفاسد العالم وقد تلمس المسيحيون بذور الرهبنه وحياة الزهد والتقشف فى أصول المسيحية الأولى، وفى تعاليم السيد المسيح الذى أثر عنه قوله «إذا أردت أن تكون كاملاً فبع ما لديك واعط ثمنة للفقراء واتبعنى فسوف يكون لك كنز فى السماء»[٣٣].

وربما أدت إلى الرهبنة الظروف التى مرت بالمسيحيين وقت الاضطهاد الدينى أو الفرار من الضرائب التى كانت تثقل كاهلهم فيعجزون عن دفعها وقد اختلف المؤرخين حول نظام الرهبانية فقد رأى البعض أن هذا النظام لم يكن مقصوداً به الناحيه الدينيه فحسب من تعبد وتنسك، بقدر ما كان وسيله للتعبير عن القومية المصرية والعبادات الكهنوتية التى تعبر عن هذه القومية. ولذلك كانت الرهبانيه اختراع مصرى، ويرى البعض الأخر من المؤرخين إن حياة الرهبان تعد نوعاً من الجبن والهروب من مواجهة الحياة ومسئولياتها.

ومن العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الرهبنه، الحماس الدينى الذى صاحب إنتشار المسيحيه فى اخريات التاريخ القديم، كذلك الفوضى

---

(٣١) مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، مطبعه دار العالم العربى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٦.

(٣٢) سهير ابراهيم نعينع، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣٣) انجيل متى، ١٩ – ٢١.

والاضطرابات التى سادت العالم فى فترة الانتقال من التاريخ القديم إلى الوسيط إذ ساعدت على دفع الكثير من معتنقى الدين الجديد الى الهروب فى جوف الصحراء للتوحد والتعبد.

وترجع بدايات الرهبنه فى مصر إلى القرنين الثانى والثالث الميلاديين حيث عاش كل من الأنبا بولا (القديس بولس) والقديس انطونيوس فكل منهما اقدم من عرف من المتنسكين المسيحيين لا فى مصر وحدها بل فى الدنيا بأسرها(٣٤).

ونعرف من خلال المعلومات التى أوردها الرحالة بلاديوس Palladius الكثير عن الأنبا بولا وكهفه فى أواخر القرن الخامس الميلادى وعلى الرغم من أن تجربة الأنبا بولا كانت هى الأقدم إلا أنها لم تحظ بشهرة وذيوع تجربة الأنبا انطونيوس(٣٥).

ويعتبر القديس انطونيوس الذى عاش من ٢٥٠م إلى ٣٥٥م هو المؤسس الحقيقى للرهبنه وحياة العزلة فى مصر البيزنطية، إذ اتجه إلى سفوح الجبال الشرقية لحافة الوادى شمال البقعة التى تعبد فيها الأنبا بولا بحوالى ستين كم حيث عكف على الزهد وزاره هناك القديس اثناسيوس الرسولى - بطريق الاسكندرية - وكتب عنه(٣٦).

وسرعان ما ذاع صيته واقبل عليه المسيحيون من كل صوب ممن اخذوا أنفسهم بحياة التنسك، وهكذا نشأت حركة ربانية جماعية حول القديس

---

(٣٤) رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنه والديريه فى مصر وآثارها الانسانية على العالم، ص ٣٥.
(٣٥) كولتون ج.ح، الديرية أسبابها ونتائجها، ترجمة د. جمال الدين الشيال، ص ١٨٤.
(٣٦) كتب اثناسيوس عن أنطونيوس وحركة الرهبنه الجماعية فى سيرته الذاتيه التى عرفت بأسم Vita Antonii والتى اعاد صياغتها القديس جيروم راجع:
- Meinardus O.F.A., Monks and Monasteries of the Egyptian Desters, A.U.C. Egypt, 1961 - 1989, p. 11 ff.

انطونيوس فى مصر الوسطى ولكنها لم تصل بعد إلى نظام الرهبنة الكامل، لأن النساك عاشوا متجاورين فقط، ولكن كل واحد منهم قام منفرداً فى كهف وكانت الرابطه الوحيده التى تجمعهم هى التفافهم حول زعيمهم انطونيوس.

ولم يكن القديس انطونيوس من النساك الذين انقطعوا عن الدنيا بل كان على علم تام بحقيقه القضية المسيحية، وقد ترك القديس انطونيوس عزلته مرتين وعاد إلى مصر فى موقفين عصيبين تعرضت فيهما المسيحيه لخطر شديد، المرة الأولى حينما سلط الإمبراطور ماكسيمنوس موجه اضطهاد قاسيه عام ٣١١ فنزل انطونيوس للوادى يزور المسيحيين داخل وخارج السجون يقوى من عزائمهم حتى وصل الإسكندرية.

والمرة الثانية كانت فى زمن الإمبراطور قنسطنطين سنه ٣٣٨م وذلك حين تعرضت الكنيسة المصرية للانقسام بسبب الخلاف العقائدى الذى نشأ بين آريوس واثناسيوس، وكان اثناسيوس بطريرك الكنيسة فى الاسكندرية، فذهب اليه انطونيوس لمساندته وتوحيد كلمة المسيحيين حوله ضد اريوس[٣٧].

ومن الأماكن التى نشأت فيها حركات رهبانية جماعية فى مصر كانت منطقة طيبه ومنطقة البهنسا (اوكسير نخوس) وإسنا والشيخ عبادة ووادى النطرون فى شرق الدلتا.

وقد وصف بلاديوس فى تاريخه ان الرهبان فى وادى النطرون كانوا طائفتين:

الأولي: تتكون من خمسة آلاف راهب يعيشون على جبل نستريا، كل له نظامه الخاص وكان يسمح لهم ان يقيموا فرادى أو مثنى أو أكثر، ويجتمعون جميعاً للصلاة يوم السبت والأحد، وبقيه أيام الأسبوع كان يصلى كل منهم فى صومعته.

---

(٣٧) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ص ٢٩١ – ٢٩٢ وما بعدها.

الثانية: هم النساك المعتزلون Anachoretae الذين يعيشون متوحدون كل في كهفه وبعيداً عن زملائه ويبلغ عددهم الستمائه فرد ولا يجتمعون أو يتصلون برهبان الأديره إلا يومى السبت والأحد فى الصلاة الجامعة.

وتقترن حركة الرهبنه فى منطقة وادى النطرون بأسم كل من أمون والقديس مكاريوس، والذى ينسب إليه الدير القابع للآن فى وادى النطرون والمعروف بدير أبو مقار ولا يزال الى جواره حتى اليوم ثلاث أديره أخرى هى:

- السريان. - البرموس. - بشوى.

ولازالت حياة الرهبان فيها تحتفظ بكثير من طابعها الفردى.

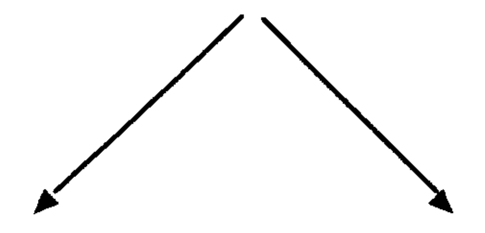
- هذا ولم تقتصر الرهبنه الإنطونيه على الرجال فحسب بل شملت النساء أيضاً اللائى لم تكن حياة الاعتزال لزاماً عليهن، بل كان فى استطاعتهم التنسك فى بيوتهن أو فى جماعات صغيرة من المسيحيات العذارى، وقد أدى إقبال الرجال على الرهبنة إلى ترك كثير من النساء بغير ازواج وهو الوضع الذى أدى إلى حالة اخلاقية خطيرة، ولذلك لجأ المسئولون عن الكنيسة إلى تشجيع النساء على حياة التبتل العذرى حتى داخل بيوتهن وألفت الكثير من الكتب التى ترشد العذارى إلى كيفيه ممارسة هذه الحياة ومن أهمها «رسالة التبتل العذرى» التى كتبت فى القرن الرابع والمنسوبه إلى القديس اثناسيوس(٣٨).

- فى نفس الوقت ظهر بجانب القديس انطونيوس المعروف بأسم ابو الرهبان مذهب رهبانى آخر فى صعيد مصر الأعلى وهو المذهب الذى اسسه القديس باخوميوس(٣٩).

---

(38) Hardy E.R., Christian Egypt, N.Y., 1952, pp. 69 - 70.

(٣٩) عزيز سوريال عطيه ومنير شكرى، عبقرية الأنبا باخوم على الرهبنه والحضارة الغربية، مجموعة الرهبنه القبطية، ص ص ١٦١ - ١٧٧.



مصر الوسطي والسفلي	مصر العليا
الديرية الأنطونيــة التى شــهــدت نظام الرهبنة الاجتماعية Collective Ere-miticism ومثلت الدور الثانى فى تطور الأنظمة الرهبانية فى المسيحية المصرية، أى المرحلة المتــــوسطة بين الرهبنة الإنعزالية التى مارسـها بولا وأنطونيـوس وبين الديرية الباخومية.	الديرية الباخومية التى شهدت نظام الرهبنة الجماعية الكاملة.

القديس باخوميوس مؤسس الديرية الباخوميه:

لا نعرف الكثير عن صباه ولكن نعرف أنه انخرط فى سلك الجنديه منذ أن كان فى العشرين من عمره، وقد اتاحت له حياته الحربية التعرف بالمسيحيين وعاداتهم ودينهم فى مناطق مختلفه، واعتنق هذا الدين بعد دراسة قواعده فى ٣١٤م واتخذ لنفسه حياة الزهد تحت اشراف ناسك يدعى بالامون Palaemon.

جمع حوله النساك واقنعهم بضرورة تأسيس نظام جديد للرهبنه الجماعية بصورة أقوى مما هو حادث فى الرهبنه الانطونيه وبذلك انشأ ديره الأول فى سنة ٣٢٣ عند تيبسنيس Tabennisi بالقرب من دندره حالياً. ليبدأ بذلك نظام جديد هو الرهبنه الجماعية الكاملة.

- كان الطابع المميز لهذه الحركة الديريه هو خضوعها لنظام عام موحد يعكس النظم الإدارية والعسكرية إلى حد بعيد، فهناك قانون عام يخضع له الجميع، وكان الرهبان فى كل دير ينقسمون الى بيوت مستقله كل بيت يضم بين ثلاثين واربعين راهب.

- كانت حياة الدير الباخومي اشبه بمستعمره اقتصادية يكاد يكتفى أهلها اكتفاءاً ذاتياً بل ويسد حاجات الجهات المحاورة، فكانت البيوت منظمه على اساس الصناعات والحرف، وكانت ادارة الدير من إختصاص رئيس الدير ولكل رئيس دير مساعد له، وأمين أيضاً وشخص يتولى المكتبة يعرف بـ خازن ومعلمون وخبازون ونجارون وحدادون وبناؤون وزراع ونساجون وحمالون(٤٠).

- سمح للأجناس الأخرى ان تنضم إلى الأديره الباخومية بعد أن كانت أكثريه الرهبان الباخومين من الأقباط المصريين، وافرد لكل عنصر (جنس) بيت خاص فوجد

١- بيت الاغريق.   ٢- بيت السريان.   ٣- بيت اللاتين.

وربما كان هذا هو الأصل فى منشأ نظام جامعات العصور الوسطى التى انتشر فيها نظام البيوت والأروقه الذى ساد أيضاً فى الجامعة الأزهرية الى عهد قريب.

- كان النظام الباخومى أقل صرامة فى جانب التنسك والتعبد إذ ترك للأفراد حرية الأكل والصيام، ورغم أنه كانت هناك صلاة عامة فكانت

---

(٤٠) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٢٩٦-٢٩٧، وأيضا سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ص ٥٩-٦٠، وأيضاً، مراد كامل، مرجع سابق، ص ٢١١، ومحمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٢.

معظم الواجبات الدينية تتم عن طريق البيوت وللأفراد أن يصلوا فى قلوبهم كيفما شاءوا[٤١].

ويؤكد هاردى فى مؤلفه «مصر القبطية» على ان الديرية الباخوميه شملت أيضاً الراهبات فى اديره خاصة بهن وأنه قد تم انشاء ديرين للراهبات الى جانب تسعة أديرة للرهبان فى أعالى الصعيد وكلها كانت تابعه لرئاسة باخوميوس رأسا بل وكان يقوم بالتفتيش عليها فى جولات منظمه[٤٢].

ومن الحركات الديرية التى ظهرت بعد ذلك والتى عملت على الربط بين النظامين الانطوى والباخومى[٤٣].

حركة الأنبا شنودة:

الأنبا شنودة تعلم فى أحد الأديرة الباخومية، ولكنه لم يرضى بهذا النظام فأتخذ لنفسه نظاماً جديداً طبقه فى ديرين هما :

١- «الدير الأبيض». ٢- «الدير الأحمر» فى منطقة سوهاج.

- وقد حاول ان يجعل حياة الديرية أكثر صرامة ودقه من نظام باخوميوس ولذا جعل دخول اديرته حق قاصر فقط على الأقباط المصريين فحسب، ورفض جميع العناصر الأخرى التى كان يسمح لها بالانضمام إلى أديرة باخوميوس، وثم وضع بعد ذلك نظام دقيق للحياة فى الدير ولا يتردد فى تطبيق العقاب على من يتهاون فى القيام بواجباته أو يسيئ السلوك.

---

(41) Butler A., The Historia Lausiaca of Palladius, Texts and Studies, London 1898, 1904, p. 237.
حيث ناقش فكرة الأختيار والبعد عن الجبر فى ممارسة الشعائر الدينية.

(42) Hardy E.R., op. cit., p. 71.

(43) Bell H.I., Jews and Christians in Egypt, London, 1919, pp. 38 ff.

ويعد شنودة الاتريبى أهم شخصيات الرهبنه المصرية فهو من أصل مصرى وكتب مواعظه باللغة القبطية وعاش فى الفترة من النصف الثانى للقرن الرابع إلى النصف الأول للقرن الخامس الميلادى وذاعت شهرته وصار من أكثر أعوان بطارقه الإسكندرية ومن أخلصهم جنوداً فإذا كان البطريرق كيرليس الرأس المفكر فى كنيسة الاسكندرية[٤٤]، فقد كان شنودة الأتريبى الذراع الطيعة له ولكنيسة الإسكندرية.

- والجدير بالذكر ان شنودة كان يعادى كل ما هو بيزنطى وبفضل جهوده والرهبان رفقته ذخرت مصر فى القرن الرابع الميلادى بالرهبان وحاز هؤلاء الرهبان مدنا بأكملها مثل اهناسيا وانتشرت الأديره والمناسك على امتداد نهر النيل والصحراء من اسوان إلى الدلتا.

- لقد ذاعت شهرة الرهبانية المصرية فى جميع انحاء العالم المسيحى وأصبحت مصر قبلة الزوار الذين كانوا يحرصون على رؤية القديسين وسماع تعاليمهم ومواعظهم.

- وقد ازداد نفوذ الرهبان فى مصر واعتبروا أنفسهم حماة الأرثوذكسية والمجاهدين فى سبيلها ووقفوا إلى جانب اثناسيوس ضد اريوس وقد ضاق بهم الأباطرة لتدخلهم فى الحياة الدينيــة والسياسية وفى تنفيذ أحكام القانون وقد أستعمل الامبراطور ڤالنز Valens مع الرهبان فى مصر الشدة وأمر جنوده باقتحام أديرة وادى النطرون وادخل رهبانها فى الجيش بالقوة عام ٣٧٥م.

---

(٤٤) السيد الباز العرينى، مصر البيزنطيه، مرجع سابق، ص ٣٨.

كما حرم الامبراطور ثيودوسيوس على الرهبان الاقامة بالمدن حرصاً على هدوءها فقد اعتبرهم شديدوا الخطوره ولذلك فقد بدأت الرهبانيه فى التدهور بعد مجمع خلقدونية سنه ٤٥١م وانهارت فى القرن السادس م. حتى جاء الفتح الإسلامى لمصر فأنهارت تماماً[٤٥].

(٤٥) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ص ٦٢ – ٦٣، السيد الباز العرينى، مرجع سابق، ص ٤٠، محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ص ٦٤ – ٦٥.

الفصل الرابع

الإمبراطورية الرومانية بين المسيحية وغزوات البرابرة



الفصل الرابع

الإمبراطورية الرومانية بين المسيحية وغزوات البرابرة

صحوة الوثنية:

بعد وفاة قسطنطين الذى كان يتخذ موقفاً معتدلاً بين المسيحية بمذهبيها والوثنية كما رأينا فى الفصلين الثانى والثالث، قرر ابناءه مخالفه أباهم فى ذلك الموقف وأعلنوا الاضطهاد على الوثنية فصادروا ما لمعابدها من أراضى وممتلكات حتى أغلقوا معابدها، وبعد عام ٣٤٠م منعوا تقديم القرابين لآلهة الوثنية.

لكن الوثنية لم تستسلم فى سهولة مطلقه، وانتهزت فرصة تولى الإمبراطور جوليان المرتد ٣٦١-٣٦٣ والذى كان متمسكاً بالحضارة اليونانية الوثنية وتخلىّ عن المسيحية سراً قبل توليه منصب الإمبراطورية وعندما تولى منصب الإمبراطورية بعد وفاة قنسطنطيوس الثانى فى ٣٦١م أعلن ارتداده عن المسيحيه ثم اتبع ذلك بقرار قصد بها تضيق الخناق على المسيحية، مثل القرار االخاص باعادة خزائن المعابد الوثنية التى كانت الكنيسة قد استولت عليها وسخرتها لخدمتها، ومثل القرار الخاص بوقف دعم الدولة للمسيحية، كما حرم على المسيحين التعرض للآداب والفلسفات الوثنية فى مدارسهم.

لقد حاول جوليان المرتد أن يغرس الصراع بين الطوائف المسيحية بدعوة الآباء والاساقفه الطرودين من الكنيسة إلى العودة لممارسة دورهم الدينى، ثم قاد حملة أدبية ضد الكنيسة وضد المسيحية، وفى نفس الوقت حاول اعادة الهيبة والوقار إلى الديانه الوثنية واعتبرها ديانة وحدانية لكافة العقائد الدينية وكافة المثل الأخلاقية، كما حاول انشاء كنيسة وثنية مناهضة للكنيسة المسيحية مثلما فعل ماكسيمينوس من قبل.

وبالرغم من التـايـيـد العـاطفى الشـديد للوثنيـة إلا أن مـجـهـودات الإمبـراطورية باءت بالفشل بعد وفـاته لأن المسيـحية كـانت قد تغلغلت فى نفوس الناس.

لقد أولى چوليان اهتماماً كبيراً لتطبيق العدالة بين الرعيـة واحيا بعض القوانين القضـائيـة الوثنيـة التى كـان اسلافه المسيـحيون قد الغوها، والجدير بالذكـر هنا ان الأفكار الوثنيه اثرت فى شخصيه چوليان لدرجة أنه حـاول تقليد الاسكندر الأكبر بمحـاولة غزوه بلاد الفرس وتعيين ملك موال للرومـان عليها واثناء تنفيذه هذه المحاولة قتل چوليان فى ٣٦٣م وبموته تنتهى اسرة قنسطنطينوس الأكبر(٤٦).

ويبدو أن صحوة الوثنية تلك لم تكن الإ صحوة الموت حيث ما لبث أن أسترد المسيحيون مكانتهم فى عهد الامبراطور چوڤيان.

چوفيان ٣٦٣ - ٣٦٤:

كـان قـائد الحـرس الخـاص للامـبـراطور چوليـان وقـد اخـتـارتـه القـوات الرومانيـة ليكون زعيماً لها، وقد تسرع چوڤيان وعقد صلحاً مهيناً للكرامـة الرومانيـة مع الفرس من أجل ان يسرع إلى الأراضى الرومانية لدعم مركزه الجديد، فتنازل للملك سابور عن كافه الأراضى الرومانية الواقعه شرق دجلة، كما تنازل عن أرمينيا الشرقية، كما تعهدت روما بدفع اعانه سنويه لمساعدة الفرس فى حماية القوقاز من خطر هجوم القبائل البربرية.

وعلى النقيض من چوليان كـان چوفيـان مسيـحيـاً والغى كل القـوانين المضادة للمسيـحيـة ولكنه أيضاً أكد على حرية العبادة للجميع وبموته تبدأ صفحة جديدة لحكم اسرة جديدة.

---

(٤٦) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٥٨.

بعد وفاة چوڤيان هتف الجيش بقائده ڤالنز ٣٦٤-٣٧٨م امبراطوراً وكان محارباً قديماً من اقليم بانونيا فى شمال غرب البلقان، ويرى البعض ان تولي ڤالنز حكم الشرق يعد نقطه تحول فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية خاصة وفى تاريخ أوروبا عامة، فقد كان رجلاً معتدلاً وقادراً، لكنه لم يكن مجبوباً لأنه كان يعتنق المسيحية على المذهب الآريوسى وكان هذا سبباً فى أن واجهته كثير من التحديات والثورات ومنها ثورة بريكوبيوس Precopius – الذى أعلن نفسه امبراطوراً – والتى قضى ڤالنز عليها.

ولما وقع ڤالنز فريسه للمرض اضطر إلى تعين ابنه الصبى ويدعى جراتيانوس (جراشيان) امبراطوراً مناوباً له بدرجة اغسطس حتى يقطع خط الرجعه على الطامعين فى عرشه بعد وفاته ويقال أنه (جراشيان) تخلى عن لقب الكاهن الأعظم Pontifex Maximus الذى تمسك به كل الأباطرة السابقين، وفى عام ٣٨٢م بدأ سياسة مصادرة ممتلكات المعابد الوثنية مرة أخرى.

– على أن أهم التحديات التى واجهت الامبراطور ڤالنز قبل وفاته كان فى عام ٣٧٦م وذلك عندما دفعت قبائل الهون الآسيويين أمامها قبائل القوط الغربيين Visigoth وكان ذلك بداية عصر غزوات البرابرة غير أنه قد تمكن ڤالنز فى ٣٦٩م من مواجهتم وأملى عليهم شروطه ولكنه سمح لهم بالاستقرار داخل حدود الإمبراطورية[٤٧].

ثيودوسيوس الأول:

جعل مقر حكمه فى ميلانو ونجح فى توحيد العالم الرومانى تحت حكمه عام ٣٩٤م واستمرت الحرب التى بدأها ضد الوثنيه مدة ٣٠ عام بعد وفاته اغلقت فيها معابد الوثنيه واعدمت الكتب ومنعوا من مباشرة طقوسهم حتى داخل منازلهم.

---

(٤٧) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٥٧ – ٦١.

اركاديوس ٣٩٥ - ٤٠٨:

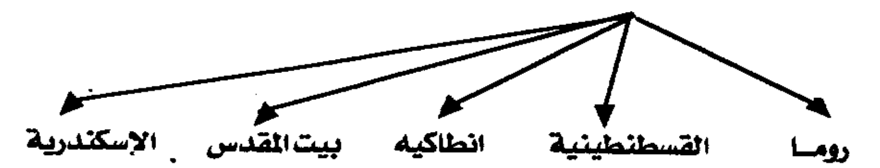
أصدر مرسوماً بتحطيم كل معابد الوثنية لا أغلاقها فحسب واستغل أحجارها فى اقامة منشآت عامة، بعدها أدركت الوثنية قرب مصيرها ففرت إلى مناطق العزلة النائية فى ايطاليا وغاليا، وظل الحال هكذا حتى القرن السادس عندما أقام القديس بندكت ديره الشهير عام ٥٢٩م على انقاض أخر ما تبقى من معابد ابوللو فى مونت كاسينو، وفى نفس العام أغلق الإمبراطور جيستنيان مدارس الفلسفة فى اثينا بوصفها ركناً من أركان الوثنية.

الموقف في الإمبراطورية الرومانية بعد إنتصار المسيحية:

– استلزم إنتصار المسيحيه قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى فالإمبراطورية كان لها فى الواقع دين رسمى وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأييدها، وبدأت الكنيسة تكتسب صفه سلطة جديدة منافسة للسلطة العلمانية مما أوجد نفورا بين السلطة الدنيوية والروحية، وهنا نلاحظ أن تدخل الكنيسة فى شئون السلطة الدنيوية بدأ يستفحل كلما إزدات الإمبراطورية فى الضعف، حتى انتهى الأمر بأن حلت الكنيسة محل الإمبراطورية عندما غربت شمس الامبراطورية فى الغرب الأوروبى.

– وقد ساعد الكنيسة على أن تحل محل الامبراطورية أنها حذت حذو الامبراطورية فى تنظيماتها حتى أصبح الاساقفه يقومون بعبئ التنظيم الإدارى فى اقاليم الامبراطورية بالاضافه إلى دورهم الرئيسى فى القيام بمهام التنظيم الكنسى الذى امتاز فى العصر المسيحى الأول بالبساطه المطلقه فلم يتعد الرابطه الدينيه بين مجتمعات مسيحيه مستقله عن بعضها ولكل مجتمع اسقف يساعدة فريق من القساوسه والشماسه، ورغم أن بعض هؤلاء الاساقفه كانت لهم أهميه أكثر من زملائهم بسبب ثرواتهم لكن لم توجد هيئة كنسية تمثل سلطة دينية ذات نفوذ فى الحياة العامة.

ظهر علي رأس الكنيسة عندئذ خمس بطارقه في



يتبع كل بطريرك مجموعة من الأساقفه ويشمل نفوذ كل أسقف عده اسقفيات، ثم اساقفه يشرف كل منهم على كرسيه الاسقفى وبعدهم قس الابرشيه فى القرية.

هذا وقد حصلت الكنيسة على عدة إمتيازات من الحكومة الرومانية بوصفها راعية الديانة الرسمية للدولة فى القرن الرابع الميلادى وهى كالتالى:

١- حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب.

٢- إزداد نفوذ الاساقفه بالفصل فى المنازعات التى تنشأ بين المسيحين بفضل مكانتهم الدينية وما جمعوه من صدقات وهبات لاسيما ان الصدقات كان يتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين عن طريق الاسقف نفسه.

٣- ازدياد ثروة الكنيسة وامتلاكها الأراضى والضياع الواسعة التى قام العبيد بفلاحتها، فضلاً عن الهبات التى اغدقها الأباطرة والتبرعات التى قدمها الأهالى:

وقد كان لهذه الامتيازات اثراً على الكنيسة يمكن تفصيله فى ا لنقاط التالية:

١- تحولت الكنيسة من منظمه بسيطه ديمقراطيه إلى هيئه وراثيه بيروقراطيه.

٢- تخلت الكنيسة عن سياسة التسامح.

٣- إنتشار الفساد فى جهاز الكنيسة من ظهور للرشوة والسرقه والمحاباه.

٤- اتسعت الفجوة بين رجال الكنيسة وجمهور المسيحين بسبب إزدياد الثروة مما أدى لأختفاء روح الأخوة والبساطه والمساواة وهى الروح التى ميزت الكنيسة فى عصرها الأول وحلت محلها القسوة والتعالى والتباعد.

٥- تحول الاساقفه عن رعاياهم وأصبح كل منهم يجلس على عرشه الاسقفى كما كان يفعل الحاكم الرومانى، بعد ان تشبه الاساقفه بالأمراء واحاطوا أنفسهم بالحشم والاتباع والموظفين.

هكذا وكما شهد القرن الرابع قيام التنظيم الكهنوتى للكنيسة وازدياد نفوذها السياسى شهد كذلك تطور اللاهوت المسيحى والذى سبق وأن اشرنا إليه فى الفصل السابق مباشرة..

البرابرة وسقوط الإمبراطورية في الغرب:

أخذت الظواهر منذ أواخر القرن الثالث الميلادى وأوائل الرابع الميلادى تدل على ان التاريخ القديم بدأ يتعرض للتغيير، وذلك لأسباب أربعة هم كالتالى:

أولاً: السبب الأول:

اعتراف قنسطنطين بالمسيحية وقد أُعتبر هذا الاعترافّ وما تبعه من إنتشار آمن سريع للمسيحية دلاله على انهيار دعامة كبرى من الدعائم التى قامت عليها الإمبراطورية الرومانية أمام عقيدة جديده ومبادئ وآراء جديدة تهدف جميعها إلى تنظيم العلاقات بين الله والبشر من جهه، وبين الحكام ورعاياهم من جهه أخرى، وبين الناس وبعضهم من جهة ثالثه، على أسس تختلف تماماً عما عرفه العالم القديم.

ثانياً: السبب الثاني:

نقل العاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطنية إذ وجد الناس روما مهد الأباطره العظام مهددة بالذبول بعد أن هجرها الأباطرة.

ثالثاً: السبب الثالث:

ما اتصفت به حكومة الإمبراطور قنسطنطين من طابع وراثى بحيث أصبحت الإمبراطورية فى هذا العهد الجديد تعتمد على خق الوراثة فضلاً عن تأييد الله ورجال الكنيسة.

رابعاً: السبب الرابع:

إندثار فكرة «المواطنة» وهى الفكرة الأساسية التى طالما ميزت الحضارة اليونانية، فلم يعد هناك مجالاً فى هذا العصر الذى اعقب قنسطنطين للمواطنين الذين اكتظت بهم المدن الحرة فى العالمين اليونانى والرومانى، وحلت محل ذلك فكرة الرعوية بمعنى ان جميع رعايا الإمبراطور أصبحوا متساوين فى تبعيتهم له.

ولهذه الأسباب بدأت اوروبا فى الواقع تنتقل من العصور القديمة إلى العصور الوسطى ونجد ان بعض المؤرخين من أمثال بيورى يعتقد أن عصر حكم قنسطنطين بالذات يمثل بداية عهد جديد كما هو الحال بالنسبة لحكم أوغسطس مؤسس الإمبراطورية، وقد رأى إن العصور الوسطى قد استمدت مجمل حضارتها وكيانها من أصول ثلاثة ضخمه هى:

١- التراث الكلاسيكى بوجه عام والرومانى بوجه خاص.

٢- المسيحيه وكنيستها.

٣- الچرمان[٤٨].

الچرمان:

- هم جزء من العالم الواسع الذى احاط بالإمبراطورية الرومانية فى معظم نواحيها واثروا فى تغيير مصائر هذه الإمبراطورية عندما أخذوا

(48) Bury J.B., History of the Later Roman Empire, 2vols, London, 1923.

يهاجمونها منذ منتصف القرن الثانى، والحقيقه أنه كان من الممكن ان تعيش الإمبراطورية الرومانية فى الغرب عمراً أطول رغم الانحلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى تعرضت له لولا هجمات البرابره التى اسرعت بالإمبراطورية إلى مصيرها المحتوم.

- وليس من الضرورى ان يكون البربرى شخصاً متخلفاً أو همجياً، فيمكن أن يكون لديه قدر من الثقافه يتفهمها ويمكن أن يكون لديه ثقافته الخاصة به ولكنه يعرف القليل عن حياة المدينة ونظمها الاقتصادية، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون من البدو الفقراء ومن الممكن ان يسيطر على الحكومة ملوك أو امرأء مختلفون فى المولد والقدرة والغنى[٤٩].

- ومن الممكن ان نطلق على القبائل البربريه القريبة من الحدود المدنية اسم البربر المتحضرون أما خلفهم فقد كان يعيش البرابره المتخلفون البعيدون عن الحضارة كما ان العلاقات مع البربر لم تكن كلها عدائية، فقد كانت هناك علاقات تجارية منظمة فى كثير من الأوقات بين الإمبراطورية والبرابره وقد نال البرابره أحياناً امتيازات تجارية خاصة ويذكر تاكيتوس ان قبائل الهيرميندورى Hermunduri نالت امتيازات خاصة فقد كانت لهم حرية الدخول والخروج فى اجزاء الإمبراطورية، كما ان روما لم تقيم لها حامية عسكرية بين الطرفين على الحدود، كما كانت روما تعقد اتفاقيات بينها وبين البرابره مثلما كان الحال مع قبائل الماكرومانى وغيرهم، وكانت مثل هذه الأتفاقيات تنص على أن يتوقف البربر عن القيام ببعض الممارسات العسكرية على الحدود من أجل السلام.

- والمقصود عموماً بلفظ «بربرى» «بربرية» هى مرحلة من التنظيم الاجتماعى القبلى الذى لم يرق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدنى واقامة دول

---

(٤٩) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ص ٩٧ - ٩٨.

ذات حدود ثابته فالمجتمع البربرى يعتمد اساساً على رابطة الدم اكثر من اعتماده على رابطة المواطنه بين افراده[٥٠].

ولا يمكن اتهام الشعوب البربرية التى احاطت بالدولة الرومانية بأنها عاشت دون اسس ودعائم حضارية فهذه العناصر تمتعت بتقاليد حضارية خاصة، وقد كانت الشعوب البربرية كثيره ومتباينه.

ففى الجنوب: كان البربر فى غرب افريقية.

وفى الجنوب الشرقى: كان العرب

وفى الشرق: كان الفرس.

وفى الشمال الشرقى: السكيثيين Scythians، والهون Huns والبلغار والأفار، والمجريين، والمغول والأتراك وإلى الغرب داخل حدود أوروبا: وجد السلاف والجرمان والكلت.

– وتنقسم الشعوب الجرمانية إلى مجموعتين عظيمتين:

أولاً: مجموعة الشعوب الشماليه والشرقية:

فالشماليون: وهم الذين فضلوا البقاء فى شبه ج. اسكندناوه وتفرعت عنهم الأمم السويديه والنرويجية والدانية.

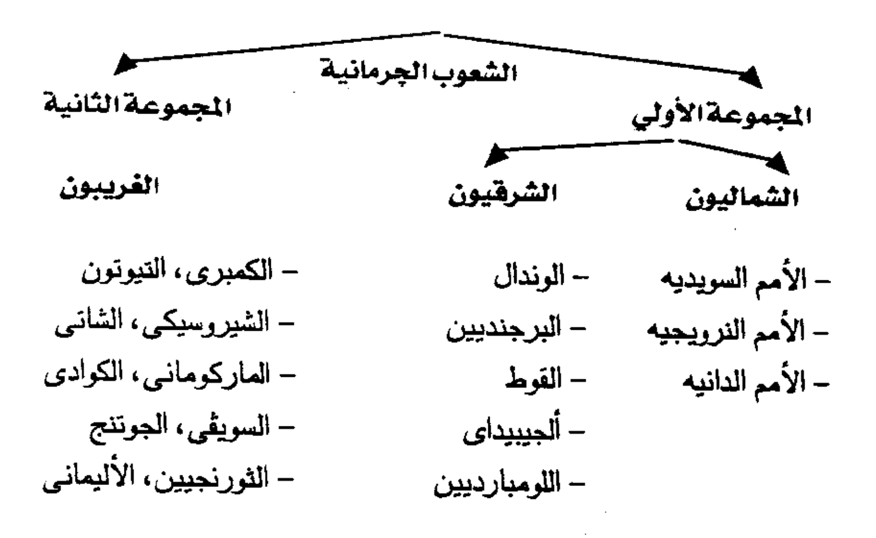
والشرقيون: هم الذين امتدت مساكنهم بين الألب وسواحل البحر الأسود. وشملت الوندال، البرجندين، القوط، الجيبيداى، اللومبارديين.

ثانياً: مجموعة الشعوب الجرمانية الغربية:

وقد أمتدت مساكنهم بين الألب والراين، وتألفت من جماعات عديدة منها الكمبرى، الشيروسكى، الشاتى، الماركومانى، الكوادى، السويفى، الثورنجيين، الأليمانى[٥١].

(٥٠) كريستوفر دوسن، تكوين أوروبا، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٨٣.

(51) Lot f., Les Invasions germaniques, Paris, 1935, pp. 30-32 also.
- Piganiol A., L' Empire Chrétien - 325-395 A.D., Paris, 1947, p. 13.



ويرجع الفضل فيما وصل إلينا من معلومات عن الجرمان إلى علم الآثار وكتابات المعاصرين، فالأدوات التى استخدموها والكنوز التى دفنت معهم كشفت عنها حفريات العصور الحديثة.

وعن كتابات المعاصرين فقد سجل لنا يوليوس قيصر ١٠١-٤٤ ق.م فى كتابه عن الحرب الغالية De Bello Gallico وصفاً موجزاً عن أصل سلالات الجرمان وثقافتهم.

وكذلك رسم لنا تاكيتوس C. Tacitus فى كتابه «چرمانيا» Germania صورة رائعه عن حياة الشعوب الجرمانية وعاداتها وتقاليدها وكان تاكيتوس مؤرخاً وصديقاً لبلينى الصغير(٥٢).

---

(52) Church A.J. and Brodribbe J., The Complete Works of Tacitus, N.Y., 1942, pp. IX-X.

واسم الكتاب بالكامل هو:

De Orgine, Mòribus et populis Germaniae.

ويذكر لنا ان موطن الچرمان يحيط به من الشمال ويفصله عن بلاد الغال نهر الراين والدانوب وقد وصف لنا موطنهم بأنه بلاد كئيبه ذات مسالك ومناخ بالغ القسوة، ويتصف أفرادها بصفات جثمانية معينه منها العيون الزرقاء الحادة والشعر الأصهب والقامة الطويلة الضخمة، وقد تمرسوا على البرد والجوع نتيجة مناخ وتربه بلادهم(٥٣).

– وكانت ديانة الچرمان خليط من الأساطير وعبادة قوى الطبيعة مثل الكواكب والنجوم وكان الآله الرئيسى الذى عبدوه هو الاله عطارد Mercurus وفى أيام معينه من السنة كانت تقدم القرابين إليه.

– ومن المعروف ان الچرمان لم يقطنوا المدن فى ايامهم الأولى، ولم يشيدوا بيوتهم مجاورة لبعضها البعض وعاشوا فى أكواخ مشيدة من الكتل الخشبية وعنوا أيضاً بحفر الكهوف فى باطن الأرض، وقد اعتادوا على ارتداء ملابس بسيطه من جلود الحيوانات المفترسة.

– عرف عنهم الميل إلى الشراب حتى الثمالة حتى أنه صار من السهل هزيمتهم إذا ما اسرفوا فى الشراب وكان طعامهم بسيط يتكون من الفاكهه الطبيعية واللبن ولحوم الصيد(٥٤).

البناء الاجتماعي للچرمان:

– جمع الچرمان بين الشجاعة والقسوة والكرم، وعدم مراعاة أصول الجوار وكان لديهم إحترام للعهد وترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ورعاية للمرأة ولم يفسد هذه الصفات سوى إختلاطهم بالرومان، لعل أهم ما امتدحه تاكيتوس فيهم هو كرمهم المطلق ومراعاتهم الشديدة لرباط الزوجية المقدس،

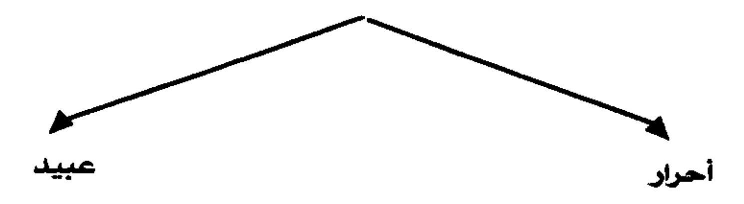
---

(53) Tacitus, A Treatise on the Situation, Manners and Inhabitants of Germany, U.S.A., 1977, pp. 247-248.

(54) Tacitus, ibid, p. 257.

والمرجح ان القاعدة بينهم هو الاكتفاء بزوجه واحدة وان كان بعض النبلاء قد خرجوا عن هذه القاعدة بعد ازدياد ثرواتهم.

- كانت الاسرة هى وحدة النظام الچرمانى حيث تمتع الأب بسلطه مطلقه على زوجته وأولاده بلغت حقه فى سلبهم الحياة، ومن مجموعة الأسر التى تربطها قرابة الدم تألفت العشيرة ثم تكونت مجموعة من العشائر ومن حيث البناء الاجتماعى انقسم المجتمع الچرمانى إلى:



- يكونون الطبقة المحارية التى تمتعت بنوع خاص من التشريف ولا يعمل أفرادها بالفلاحة، ويقضون وقت السلم فى الأكل والنوم والصيد فى حين تقع بقية أعباء المجتمع على غير المحاربين من النساء والأولاد والعبيد.

- وقد ارتبطت الحرية بملكيه الأرض كما ارتبطت النباله بشرف المولد والوراثه وليس بملكية الأرض.

- اقتصر عملهم على الاشتغال بالزراعة ويسود بعض الاعتقاد بوجود شكلين من أشكال الزراعة القروية.

الأول: يعتمد على العبيد.

الثاني: يعتمدّ على احرار لا يخضعون لزعامة حربية.

- وفى مجتمع القرية قسمت الأرض الصالحة للزراعة بين الأسر وتركت أراضى المراعى والغابات مشاعاً(٥٥).

- كان لكل قرية جمعية أو مجلس Moot يتكون من رجالها الأحرار

(55) Painter, A History of the Middle Ages, op. cit., pp. 23 - 24.

وكان هناك اتصالاً دائماً بين القرى عن طريق الانهار أو الممرات التى تتخل الغابات وعموماً فقد كانت الحياة القبليه من الخصائص الرئيسية فى المجتمع الجرمانى، وهنا نلاحظ ان أسماء مثل «الفرنجه» و «السكسون» وغيرها لا تعنى قبائل معينه بقدر ما تعنى مجموعة قبائل متشابهه فى لغتها وتقاليدها وعاداتها.

عرف الجرمان النقود الرومانية وعرفوا الأوانى الذهبية والفضية، وكان التنظيم السياسى لديهم بسيطاً وكانت وحدته القرية أو المارك Mark ومن بعدها تأتى المائه Hundered وهى وحدة عسكرية تكبر القرية ثم تأتى المقاطعة أو الديرية Gau وتتألف من عدة مئات، ومن مجموع المقاطعات تتألف الدولة القبليه التى أطلق عليها فيما بعد مملكه أو اسم رايخ Reich.

وعندما تقدم النظام الملكى بين الجرمان كانت للدولة الجرمانية

١- جمعية عمومية: تضم جميع أفرادها المحاربين ولا تنعقد إلا فى حالة الحرب أو الهجرة.

٢- مجالس للمقاطعة أو للمائه: تتألف من النبلاء والاحرار وتجتمع فى وقت السلم لبحث المسائل المدنية.

وقد وجد على رأس كل أمه من الأمم الجرمانية بعض الرؤساء أو القادة Principes الذين كانوا زعماء منتخبين اختارهم الشعب لما تحلوا به من صفات تؤهلهم للزعامة وأهمها الشجاعة، وتطور الأمر فصار يختار ابناء هؤلاء الزعماء بعد وفاتهم مما أدى تدريجياً إلى قيام نظام ملكى وراثى فى الدول الجرمانيه والجماعات الجرمانيه.

ولم يكن ملوك الجرمان فى هذه المرحلة المبكرة أكثر من قادة حربيين دون التمتع بسلطه مطلقه فى التشريع، وهناك من المؤرخين من يصف المجتمعات الجرمانية بأنها ديمقراطية، ولكن هذا لا يعنى أنها اتبعت نظماً

ديمقراطياً فى الحكم، لأننا سبق وأن رأينا إن المجتمع الجرمانى قام على اساس التفرقه الاجتماعية بين مختلف طبقاته، وإنما المقصود من لصق هذه الصفه بالجرمان هو وجود بعض المبادئ التى تنم عن اتجاهات ديمقراطية فى المجتمع الجرمانى مثل انتخاب الزعماء والفصل فى القضايا فى محاكمات عامة(٥٦).

مما سبق نعرف أحوال الجرمان الذين استقروا على حدود الإمبراطورية الرومانية من جهتى الشمال والغرب، ونلاحظ عدم وجود أى عداء بين الرومان والجرمان فى أول الأمر. وانما كل ما أراده الطرفان هو الحياة المستقرة الأمنه فى بلاذه(٥٧).

الظروف التي اضطرت الجرمان إلي الهجوم علي حدود الإمبراطورية الرومانية:

– لقد شهدت السنوات الواقعه بين حكم قيصر وماركوس أوريليوس ٥٠ق.م، ١٨٠م بوجه عام جواً من السلام ساد العلاقات بين الرومان والجرمان كما أن القبائل الجرمانية شهدت بوجه عام جواً من السلام ساد العلاقات بين الرومان والجرمان.

– لكن هذا الوضع بدأ يتغير فى أواخر القرن الثانى الميلادى إذ تعرض المجتمع الجرمانى لنوع من الضغط سبب له شيئاً من الحركة وقد تمثل هذا الضغط فى هجوم السلاف وغيرهم من العناصر الشرقية على الجرمان من جهة الشرق.

– تلفت الجرمان حولهم فلم يجدوا إلا ارضاً فقيرة مجدبة تغطيها الغابات

---

(56) Church A. Jand Brodribbe J., The Complete Works of Tacitus, op. cit., pp. 714 - 715.

(57) Cantor, op. cit., pp. 107 - 108, Painter, op. cit., p. 24.

مما جعلهم فى حالة من الشدة ونقص الأقوات دفعهم إلى الحركة فاخذوا يتطلعون إلى أراضى الإمبراطورية الرومانية التى جذبتهم اليها بنظامها المستقر وخيراتها وحضاراتها الزاهرة.

– بدأ موقف الجرمان السلبى من الإمبراطورية يتغير منذ عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ١٦١ – ١٨٠م عندما تحالف بعض الطوائف الجرمانية المعروفه بأسم ماركومانى Marcomanni والكوادى Quadi لمهاجمة جبهة اعالى الدانوب عند بانونيا(٥٨).

– وعلى الرغم من انتهاء هذه الأزمة بالقضاء على خطر المهاجمين وتدمير قوتهم إلا أن هذا التهديد الجرمانى لم ينقطع بعد ذلك فقد ظهر تهديداً ثانياً لهم فى القرن الثالث فى عهد الإمبراطور كاراكلا ٢١١ – ٢١٧م وذلك عندما تقدم القوط جنوباً من شواطئ البحر البلطى فسحقوا السارماشيين وهاجموا اقليم داشيا (داكيا) على الدانوب حيث ظلوا خمسين عاماً يعيثون فساداً فى البلقان حتى هزمهم الإمبراطور كلوديوس الثانى ٢٦٨ – ٢٧٠م فى نايسوس Naissus عام ٢٦٩م.

– وما هو جدير بالملاحظة فى العلاقة الحربية بين الرومان والقوط فى دورها المبكر هو اختيار الأباطرة الرومان مسالمة القوط بالرغم من تفوق الرومان، إذ نجدهم يتنازلون عن اقليم داشيا ويسحبون منه الجيوش والموظفين الرومان وذلك على عهد الإمبراطور اوريليانوس ٢٧٠ – ٢٧٥ وعندئذ استقر القوط هناك وبعدوا عن أعمال السلب والنهب وبدأوا يتأثرون بالمسيحية مما مهد لقيام أول مملكه جرمانية داخل حدود الإمبراطورية ولم يشكل القوط وحدهم الخطر الأوحد الذى بدأ يهدد الإمبراطورية الرومانية فى تلك الفترة

(58) Lot, op. cit., pp. 29 - 30, Salmon, op. cit., pp. 277 - 278.
- Cary M., and Scullard H.H., A History of Rome, 3rd ed., London, 1975, pp. 443 - 444.

المبكره فى تاريخ صراعهم مع الرومان إذ قام الفرنجه والألمان والبافريون والسكسون[٥٩] والثورنجيون والفريزيون بعدة هجمات أخرى متفرقه حتى انتهى الدور الأول من الهجرة الجرمانيه سنه ٣٠٠م لتبدأ فترة جديدة من العلاقات السلمية الهادئه بين الجرمان والرومان.

وهنا نجد الإمبراطورية تفتح أبوابها لهؤلاء الوافدين من الجرمان فتستخدمهم فى:

١- بعض الفرق الرومانية.

٢- تمنحهم مستعمرات وأراضى يقيمون فيها داخل حدود الإمبراطورية[٦٠].

٣- بدأ الاختلاط الاجتماعى فى صورة الزواج حيث وجدنا بعض ضباط الجيش الرومانى البارزين جرت فى عروقهم دماء جرمانية.

والواقع فإن الإقامة السلمية للجرمان داخل حدود الإمبراطورية لم تكن أمراً جديداً إذ ترجع جذور هذه الظاهرة إلى الإمبراطور أوغسطس ولكنها أخذت تتزايد وعلى نطاق واسع فى القرنين الثالث والرابع عندما بدأت العلاقة بينهم تمتد إلى الزواج والتفاعل الاجتماعى.

عموماً فقد تجددت الهجمات الجرمانية على حدود الدولة الرومانية مرة أخرى سنه ٣٧٥ متخذه طابع جديد فاخذت شكل إغارات ضخمه منذ ٣٧٥ وامتدت هذه الحركة الواسعة حتى سنه ٥٦٨م أى نحو قرنين من الزمان استطاع فيها الجرمان اجتياح أقاليم رومانيه هامة وتأسيس ممالك جديدة داخل هذه الأقاليم[٦١].

---

(٥٩) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٦٠) دوسن، تكوين أوروبا، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٦١) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مرجع سابق، جـ١، ص ٦٧-٦٨.

الهون Huns:

– قبائل رحل من العنصر المنغولي عرفوا في أوطانهم الآسيوية باسم هسيّونخ – هو Hsiung - Hu وفي القرن الثاني سيطروا على شمالي الصين فيما يعرف حالياً بمنغوليا واسسوا امبراطورية لم تعش طويلاً.

– نظر إليه الرومان والجرمان نظره الرعب نظراً لسرعتهم الشديدة واعدادهم الهائله ويعزى اليهم اكتشاف حدوة الخيول وسروجها والتي مكنت محاربيهم من خوض المعارك على ظهور الخيول.

– شقت قبائل الهون طريقها إلى سهول روسيا الجنوبية (شمال البحر الأسود) وادى ذلك إلى اثارة الفوضى وسط القبائل الجرمانيه المستقره هناك وكان القوط الشرقيون أول الجماعات التي لم تقدر على صد الهون في أوكرانيا عام ٣٧٥م [٦٢].

– في القرن الخامس أوقف الهون زحفهم بعد أن شيدوا امبراطورية ضخمه كان مقرها سهل هنغاريا (المجر) وقد بلغت أوج عظمتها تحت زعامة اتيلا الذي ورث الحكم في ٤٣٣م.

– فرض اتيلا نفوذه على القبائل الجرمانيه والمتبربرة واستطاع ان يهدد شطري الإمبراطورية الشرقي والغربي ، ارغم الإمبراطورية على دفع جزية سنوية له مما دفع بالإمبراطور ثيودسيوس الثاني ٤٠٨–٤٥٠م بتدبير مؤامره في القسطنطينيه للتخلص منه ولكنه اكتشفها وسخر منها[٦٣].

– طمع في أملاك الإمبراطور الروماني واتجه نحو الشرق فضم شبه ج. البلقان ووصل إلى القسطنطينيه ولظروف خاصة وبعد ان تعقد الموقف هناك تحول اتيلا إلى الغرب فانصرف من أمام اسوار القسطنطينية.

(62) Katz, The Decline of Rome, op. cit., p. 104.
(63) Jones, The Decline of Ancient World, op. cit., p. 80.

– وسط تلك الظروف ظهر القائد الرومانى أيتيوس Aetius لمواجهة اتيلا ومنعه من التقدم ونجده يجمع القوات الرومانيه فى الغرب واضاف اليها الجموع الجرمانيه فى بلاد الغال بهدف التصدى لاتيلا هناك حيث هزم اتيلا فى ٤٥١م فى موقعه تعرف باسم شالون Châlone وقد عرفت هذه المعركة باسم «معركة الشعوب» The Battle of the Nations لأنها ضمت شعوباً جرمانيه مختلفه، وقد لعب القوط الغربين فى هذه المعركة دوراً عظيماً حتى ان ملكهم «ثيودرك» لقى مصرعه بعد ان حارب ببساله تحت الراية الرومانية[٦٤].

– فى ٤٥٢م تحرك أتيلا على رأس جيش ضخم وأصبح على مشارف روما وما أن علم البابا «ليو الأول» ٤٤٠ – ٤٦١م إلا وذهب إليه فى سفارة ليتفاوض معه وانتهت المفاوضات بانسحاب أتيلا إلى مقر حكمه فى المجر وكان هذا سبباً فى إضافه رصيد من النفوذ لحساب البابويه فى الغرب الأوروبى.

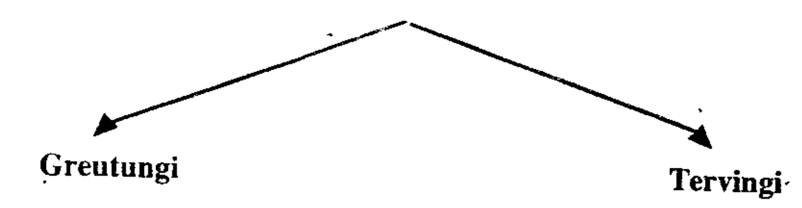
– على أى حال تمزقت امبراطورية الهون بعد وفاة زعيمها اتيلا.

القوط الغربيون Visigoths:

– عبروا البحر البلطى فى القرن السادس ق.م وانقسم القوط إلى فرعين كبيرين هما:

---

(64) Pirenne H., A History of Europe from the Invasions to the XVI Ceutury, Trans, by Bernard Miall From french, London, 1961, pp: 29 - 30.



القوط الترفنج

واستقروا بين الدانوب والدنيستر وعرفوا بالقوط الغربيون Visigoths. في تولوز.

القوط الجروتنج

واستقروا في جنوب روسيا على نهر الدنيبر وعرفوا باسم القوط الشرقيين Ostrogoths. في ايطاليا.

ظهر خطرهم واضحاً في منتصف القرن الثالث الميلادى، وابان عهد الإمبراطور ديكيوس ٢٤٩-٢٥١م Decius عبروا الدانوب الأدنى وهزموا الامبراطور ديكيوس ولكنها لم تنل من عزيمته، واعاد تجميع قواته متجهاً إلى مدينة فيليبوبوليس التى حاصرها القوط وتمكن من أن يحقق النصر عليهم ولكنه كان مؤقت، إذ رفض ديكيوس التفاوض فخاضوا مع الإمبراطور معركة عنيفه فى ٢٥١م قتل الإمبراطور على أثرها هو وابنه.

انعكست هذه الهزيمة على موقف جالوس ٢٥١ - ٢٥٢م الذى اعتلى العرش بعد ديكيوس فاتفق معهم على مغادرة أراضى الإمبراطورية نظير دفع جزية سنوية ضخمه.

واستمر القوط فى الاغارة على أملاك الإمبراطورية خاصة أنه فى الفترة بين ٢٥٣م و ٢٦٨م واجهت الإمبراطورية خطر الجرمان الذين هددوا الجزء الغربى من الإمبراطورية، كما واجهت بعض المتاعب مع الفرس.

- فى ٢٦٩ م نشأ تحالف قوى بين القوط وجماعات من الجرمان بهدف

(*) Visigoths = wise goths
Ostrogoths = Bright goths (Austr).

مهاجمة أملاك الإمبراطورية، فكانت اثينا من بين المدن التى تعرضت لنهب القوط وبدأوا يفكرون بعدها فى غزو ايطاليا وفى تلك الأثناء كان الإمبراطور كلوديوس الثانى ٢٦٨-٢٧٠م Claudius II قد وصل إلى عرش الإمبراطورية وعقد العزم على تطهير الإمبراطورية من البرابره الغزاه، والتقى الفريقان عند نايسيوس فى ٢٧٠م فى معركه داميه واسفرت عن هزيمة القوط هزيمة ساحقه، وتوالت إنتصاراته عليهم وعرف بأنه «قاهر القوط» وعرف فى التاريخ بـ «القوطى»Gothicus[٦٥].

وبعد وفاه كلوديوس الثانى تولى أوريليانوس ٢٧٠-٢٧٥م الذى اتفق معهم بعد معركة عنيفه على الصلح وأمر بسحب الحاميات العسكرية من ولايه داشيا بعد أن تركها لهم لتصبح أول ولاية رومانية تذهب لصالح الجرمان[٦٦].

وخلال الخمسون عام التاليه جنح القوط للسلام والهدوء حتى جاء الإمبراطور قنسطنطين وعقد معهم معاهدة صاروا بمقتضاها حلفاء Foederati للرومان.

النتائج التي ترتبت علي احتكاك القوط بالرومان:

- أفادوا من حضارة الرومان وتأثروا بها ويتضح ذلك من اعتناقهم للمسيحية عن طريق مبشر منهم يدعى أولفلاس Ulfilas ٣١١-٣٦١م الذى لقنهم تعاليم الدين الجديد على المذهب الأريوسى مخالفاً المذهب الأثناسيوسى المنتشر فى الغرب الأوروبى وقد تلقى تعليمه بالقسطنطينيه.

- عندما عين اسقفاً على القوط فى حوالى ٣٤١م ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة القوطيه(*) وتعتبر هذه الترجمة التى مازالت اجزاء باقية منها أقدم

(65) Bradley H., The Goths, 5th ed., London, 1887, p. 30.

(٦٦) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق. ص ١١٩.

(*) اللغة القوطية هى احدى اللغات الجرمانية والتى تضم الألمانية والهولندية والفلمنكية (البلجيكيه) والدانماركية والسويديه والنروجية والإنجليزية.

آثار لغة الجرمان، وقد اعتنق القوط المسيحية على المذهب الآريوسى والذى انتشر بين مختلف طوائف الجرمان مثل الوندال والبرجنديين واللمبارديين وقد بلغت شهرته فى التبشير حداً جعلته يعرف بأسم «حوارى القوط» أو رسولهم Apostle of the Goths [٦٧].

- فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى اندفع الهون الآسيوسين خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا وانقضوا على القوط ويبدو أن هجوم الهون جاء على درجة من الشدة والعنف جعلت الرومان والجرمان يتأزرون جميعاً لصد هذا الخطر المشترك.

وقد احدث ضغط الهون رد فعل عنيف بين الجرمان مما أثر على أوضاع الامبراطورية الرومانيه بشكل خطير حيث أضطر القوط الغربيين إلى الفرار من وجه الهون فطلبوا من الإمبراطور فالنز Valens ٣٦٤-٣٧٨م السماح لهم بعبور الدانوب هرباً من خطر الهون، وقد احدث هذا الهروب هزه عنيفه فى جسم الإمبراطورية، ذلك أن هؤلاء الدخلاء (القوط) ثاروا على الإمبراطوريه، وانزلوا الهزيمة بالإمبراطور ڤالنز وذبحوه فى أدرنه ٣٧٨م مما دفع خليفته الإمبراطور ثيودسيوس العظيم ٣٧٨-٣٩٥م إلى العمل على اتقاء شر القوط.

ونجد الإمبراطور ثيودسيوس يعقد معهم اتفاقية أصبحوا بمقتضاها Foe-derati - كما سبق وفعل سلفه قنسطنطين - وذلك عام ٣٨٢م.

وقد سمح ثيودسيوس للقوط الشرقيين بالإقامة فى إقليم بانونيا وسمح للقوط الغربيين بالإقامة فى شمال تراكيا وقد تمتع القوط بسلطة فى هذه الأقاليم التى احتلوها.

---

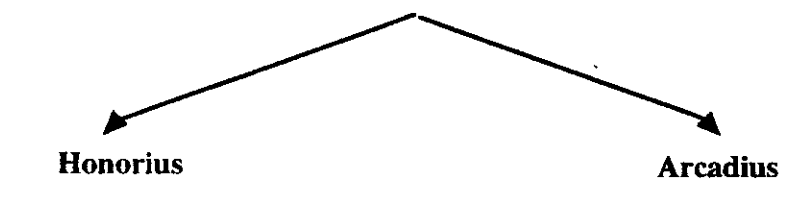
(67) Thompson J. W., History of the Middle Ages 300 - 1500, London, 1931, p. 54.

المميزات التي تمتع بها القوط في عهد ثيودسيوس العظيم:

١- اعفوا من الضرائب مقابل الخدمة العسكرية التى تعهدوا بتقديمها إلى الإمبراطورية.

٢- ظلوا محتفظين بطابعهم، فضلاً عن نظمهم وقوانينهم ومذهبهم الآريوسى وقد استمر التزامهم بتقديم الخدمة العسكرية وحراسة حدود الإمبراطورية حتى وفاة ثيودسيوس ٣٩٥.

بعد وفاة ثيودسيوس قسمت الإمبراطورية بين ولديه أركاديوس وهنريوس



Arcadius	Honorius
٣٩٥ - ٤٠٨ م	٣٩٥ - ٤٢٣ م
كان من نصيبه القسم الشرقى وعاصمته القسطنطينية.	كان من نصيبه القسم الغربى وعاصمته رافنا.

وقد ترتبت عدة نتائج على تقسيم الإمبراطورية يمكن اجمّالها فى النقاط التالية:

١- إزداد نفوذ الجرمان السياسى والحربى داخل الإمبراطورية فأعتمد هنريوس فى الغرب على قائد من الوندال يدعى ستيلكو Stilicho ومنحه تفويض تام فى النواحى الحربية.

٢- اعتمد اركاديوس فى الشرق على وزير قوطى يدعى روفينوس Rufinus الذى عرف عنه القسوه والانانية وعدم الاخلاص ويبدو أن القوط الغربيين كانوا فى تلك الفترة كانوا فى حالة استياء منذ الاتفاقية التى عقدها معهم ثيودسيوس ٣٨٢م ولذا نجدهم قاموا بالثورة فى ٣٩٥م.

ثورة القوط الغربيون ٣٩٥م:

– قامت هذه الثورة بزعامة ملكهم المعروف بأسم الليرك Alaric ونجدهم يغزون مقدونيا وتساليا واقتحموا اثنيه ونهبوا كورنثه حتى اقتربوا من القسطنطينية.

– فى تلك الفترة كانت حكومة الإمبراطورية الشرقية فى حالة تبلد وجمود فلم تتحرك لدفع خطر القوط الغربيون مما جعل ستيليكو قائد الإمبراطورية الغربية يقوم بهذه المهمة حيث قام بعبور البحر الإدرياتى وحاصر القوط فى الركن الشمالى الغربى من شبه ج المورة (مقاطعة اليس Elis) وإن كان ملكهم الليرك قد لاذ بالفرار ٣٩٦م.

– رأى أركاديوس حاكم الإمبراطورية الشرقية ان يمنح الليرك زعيم القوط اقليم الليريا سنه ٣٩٨م حيث ظل القوط الغربيون مستقرون هناك لمدة أربعة سنوات فى حين عاد ستيلكو إلى غاليا وجبهة الدانوب لمحارية الوندال.

– فى عام ٤٠٢م حاول الليرك غزو ايطاليا لأول مرة، لكن ستيليكو رده على اعقابه وتعرضت ايطاليا إلى غزواً أخر فى عام ٤٠٥م من قبل جماعات الوندال والسويفى والبرجنديين واللان، الذين اضطروا للاتجاه نحو ايطاليا أمام ضغط الهون لكن ستيليكو أنزل بهم هزيمة ساحقه وبذلك نجحت ايطاليا مرة أخرى فى ان تنجو من غزو ا لبرابرة.

– وقد اضطر ستيليكو هذه المرة سحب بعض الفرق الحربية التى تقوم بحراسة جبهة الراين مما أتاح الفرصة لجماعات الوندال واللان والسويفى لعبور الحدود الرومانية عام ٤٠٦م، وقد ترتب على ذلك أنهم قضوا فى غاليا ثلاث سنوات خربوا فيها البلاد واندفعوا منها إلى اسبانيا.

– افزعت هذه الأحداث الإمبراطور هنريوس الذى رأى فيها فرصة طيبه للتخلص من قائدة ستيليكو الذى ازداد نفوذه حتى أوشك أن يصبح الحاكم

الفعلى فى الدولة فوجه هنريوس إليه تهمة الأهمال فى حماية حدود الإمبراطورية والتآمر ضد سلامتها وسلامة الإمبراطور نفسه وأعدمه فى سنه ٤٠٨م.

لقد اتبع هنريوس سياسة متطرفه مع اتباع ستيليكو بعد أن أعدمه، فراح يعمل فيهم القتل مما جعلهم يتجهون نحو الليرك ملك القوط الغربيين حيث شجعوه على غزو ايطاليا.

الدور الذي لعبه الليرك بعد وفاة ستيليكو:

- بعد وفاة ستيليكو وجد الليرك ان الفرصة أصبحت سانحه لغزو روما وقد تمكن الليرك فى عام ٤١٠م من غزو روما بعد فشل المفاوضات بينه وبين الإمبراطور هنريوس الذى كان قابعاً فى آمان فى عاصمته الجديدة رافنا وهكذا تمكن القوط الغربيون بقيادة الليرك من دخول روما، ونهبوا منازل نبلائها وأحرقوها ورغم أنهم اريوسيين إلا أنهم لم يحرقوا الكنائس الاثناسيوسيه، وقد توفى الليرك فى ٤١٠م ليترك الامبراطور هنريوس أمام قضية اخراج القوط من روما وتخليص الامبراطورية قاطبة من شرهم.

- اتبع هنريوس سياسة المهادنه مع القوط فاعطاهم اقليم اكوتين من اللوار حتى البرانس وهو الإقليم الذى ضم مجموعة اقاليم غاليا والتى كان الوندال واللان والسويفى قد استولوا عليها، فأصبح على القوط بذل مجهود مضاعف لاستخلاص هذا الاقليم من أيدى الوندال واللان والسويفى.

- بعد وفاه الليرك تمكن واليا Wallia(*) من قيادة القوط الغربين وتمكن من طرد السويفى إلى الجزء الشمالى الغربى من أسبانيا، وأن يزيح الوندال

(*) جاء واليا بعد أثولف الذى اغتيل على يد أحد خدمه فى برشلونه فى ٤١٥م وبعد سيجريك Sigeric.

إلى نهر ابرو وبذلك تمكن القوط الغربيون من الاستقرار فى الجزء الجنوبى من غاليا بعد أن قضوا زهاء الأربعين عاماً فى التنقل والترحال.

- بعد وفاة واليا خلفه ثيودريك الأول ٤١٩-٤٥١م والذى انتزع عدة مدن من الرومان فى جنوب غاليا عام ٤٣٦م، وقد حاول الرومان الوقوف فى وجهة، لكنه هزمهم عام ٤٣٩ ومن بعدها ساد السلام بين الطرفين، وقد توفى ثيودرك الأول فى عام ٤٥١ أثناء حربه مع الهون فخلفه فى حكم القوط الغربيون ثيودريك الثانى.

قام ثيودريك الثانى ٤٥١-٤٦٥م بمحاربة السويفى فى شمال غرب اسبانيا، كما غزا ناربون قرب الحدود الغاليه الأسبانية، ومد مملكته حتى نهر اللوار، وقد لاقى حتفه على يد أخيه فى عام ٤٦٥م والذى يدعى ايورك والذى اعتبر فى التاريح اقدر قادة وملؤك القوط الغربيين.

أيورك ٤٦٥ - ٤٨٤م:

١- قضى على ما تبقى من النفوذ الرومانى فى اسبانيا.

٢- اخضع السويفى.

٣- وضع أول مجموعة للقانون الجرمانى عرفها التاريخ والمسماة Antiqua

على ان مملكه القوط الغربيين ما لبثت ان تمزقت بعد وفاة ملكها ايورك عام ٤٨٤م لأن خلفاءه كانوا يفتقرون إلى الكفاءه التى تميز بها، كما أن آريوسه القوط الغربين كانت حجر الزاوية فى انهيار مملكتهم وتمزقها فالغالبية العظمى من رعاياهم فى اقليم الغال كانت على المذهب الكاثوليكى المناهض للآريوسيه، وإذا تصورنا مدى الكراهية التى تبادلها انصار المذهبين ندرك أنه كان مستحيلاً على أى ملك قوطى ان ينال رضاء اتباع يعتبرونه هرطقياً فى نظرهم.

الوندال Vandals:

ظل الوندال يقاومون القوط الغربيين فى اسبانيا على مدار أربع وعشرون عاماً، بعدها اضطروا إلى عبور البحر إلى شمال افريقيه ٤٢٩م تحت زعامة ملكهم جيزرك Gaiseric، وصادف فى نفس الوقت قيام حرب أهليه فى شمال افريقيه وقيام امبراطور قاصر هو ڤالنثيان III الثالث ٤٢٥-٤٥٥م على عرش الإمبراطورية مما سهل للوندال مهمتهم.

دور جيزرك مع الوندال:

اثبت أنه على جانب كبير من الكفايه والمقدرة إذ استولى على البلاد من طنجه حتى طرابلس.

سقطت قرطاجه أهم مدينة فى الغرب بعد روما فى أيدى الوندال عام ٤٣٩م وبذلك ضاعت ولاية شمال افريقيه فخسرت الامبراطورية بضياعها أهم اجزائها التى كانت تمولها بالغلال وممكن معرفه نهج جيزرك مع أهالى شمال افريقيه من خلال النقاط التاليه:

١- اتبع معهم سياسة استبداية عنيفه.

٢- صادر الأموال وانتزع الأراضى من أصحابها.

٣- تعسف فى جمع الضرائب والأموال من الأهالى.

٤- اتبع سياسة دينيه متطرفه فبحكم أنه أريوسى نجده يصادر ممتلكات الكنيسة الكاثوليكيه وشمال افريقيه ويضطهد رجال الدين الكاثوليكى اضطهاداً آثار الرأى العام حتى أصبح لفظ الونداليه Vandalism إشارة للهمجيه والوحشيه فى اللغات الأوروبية الحديثة.

عموماً فقد أصبح الوندال قوة بحرية خطيرة فى البحر المتوسط واغاروا على :

١- جزر البليار.   ٤- صقليه.

٣- سيردينيا.   ٥- ايطاليا.

٣- كورسيكا .   ٦- هاجموا روما فى ٤٥٥م.

وتحولت عظمه الوندال بسرعة بعد وفاة جيزرك عام ٤٧٧م رغم أنه ترك اسطولاً قوياً وثروة طائله وذلك عندما تمكن بلزاريوس (قائد جيوش الإمبراطور چيستنيان) ان يسترد ولاية شمال افريقيا من الوندال بعد ان دامت دولتهم لمدة ٩٥ عام منذ استيلاء جيزرك على قرطاجه ٤٣٩م.



سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية



الفصل الخامس

سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية

البرجنديون:

– أحد الشعوب الجرمانية الشرقية، موطنهم الأصلى جزيرة سكنديناوه، فى حوالى عام ١٥٠م دخلوا إلى سيليزيا وفى ٢٨٦م دخلوا إلى وادى المين ومن هناك وصلوا إلى نهر الراين فى نهاية القرن الرابع الميلادى، وتحت ضغط قبائل الهون عبرو نهر الراين بعد حصولهم على موافقة السلطات الرومانية بالإقامة كمعاهدين حيث اعتنقوا المسيحية.

– اثارت الحضارة الرومانية اعجابهم وبهرت عيونهم ويظهر ذلك فى تأثرهم بهذه الحضارة والذى سجلته (تشهد عليه) مجموعة القوانين البرجنديه Lex Burgundionum وأيضاً مجموعة القوانين الرومانية البرجندية Lex Romania Burgundionum وكلاهما اصدرهما الملك البرجندى جندوباد Gundobad فى الفترة من ٤٨٣ – ٥١٦م بهدف معالجه القضايا المتداخلة بين الرومان والبرجنديين[١].

– وفى الفترة المضطربه التى سبقت سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب حرص ملوك البرجندين على التحالف مع روما ورغم ان البرجنديين نشأوا على المذهب الآريوسى مثل بقية الطوائف الجرمانية إلا أنهم احترموا رغبة الاناث فى اعتناق المذهب الأخر المخالف لآرائهم وهو المذهب الكاثوليكى[٢].

---

(1) Sinnigen william G., and Boak E.R., A History of Rome to A.D. 565, 6th ed, U.S.A., 1977, p. 488.

(٢) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ١٤٢

الاليماني Alemanni:

تعنى كلمة اليمانى «كل الناس» و «كل الرجال» وهو أسم مشتق من اللغة التيوتونية القديمة. وهو أحد الشعوب الجرمانية الغربية التى هددت الإمبراطورية الرومانية قبيل سقوطها فى الغرب ويرجع تاريخ ظهورهم إلى عهد الإمبراطور كاراكلا ٢١١-٢١٧م وقد تمكن من دحرهم على الحدود وتوغل فى أراضيهم ثم زاد من التحصنيات الدفاعيه فى نفس المناطق التى حاربهم فيها(٣).

- جدد الاليمانى هجماتهم على حدود الامبراطورية بعد وفاة كاراكلا لدرجة أن الإمبراطور الاسكندر سيفيروس ٢٢٢-٢٣٥م أضطر لقطع حملته فى الشرق ضد الفرس لصد خطر الاليمانى وانتهت المسألة باحلال السلام بفضل المفاوضات بين الجانبين.

لقد رأى قواد الإمبراطور الاسكندر سيفيروس ان هذا التصرف تجاه الإليمانى كان مشيناً للكرامة الرومانية فقاموا بثورة ضده فى عام ٢٣٥م تزعمها ماكسيمينوس Maximinus واسفرت هذه الثورة عن مقتل سيفيروس وتولى ماكسيمينوس عرش الإمبراطورية بدلاً منه.

وعلى الرغم من ان الإمبراطور ماكسيمينوس كان شجاعاً وبعث الحياة فى الجيش الرومانى واستطاع التوغل فى أراضى الاليمانى لمدة عشرين عاماً إلا أن الاليمانى كانوا متربصون بحدود الإمبراطورية دوماً وسنحت لهم الفرصة فى ٢٥٩م(٤).

(3) Laistner M.L.W, Thought and Letters in Western Europe A.D. 500 to 900, London, 1957, p. 20

(4) Bang Martin, "Expansion of the Teutons to A.D. 378" in Camb. Med. Hist., Vol I, Combridge 1975, p. 201.

وفى أوائل عهد الإمبراطور اوريليانوس ٢٧٠ - ٢٧٥م تحرك الاليمانى مرة أخرى فى حشود ضخمة خلال جبال الألب الرايتية إلى سهل نهر البو فى شمال ايطاليا، غير أن أوريليانوس تعقبهم ودمرهم على ضفاف نهر ميتاوروس Metaurus ومن بعدها لم تجروء أى قوة اجنبية علي الاقتراب من قلب ايطاليا خاصة وان اوريليانوس كان قد بدأ فى بناء سور دفاعى جديد يحيط بمدينه روما.

- لم ينتهى خطر الاليمانى بذلك، وإنما عادوا مرة ثانية فى شكل تحالف اقاموه مع الفرنجه وفى عهد الإمبراطور قنسطنطيوس الثانى ٣٥٠-٣٦١م اندفعوا تجاه الراين فى نفس الوقت الذى كان فيه الفرس يهددون حدود الإمبراطورية فى الشرق، إخترق الاليمانى حدود الإمبراطورية عند الراين واستطاع حينها چوليانوس الذى صار امبراطوراً فيما بعد ان يوقع بهم شر هزيمة مما اكسبه شهره فاقت شهرة الامبراطور قنسطنطيوس الثانى نفسه[٥].

وبفضل مجهودات الإمبراطور ڤالينتيان الأول ٣٦٤-٣٧٥م احكمت الإمبراطورية قبضتها علي حدود جبهة الراين ضد شعوب الألمان والفرنجه ولكن عاد تهديد الاليمانى يتجدد مرة أخرى فى عهد الإمبراطور ڤالنز الذى انشغل فى صد خطر القوط الغربيين فى البلقان ولكن تمكن ابن اخيه جراشيان Gratian فى صدهم وهزمهم فى مكان بالقرب من هوربورج فى ٣٧٨م[٦].

ولم يستمر التحالف الذى كان قائماً بين كل من الاليمانى والفرنجة طويلاً إذ انقلب إلى عداء وخرج منه الفرنجه منتصرين على حساب الأليمانى إذ توسع الفرنجه فى اقليم الغال.

---

(5) Dill S., Roman Society in the Last Century of Western Empire, London, 1925, p. 288.

(6) Manitius M., "The Teutonic Migrations 378-421" in Camb. med. Hist, vol I, Cambridge, 1975, pp. 252-253.

الفرنجة Franks:

ظهروا خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى فى مجموعتين هم:

١- الفرنجه البحريون (الساليون) Salian Franks

٢- الفرنجة البريون (الريبواريون) Ripuarian franks

وقد اجتاحوا إقليم الغال كما سبق وان ذكرنا فى ٢٥٣م وتمكن الأباطره الرومان من صدهم واجبارهم على التراجع إلى الويزر والراين حيث يستقرون وقد انتهزوا الفرصة بعد ذلك بعد مقتل ابن الإمبراطور ڤاليريانوس واتجهوا مرة ثانية إلى اقليم الغال دونما أى محاولة من جانب الامبراطوريه لصدهم.

واستطاع الإمبراطور بروبس Probus ٢٧٦-٢٨٢م ان يقود عدة حملات ناجحة فى منطقة الراين طهر بها بلاد الغال من خطر الفرنجه بل وانزلهم إلى مرتبه العبودية.

وقد انجذب معظم المؤرخين إلى دراسة الفارق بين حركة الفرنجه وبين بقيه حركات الشعوب الجرمانيه فى غزوها للإمبراطورية الرومانية، حيث أن حركة الفرنجه كانت حركة توسعيه أكثر منها حركة هجرة تتصف بطابع الغزو.

- الجدير بالذكر ان العلاقات بين الإمبراطورية الرومانيه والفرنجه لم تكن كلها عدائية فكثير من شعوب الفرنجه كان على صلة طيبه بروما وكثير من شخصيات الفرنجه تأثرت بالحضارة الرومانية(٧) وقد ازدادت الروابط بين الفرنجه والإمبراطورية منذ القرن الخامس الميلادى فأصبح الفرنجة يحاربون إلى جانب القوات الرومانية فى ٤٠٦م لصد جموع الغال على جبهة الراين والغال، ويروى «ديل» ان بعض الفرنجه حاربوا فى صفوف الرومان ضد كل

(7) Lot, The End of The Ancient World, op. cit., p. 249.

من الوندال والاليمانى وذلك طبقاً لرواية المؤرخ جريجورى فى كتابه «تاريخ الفرنجه Historia Francorum»[8] .

ويعتبر كلوفيس ٤٨١-٥١١م هو المؤسس الحقيقى لدولة الفرنجه البحريين الذى عرف بمقدرته الحربية، ورغب فى القضاء على سياجروس الذى يمثل آخر بقايا النفوذ الرومانى فى سواسون الذى تمكن من هزيمته فهرب إلى تولوز حيث مقر الليرك الثانى ٤٨٥-٥٠٧م ملك القوط الغربين طالبا الحماية منه. وما كان من كلوفيس إلا أن هدد الليرك الثانى بهدف تسليم اللاجئ وانتهت المشكله بأن قتل كلوفيس اللاجئ بعد أن تم تسليمه[9] .

- كان اعتناق كلوفيس للمسيحية على المذهب الاثناسيوسى (الكاثوليكى) أهم حدث فى هذه الفترة وذلك لأنه بذلك خالف جميع الطوائف الجرمانية التى دانت بالمذهب الآريوسى ليصبح بطلاً للكنيسة الكاثوليكيه التى وقفت جانبه فى صراعه مع الشعوب الجرمانية الأخرى كما وقف إلى جواره رعاياه فى اقليم الغال مما ساعده كثيراً فى التغلب على منافسيه.

وقد آثار اعتناق الفرنجه للمذهب الكاثوليكى غضب وكراهيه بقيه طوائف الجرمان الآريوسيين فى غاليا مثل البرجنديين الذى استطاع كلوفيس ان يجبرهم على دفع الجزية عام ٥٠٠م رمزاً للتبعية، والقوط الغربيين الذى شن عليهم حرباً فى ٥٠٧م وقتل ملكهم الليرك الثانى بعد أن هزمه فى فوجليه Vougle واستولى على تولوز ٥٠٨م ولم ينقذ القوط الغربين من ايدى الفرنجه عنئذ سوى تدخل ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين الذى اسرع لنجدة اقربائه.

(8) Dill S., Roman society in Gaul in the Merovingian Age, U.S.A., 1966, pp. 7-8.

(9) Gregory of Tours, The History of the Franks, trans. by Dalton D.M., Oxford, 1927, pp. 273-277.

وقبل وفاة كلوفيس فى ٥١١ قسم مملكته الواسعة بين ابنائه الأربعة وهذا لم يمنع أو يعوق توسعات الفرنجه وذلك لأن لوثر الأول (كلوتير) استطاع توحيد مملكه الفرنجه عام ٥٨٨م بعد وفاة اخوته الثلاثه، غير ان مملكه الفرنجه انقسمت مرة أخرى بين ابناء لوثر الأول بعد وفاته ٥٦١م[١٠].

من العرض السابق لغزوات الچرمان يتضح أنه لم يكد يأتى منتصف القرن الخامس حتى كانت الإمبراطورية الرومانية الغربية قد ضاعت معظم أملاكها، حيث انسحبت الجيوش الرومانية من بريطانيا عام ٤٤٢م، وانتزع الوندال ولاية شمال افريقيه، واحتل القوط والبرجنديون اسبانيا وجنوب غاليا والاجزاء الشرقية منها، وعبر الاليمان نهر الراين الأعلى واستقروا فى الألزاس، فى حين عبر الفرنجه الراين الأدنى ووصلوا السوم والميز وعموماً فيمكن الجزم بأن عوامل سقوط الإمبراطورية الغربية بدأت منذ عهد الإمبراطور هنريوس ٣٩٥-٤٢٣م والإمبراطور ڤالينشيان الثالث ٤٢٥-٤٥٥م الذى كافأ قائده ايتيوس Aetius بإعدامه عام ٤٥٣م وقد أصبح الوندال بعد احتلالهم ولاية افريقية قوة بحرية كبرى هددت جميع بلاد النصف الغربى من حوض البحر المتوسط وفشل البابا «ليو العظيم» فى انقاذ روما من الوندال كما سبق وان أنقذها من الهون.

- لقد اقتحم الوندال روما وظلوا بها أربعه عشر يوماً سلبوا خلالها كنوز المدينة وقصرها الإمبراطورى والمعابد والكنائس وما فى البيوت من نفائس فضلاً عن عدة آلاف من الأهالى حملوهم عبيداً ورأى الدكتور سعيد عاشور فى مؤلفه «أوروبا العصور الوسطى» ان هذه الاغاره ان دلت على شئ فأنما تدل على ان مجد روما السياسى والحربى قد أدبر وتولى بل وأصبح رهنا بمقدرة الكنيسة البابوية.

---

(١٠) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ص ٨٢ - ٨٣.

وعموماً فإن الفترة الواقعه بين مقتل ڤالينثيان الثالث وسقوط الإمبراطورية في الغرب تعد من اظلم عصور الإمبراطورية الغربية بعد ان فقدت هذه الإمبراطورية معظم اراضيها، وأصبحت القوة الفعلية في ايطاليا بأيدى فئه من قادة الفرق الجرمانية المأجورة، وأصبح الأباطره العويه في أيدى الجند حتى انتهى الأمر بأن ثارا أودواكر زعيم جموع الجرمان ودخل في ٤٧٦م إلى رافنا حيث كان الإمبراطور عندئذ هو روملوس أوغسطولوس Romulus Augustulus. والذى كان في الثانيه عشر من عمره فأكتفى أودواكر بنفيه لجنوب ايطاليا مع تخصيص معاش كاف له.

وهكذا انتهت الإمبراطورية الرومانية في الغرب واصبحت ايطاليا قانونيا تابعه للإمبراطورية الرومانية التى لم يبقى غيرها على قيد الحياة وهى الإمبراطورية الشرقية أو ما تعرف بالبيزنطيه وحتى هذه الإمبراطورية لم يكن لها نفوذ ملموس في ايطاليا مما جعل البابويه هى القوة الوحيدة القائمة التى التف حولها الايطاليون(*).

"الإمبراطورية الرومانية الشرقية"

القوط الشرقيون:

بعد سقوط الإمبراطورية الغربية في ايطاليا ٤٧٦م، أصبح لأباطرة الإمبراطورية الشرقية نوع من السيادة الأسمية على ايطاليا، بحكم حق اباطرة الإمبراطورية الشرقية في وراثه أباطره الإمبرطورية الغربية.

(*) راجع محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ١٣٩ ، حيث رأى ان الوندال لم يستطيعوا الإندماج اجتماعياً واقتصاديا ودينياً مع أهالى البلاد خاصة مع ابناء طبقه النبلاء الثرية.

(*) لم تنقضى سنه ٤٧٦م حتى كانت هناك ست ممالك جرمانيه قد قامت في أوروبا على انقاض الدولة الرومانية الغربية وهى:

– مملكه اودواكر (ايطاليا)، مملكه الوندال (شمال افريقية)، مملكه القوط الغربيين (في اللوار حتى مضيق جبل طارق)، مملكه البرجنديين (وادى الرون ووادى الساوؤن)، مملكه الفرنجه (الميزوالموزل والراين الأدنى)، مملكه السويڤى Suevi (البرتغال) راجع:

- Deanesly Margaret, A History of Early Medieval Europe From 476 to 911, London 1960, p. 2, ff.

ولكن بعد عام ٤٨٩م انتهت هذه السيادة الأسمية على ايطاليا بعد أن تمكن القوط الشرقيون من غزوها تحت زعامة ثيودريك.

وفى حين كان الشطر الغربى من الإمبراطورية يعزق تحت جحافل قبائل الجرمان والقوط الواندال نجا الشطر الشرقى من خطر الغزاة، ونجح فى فرض نفوذة على مقاطعاته بعد أن سحق حركات التمرد والانفصال التى آثارها كبار الاقطاعيين وكبار قادة الجيش من العناصر الأجنبية وذلك بفضل كفاءة الحكومة وأجهزة الحكم فى تنظيم الحكم الداخلى بصورة افضل من تلك التى كانت تسود الجزء الغربى.

وقد نجح الشطر الشرقى فى فرض الانضباط السياسى على الجيش بوضع القيادة العليا فى يد أكثر من قائد وعدم تركيزها فى يد شخص واحد، بل ونجح أيضا فى تخليص الجيش مما به من عناصر بربرية دخيله فأصبح أباطره الغرب الضعاف يتلهفون على نيل رضى وحماية الإمبراطورية الشرقية الفتيه.

– وبعد وفاة أركاديوس فى ٤٠٩م وتولى زوجته يودوكسيا تولت زعامة فريق ينادى بطرد البرابره من الجيش والحفاظ على وطنية الجيش متعظين بما حدث فى الإمبراطورية الغربية، وأصبح تجنيد العناصر الوطنية خطوه طيبة لمقاومة تزايد الجرمان والقوط فى الجيش.

- ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨ - ٤٥٠م:

– تولى عرش الإمبراطورية وكان لدية ثمانيه أعوام وذلك بعد وفاه ابيه أركاديوس وكانت أمور الدولة فى يد انثيموس Anthemus وكان رئيس الحرس الجمهورى، ونظراً لأن ثيودوسيوس الثانى كان ضعيف الشخصية فسيطرت عليه عمته بوليخريا Pulecheria لدرجة أنها اختارت له شريكه حياته التى اشترطت عليها ان تدخل المسيحيه وغيرت اسمها إلى يودوقيا Eudocia وبعد سنوات قلائل دب الصراع بين يودوقيا وعمة الإمبراطور.

---

(١١) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٦٧ – ٦٩.

- خلال حكمه تعكر صفو سلام الإمبراطورية الشرقية بسبب اندلاع الحرب مع الإمبراطورية الفارسيه الساسانية وبسبب تحرشات قبائل الهون على حدود الإمبراطوريه وقد اندلعت الحروب مع الدولة الساسانيه عام ٤٢١م كرد فعل لاضطهاد الساسانين للطوائف المسيحية داخل أراضيها وانتهت بهزيمة الفرس. هذا الانتصار الذى حققته الإمبراطورية على الفرص لم تستطع ان تحقق مثيله مع الهون فى عهد ملكهم روا Rua ومن بعدهم اتيلا Attila(١٢) الذى طالب فيما بعد بأن تؤول له السيادة على الإمبراطور ثيودسيوس الثانى.

ويمكن رصد أمور أربعة ميزت فترة حكم هذا الإمبراطور.

الأول: اقامة اسوار جديدة للقسطنطينية عام ٤١٣م اثناء تولى انثيموس ادارة الدولة وكان قطرها أكثر اتساعاً من قدار الاسوار التى بناها قنسطنطين مما أدى إلى توسع المدينة عمرانياً وأصبحت هذه الأسوار أهم ملامح المدينةأاثرياً(١٣).

الثاني: تأثر ثيودسيوس الثانى بآراء زوجته يودوقيا المسيحية واعادة افتتاحة للدار العليا للتعليم والدراسة والتى كان الإمبراطور قنسطنطين قد انشأها واهملت بعد وفاته وأصبحت بعد اعادة افتتاحها فى عهد ثيودوسيوس الثانى تضم عشرة كراسى للاستاذية المتخصصة فى الدراسات الاغريقيه وعشرة أخرى للدراسات اللاتينيه.

الثالث: اصدار موسوعة ثيودسيوس القانونية عام ٤٣٨م وكانت تضم جميع القوانين والقرارات التى صدرت فى المدينة منذ تولى أول امبراطور

---

(١٢) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٦٩.

(13) Runciman, op. cit., p. 184.

وراجع أيضاً: إدوارد جيبون، الإمبراطورية الرومانيه وسقوطها، الجزء الأول، ترجمه محمد على أبو درة، القاهرة، ص ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

(*) Eudocia تعنى الرضا باللغه اليونانية القديمة.

مسيحى عليها وتعد هذه الموسوعه بداية لإزدهار الدراسات التشريعية وتطورها فى القسطنطينيه.

الرابع: عقد المجمع المسكونى الثالث فى مدينة افسوس عام ٤٣٣م لحسم الخلاف بين بطريرك القسطنطينية الأريوسى نسطوريوس وبطريرك الاسكندرية المنوفيزى كيرليس وانتهى الأمر بنفى الأول إلى صعيد مصر بعد أن نجح كيرليس فى كسب تأييد روما ورهبان الشرق[١٤].

الإمبراطور ماركيانوس Marcianus ٤٥٠ - ٤٥٧م:

– اثبت أنه رجل خبير بشئون الإدارة واوقف دفع الجزية السنوية للهون والتى كان اتيلا قد فرضها فى عهد ثيودسيوس الثانى.

– تصالح مع القوط الشرقيين وسمح لهم بأن يستوطنوا اقليم بانونيا فى البلقان على أن يكونوا Foederati مع الامبراطورية الشرقية.

– فى عهده عقد المجتمع المسكونى الرابع فى مدينة خلقيدونيه عام ٤٥١م وكان من أهم قراراته ان يلى بطريرك القسطنطينيه بطريرك روما فى المكانة وان تصبح كنيسة القسطنطينية على قدم المساواة مع كنيسة روما.

الإمبراطور ليون ٤٥٧ - ٥١٨م:

بوفاه ماركيانوس تنتهى اسرة ثيودسيوس وينتقل الحكم إلى أسرة جديدة هى أسرة Leon وشملت خمس اباطره هم:

– ليون الأول.

– ليون الثانى.

– زينون.

---

(١٤) ليلى عبد الجواد، المؤرخ المصرى، العدد الرابع، ص ١٩٦ – ١٩٧.

– باسيليكوس.

– انسطاسيوس الأول.

١- ليون الأول ٤٥٧ - ٤٧٤م:

– كان ضابطاً فى الجيش الإمبراطور وينتمى إلى اقليم داشيا واختير لتولى العرش بعد وفاة ماركيانوس نظراً لكفاءته، وقد سانده أحد قادة الجيش ويدعى Asper «آسبر» وكان قوطى، وقد إزداد إنضمام القوط لجيوش الإمبراطورية الرومانية الشرقية وسرعان ما أصبح القادة العسكريون القوط هم صناع القرار.

– استعان بالقبائل الايسوريه التى تسكن جنوب الاناضول والتى اشتهرت بحبها للقتال ليخفف من قبضة القوط من اتباع Asper ولكنه لم يقتصر على ذلك بل شجع الرومان على دخول الجيش واحتكار المناصب القياديه فيه.

٢- ليون الثاني ٤٧٣ -٤٧٤م:

هو حفيد ليون الأول وقد اختاره لتولى العرش كوريث وشريك له فى الحكم وقد اختار ليون الثانى اباه زينون امبراطور مشاركاً ونظراً لأنه لم يعش طويلاً فتولى زينون الايسورى العرش.

٣- زينون ٤٧٤ - ٤٩١م:

– شهد عهده كفاح ضد الثوار من القوط المتعاهدين الذين استقلوا بإقليم تراكيا وكونوا لأنفسهم مملكه هناك، كما واجهه ثوره باسيليكوس صهر ليون الأول على تزايد نفوذ الايسوريين والذى نجح فى الاستيلاء على القسطنطينيه واعلان نفسه امبراطوراً عام ٤٧٥ ولكنه لم يستمر فى العرش سوى عام واحد بسبب جموح أفكاره الدينيه التى قلبت عليه مؤيدوه مما سهل على زينون دخول القسطنطينيه واعدامه.

– اثناء الصراع بين باسيليكوس وزينون انقسم القوط إلى فريقين احدهما مع باسيليكوس والآخر مع زينون، ولكن بعد وفاه باسيليكوس أصبح القوط ضد زينون ولكن انتهت ا لأزمة برحيل القوط إلى الغرب بناء على طلب زعيمهم ثيودريك وبذلك نجا القسم الشرقى من خطر الجرمان وفى ٤٩١م توفى زينون(١٥).

٤ - الإمبراطور انسطاسيوس ٤٩١ - ٥١٨م:

– بعد نجاة الإمبراطورية الشرقية من خطر القوط برز خطر جديد من جهة الدانوب مصدره هو قبائل السلاف والبلغار، كما واجه أيضاً حملة فارسيه قام بها الملك الساسانى ٥٠٢م لاحتلال ولاية ارمينيا وكذلك بلاد ما بين النهرين وانتهى الأمر بهزيمتهم على يد القائد الرومانى Celer كلير (السريع).

– الغى ضريبة الذهب والفضة ٤٩٨ Chrysargyrum، واعفى رجال الإدارة القروية والمحليه من مسئولية جمع الضرائب من الأقاليم.

– من أهم ملامح عصر هذا الامبراطور تزايد اخلاقيات الديانه المسيحيه بتحريم الاحتفال ببعض الأعياد الوثنيه وكذلك مباريات الصر اع بين المصارعين والوحوش المفترسة، وبسبب تعاطفه مع النصارى المونوفيزيين واجه ثورات عديده سواء فى العاصمة القسطنطينيه أو فى باقى مدن الإمبراطورية.

– وبالرغم من تصديه لحركات الثورة السابقة إلا أن ويتاليانوس قائد البلغار استغل موجه السخط العام على الإمبراطور وقام بانقلاب ٥١٣م وأصبح يهدد القسطنطينية ولكنه انسحب بعد ان دفع له الإمبراطور خمسه آلاف رطل

---

(١٥) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٧٤.

من الذهب ولكنه عاد مرة أخرى فى ٥١٥م وفى هذه المرة تمكن الإمبراطور من سحقه(١٦).

- وقد توفى انسطاسيوس فى ٥١٨م تاركاً خزانه الإمبراطوريه عامرة بالذهب مما دفع من تولى بعده بالقيام بحركه عمران واحياء للتراث والثقافة والفنون خاصة فى عصر جيستنيان.

هكذا نسى ا لأباطره الذين راودهم حلم توحيد الامبراطورية هذا الهدف واكتفى جميعهم بدعم الإمبراطورية الشرقيه بعد سقوط نظيرتها الغربيه - وذلك بانقاذها من زحف البرابره.

فقد كانت قبائل القوط أول من زحف على الإمبراطوريه الشرقيه عندما احتلوا جنوب روسيا ولكن سرعان ما أصبحوا ضحية لغزو الهون الآسيويين ولم ينقذ الإمبراطوريه من خطرهم سوى موت زعيمهم اتيلا عام ٤٥٤م وبعد اختفاء قبائل الهون عاود القوط تهديد الإمبراطورية الشرقيه من جديد والذين انقسموا كما سبقت الاشاره إلى شرقيين وغربيين.

والجدير بالذكر أن القوط الشرقيين أنفسهم فى ٣٧٥م تعرضوا لخطر الهون وظلوا تحت سيطرتهم حتى عام ٤٥٢م عندما توفى اتيلا، وبدز القوط الشرقيون فى التحرر وسببوا ازعاجاً للإمبراطورية الشرقية.

ولقد اتخذت غزوه القوط الشرقيين لايطاليا شكل هجرة عامة، إذا اصطحبوا معهم نساءهم وما شيتهم وكان زعيمهم ثيودريك هو أعظم شخصية سياسيه فى عصره، فقد كان الشخص الوحيد الذى اجتمعت فيه مظاهر العصور القديمة والوسطى. إذ دخل الإمبراطورية صديقا لا عدوا واعتبره المعاصرون حاكماً رومانياً وسموه ثيودريك العظيم، وتمتعت ايطاليا فى عهده بحكومة قوية سارت وفق الأساليب الرومانية. وامتدت فترة حكمه من ٤٨٩

(١٦) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ص ٧٦ - ٧٧.

حتى ٥٢٦، واتخذ من قصره فى رافنا مركزاً لحكومة بيروقراطية تشبه النظام الإمبراطورى القديم، كما احتفظ بالسيناتوس وجعل المناصب المدنيه الكبرى من نصيب النبلاء وطبقه السيناتوس، وقد خالف ثيودريك بقية الچرمان فى أنه حافظ على المبدأ الرومانى القديم الذى يقضى بالفصل بين الوظائف المدنية والحربية مما زاد الحقد المتبادل بين الموظفين المدنيين وقادة القوط العسكريين، وقد عنى ثيودريك أيضاً بالمحافظة على آثار الحضارة الرومانية وجمع القوانين الرومانية معتمداً على مجموعة ثيودسيوس.

ورغم نفوذ ثيودريك الواسع إلا أن البناء الذى اقامه لم يقدر له البقاء طويلاً بسبب موقف الإمبراطورية البيزنطية التى استعادت سطوتها على عهد جيستنيان وبسبب الخلافات المذهبية بين القوط الشرقيين واهالى ايطاليا الأصليين وكلها عوامل تجمعت لتقضى على أمال ثيودريك فى إقامة مملكه قوطية فى ايطاليا[١٧].

عصر أسرة جيستنيان ٥١٨ - ٦١٠م:

حكمت أسرة جيستنيان حوالى ٩٢ عاماً وكان عصرها هو أزهى عصور الإمبراطورية الشرقية ثقافياً وحضارياً وتبدأ بحكم جوستين الأول وانتهت بتولى فوقاس عرش الإمبراطورية فى عام ٦١٠م لتتولى بعدها اسرة جديدة هى أسرة هرقل.

١- جوستين الأول ٥١٨ - ٥٢٧م:

تولى الحكم بعد وفاة انسطاسيوس وذلك عام ٥١٨، وكان فى الأصل فلاحاً من الليريا وانضم الى حياة الجنديه وبفل كفاءته القتاليه وذكائه وصل إلى أعلى المناصب فى الجيش الإمبراطورى حتى يقال أنه عين فى منصب قائد قوات الحرس الإمبراطورى.

---

(١٧) سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص ص ٩٢ – ٩٣.

– كان شديد التمسك بالعقيدة الارثوذوكسيه الرومانيه التى تقوم على المذهب الآريوسى وكان كارهاً للمونوفيزية وربما اختير امبراطوراً لهذا السبب وبعد توليه العرش ظهر خطر ضابط كبير كان زعيماً للمعارضة الارثوذوكسيه ويدعى ويتاليانوس وكان معارضاً فى السابق للإمبراطور المونوفيزى انسطاسيوس فدبر جستين مؤامرة تخلص بها منه وذلك بمساعدة ابن أخيه جيستنيان الذى عينه جوستين الأول خليفه له وشريكا فى الحكم عرفاناً منه بالجميل.

– كانت هناك اسباباً أخرى شجعت جوستين على اختيار جيستنيان ليصبح خليفه له منها أنه كان ذو روح مؤثره على عصر جوستين الأول نفسه وذلك لأن جوستين لم يكن قد تلقى تعليماً كافياً، ومنها ايضاً أنه كان شديد التعلق بالتعليم والثقافة وظل يدرس حتى أصبح عالماً ذو فكر واضح، كما ان جيستنيان قد أثبت ولاءه وكفاءته وقدرته على انتقاء العناصر الصالحة والأمنية للاستعانة بها، هذا بالاضافه إلى أنه قد وقف إلى جانبه وساعده على التخلص من وتياليانوس.

– مات جوستين الأول فى ٥٢٧ وترك الإمبراطور لجوستنيان الذى قاد الإمبراطورية لأزهى عصورها وكان من الأباطرة القلائل الذين لقبهم المؤرخون بلقب الكبير مثله فى ذلك مثل قنسطنطين وثيودسيوس[١٨].

جيستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م:

– ما ان جلس جيستنيان على العرش حتى شرع فى مهمة توحيد الإمبراطورية القديمة بل وجعل ذلك أهم أهدافه السياسية وكان حلم إعادة الإمبراطورية الغربية محال تحقيقه فضلاً عن ان الخلافات الدينية بين كنيسة

---

(١٨) سيد أحمد الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٨٠.

القسطنطينية وروما زادت فى شقه الخلاف وحالت دون توحيد الشطرين الشرقى والغربى.

- وعلى الرغم من ان البرابرة من القوط والوندال لم يفكروا أبداً فى السير شرقاً لغزو القسطنطينية إلا أن جيستنيان قد أرسل قوات عسكرية إلى الشطر الغربى لمحاربتهم.

- وعلى النقيض من موقف القوط والوندال جاء موقف الدولة الساسانيه فى المشرق فالفرس كانوا دائماً يتوقون لتدمير القسطنطينيه والاستيلاء على أراضيها سعيا منهم وراء احياء امبراطورية قورش القديمة التى قضى عليها الاسكندر الأكبر، والأكثر من ذلك فقد دعى ملوك الفرس الساسان إلى طرد الرومان من بلاد الرافدين والشام على اعتبار أنها كانت جزء من امبراطوريتهم التى سلبها الاغريق ومن بعدهم الرومان.

- وعلى الرغم من خطورة تهديد دولة الفرس الساسانيين على الجزء الشرقى من الإمبراطورية إلا أن الإمبراطور جيستنيان فضل مساعدة الإمبراطورية الغربية ومحاربة القوط والوندال وأجل حربه مع الفرس وكان يهدف بذلك إلى ضم الشطر الغربى إليه والسير فى وحدة واحدة نحو الدولة الساسانيه ليقضى عليها كما فعل الاسكندر الأكبر مع الدولة الفارسيه الاخمينيه.

- فى عهد جيستنيان برز قائدان شهيران وهما بيليساريوس ونرسيس، ولم يتردد جيستنيان فى تعيين بيليساريوس على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً بهدف طرد الوندال من شمال افريقيا وقد تمكن بالفعل هذا القائد فى استعادة شمال افريقيا وعاد إلى القسطنطينيه يجر خلف جواده ملك الوندال «جلير» كأسير.

كما اتجه بيليساريوس فى ٥٣٥م نحو القوط الشرقيين فى ايطاليا ونجح فى استعادة صقلية ودالماشيا وتمكن من استعادة روما ذاتها ودخولها إلا أنه فوجئ أنه محاصراً بداخلها وتمكن من الإفلات منها بعد خسارة كبيرة.

وقد اتجه بيليساريوس بعد هذه النكسه إلى شمال ايطاليا وحاصر رافنا عاصمة القوط الشرقيين حيث ظل محاصرها خمس سنوات وسلم ملك القوط فيتيجيس Vetiges نفسه لبليساريوس وعاد إلى القسطنطينيه وفى ذيل موكبه ملك القوط الشرقين الأسير فيتيجيس[١٩].

وردت الأنباء إلى القسطنطينيه بأن القوط الشرقيون ثاروا ضد الحامية الرومانية التابعه فى ايطاليا، وان القوط وحدوا جبهتهم ضد بليساريوس وفى نفس الوقت كانت الهدنه التى ابرمها جيستنيان مع الفرس على وشك الانتهاء ورفض خسرو كسرى الأول مدها إذ اراد استغلال فرصة ثورة القوط فى الغرب والفرس فى الشرق ليضع الرومان فى موقف حرج.

الفرس يخططون لغزو القسطنطينية:

انتهز الملك الفارسى خسرو فرصه انشغال بليساريوس فى حروبه مع القوط وتمكن من الاستيلاء على انطاكيه ثم اتجه نحو بحر مرمرة ووصل إلى سواحله وتأهب لعبوره حيث تقع القسطنطينيه على الجانب الآخر، فما كان من جستنيان إلا أن عرض على الملك الفارسى شراء هدنه لمدة خمس سنوات مقابل مبلغ مالى كبير يدفع سنوياً وبالفعل نال جيتسنيان ما كان يرمى اليه وما أن فرغ حتى وجه طاقته من جديد نحو القوط فى ايطاليا.

- تعرض بيليساريوس لعده هزائم متتاليه على يد القوط فاعفاه جيتسنيان من قيادة الحملة ووكل بها إلى نرسيس الذى كان من سلاله فارسية، وقد نجح

---

(١٩) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ٨٤.

فى السيطرة على الموقف المتدهور ولكنه لم يسيطر على ايطاليا قبل عام ٥٥٥م [٢٠].

– لقد حصل جبيستنيان على رضاء نفسي داخلى بعد ما تحقق له حلمه بانقاذ ما يمكن انقاذه من ممتلكات الإمبراطورية الرومانية الغربية وظل يهادن الفرس كلما حاولوا غزو القسطنطينيه الأمرالذى زاد من قوة الدولة الساسانيه فى الولايات الشرقية على حساب الإمبراطورية الرومانية ذاتها هناك.

– عموماً يلاحظ أن نجاح جيستنيان يعزو إلى المجال الحضارى والثقافى دون المجالين العسكرى والسياسى.

القسطنطينية في عهد جيستنيان:

شهدت القسطنطينيه فى عهد جيتسنيان رواج عمرانى وثقافى وتلك الإنجازات التى قام بها الإمبراطور أدت إلى مولد الحضارة الرومانية الجديد وقد قام جيستنيان بحركه تطوير الفنون فى القسطنطينيه بمساعدة ثيودورا الجميلة زوجته.

– لم تعد مدينة صغيرة بل تعدت حدودها القديمة واتسعت مما أضطر الامبراطور ثيودسيوس الثانى ٤٠٨ –٤٥٠م إلى توسيع قطر المدينة وبفضل أسوار المدينة المدعمه بالإبراج والقلاع امكن حماية القسطنطينيه لما يقرب من الف عام[٢١] وقد حرص الاباطره الواحد تلو الأخر على تدعيمها سواء فى البر أو البحر[٢٢].

---

(٢٠) السيد الباز العرينى، مصر البيزنطيه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٦١.

(٢١) برايس ف.ن، «القسطنطينيه فى عصر جيستنيان» موسوعة تاريخ العالم، ترجمة لفيف من الاساتذة، المجلد الرابع، ص ص ٣١٤ – ٣١٥.

(٢٢) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١٥٠، ابن رسته، الاعلاق النفسيه، ص ١٣٠، المسعودى: مروج الذهب، الجزء الأول، ص ٣٢٠.

وقد تزايد عدد سكان القسطنطينيه زيادة فاقت اعداد سكان مدينة روما ذاتها وأصبح فى قلب العاصمة حى تجارى كبير وأصبح فيها حى آخر لأصحاب الصناعات والحرف وكانت حوانيتهم فى هذا الحى تعرض مصنوعات نادره ونفيسه، وقد بلغت حركة الرواج التجارى قمتها وكان ميناء القرن الذهبى فى ذلك الوقت من أعظم موانئ العالم، وكان كثير من التجار شديدى الثراء والنفوذ، وكلما زاد الاغنياء غنى، زاد المعدمون فقراً فقد تزايد عددهم فى القسطنطينيه وساءت أحوالهم الاقتصادية.

وكانت القسطنطينية مقسمة إلى أحياء Demes عددها أربعه، يميز بيوت كل منها لون خاص، ويحمل ابناء الحى شارة صغيرة بذلك اللون على اكتافهم وكان سكان الأحياء الأربعه يعرفون باسم ألوان أحيائهم المميزة مثل البيض والحمر والزرق والخضر.

وفى عهد جيستنيان اندمجت بعض الأحياء فى بعضها لتصبح اثنين بدلاً من أربعه هما الحى الأزرق (الزرق)، الحى الأخضر (الخضر) وكان بينهما تنافس رياضى وسياسى، وقد كانوا أهم مشجعى فرقهم فى حال وجود سباق رسمى داخل ملعب السباق الكبير فى المدينة[٢٣].

وفى المجال الترفيهى كان ملعب سباق الخيول يقوم بدور المسرح والسرك، فقد كان لاعبو الاكروبات والراقصون والمغنون ومروضوا الوحوش المفترسة يقدمون عروضهم للجمهور فيه، وكانت المباريات الرياضية وسباقات العربات التى كانت تنظم فى ملعب القسطنطينيه هى أهم ملامح الحياة الترفيهيه فى المدينة وكان فى العادة يشهدها الامبراطور وهو الذى كان يعطى اشارة بدء الشوط الأول للسباق.

---

(٢٣) عن الزرق والخضر راجع المقال القيم لـ.وسام عبد العزيز فرج: «اضواء على مجتمع القسطنطينيه، دراسة فى التاريخ الاجتماعى لمدينة قسطنطنين حتى نهاية القرن الحادى عشر»، دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٠.

– وفى الواقع فإن جذور الاحتفالات ترجع إلى بعض المهرجانات الاغريقيه والرومانية فى العصور الوثنية، وجرى لها تعديلاً طفيفاً حتى تتماشى مع الفكر الدينى الكنسى.

ثيودورا وأثرها عليه:

عندما كان جيستنيان فى أواخر الثلاثينيات عمره وقع فى حب فتاة تعمل فى احدى الفرق الاستعراضية ومن طبقه اجتماعية متواضعة. لكنها كانت ذات جمال آخاذ وكانت تدعى ثيودورا η'θεοδϖρα أى هبه الأله، وكانت فى مطلع شبابها تظهر على ساحة ملعب السباق كراقصة وأدت بعض رقصاتها على مسرح الاسكندرية وعندما التقى بها جيستنيان وقع فى غرامها وكانت فى البداية حباً بلا أمل لأنه طبقاً لقوانين الدولة الصارمة كان محرماً على أبناء الطبقه النبيله ورجال مجلس السيناتوس الزواج بالممثلات والراقصات، لكن جيستنيان اصر على الاقتران بها رغم أنف القانون وبعد تعديلات فيه تزوج بها وبعدها وصل جيستنيان إلى العرض ووجدت ثيودرا نفسها وقد أصبحت إمبراطورة تتربع على عرش الرومان. ولعبت دوراً هاماً فى تشجيع زوجها جيستنيان على الصمود فى وجه ثوره النصر Nika والتى قامت باتحاد الزرق والخضر وكانت اعنف الثورات التى شهدتها القسطنطينية والتى قامت نتيجة فرض جيستنيان ضرائب باهظه على الشعب من أجل توفير نفقات اعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية ونفقات استعادة ولاية شمال افريقيه وتحرير ايطاليا من البرابرة.

– لقد اعاد جيستنيان تعمير القسطنطينيه بعد ثورة النيقا وكان أكثر ما أثر فيه احتراق كنيسة ايا صوفيا ولهذا اتخذ قراره بإعادة بنائها بطريقة أكثر جمالاً وروعه، وقد أصر جيتسنيان على اختيار نظام «المعلقات» فى الجوانب لتقوم عليها قبه الكنيسة لأنه رأى فى ذلك أكثر فائدة من الناحية العملية[٢٤].

---

(٢٤) توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة – ٢ – العصور المتوسطه والأوروبية والاسلامية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ص ٢٣، ٢٥.

وقد صممت كنيسة اياصوفيا على شكل شبه مستطيل، طوله ٧٧م وعرضه ٧١,٧ متراً، وفي وسطه صحن بيضاوى كبير، تعلوه قبه ضخمه قطرها ٣٥م وترتفع عن سطح الأرض بمقدار ٥٨م فتبدو كما لو كانت معلقه فى السماء بسلسله ويحيط بالكنيسة فناء واسع فى وسطه مصطبة كبيره من الرخام، وترتكز القبه على عقود أربعه وهذه العقود ترتكز على أربعه اكتاف كبيره، ويحيط بالعقدين الشمالى والجنوبى جدار فتحت فيه نافذتان فوق طابقين من الأعمدة، أما العقدان الشرقى والغربى فكانا يرتكزان على انصاف قباب تدعم القبه الوسطى(٢٥).

جامعة القسطنطينية والبحث العلمي:

كان جيستنيان منذ نعومة أظافره محباً للقراءة والاضطلاع ووجد متعه القراءة فى المؤلفات الكلاسيكيه الأغريقيه، ونتج عن ذلك احياء للتراث الاغريقى خاصة فى الفنون واللغة التى ظهر تأثيرها واضحاً فى الموضوعات الفنيه الدينوية إذ أصبح الرومان يزينون الاطباق الفضية برسومات مستقاه من الاساطير الاغريقية وخاصة مناظر الحياة الريفيه والرعوية التى تذكرنا بشعر الاسكندرية فى العصر الهللينستى(٢٦).

وبالرغم من أن جيستنيان كان ذواقاً للجمال والفن وعاشقاً للتراث والثقافة الاغريقية إلا أنه أمر باغلاق جامعة أثينة العتيقة عام ٥٢٩م لأن بعض المناهج بها كانت تقوم على الفكر الوثنى، وقد ركز جيستنيان همه على البحث العلمى، وكان قنسطنطين الكبير قد أسس فى القسطنطينيه أكاديمية لتكون نواة

---

(٢٥) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٩٧ – ١٠١، حيث أورد تفصيلاً شيقاً لطراز الكنيسة وأساليب زينتها داخلياً.

(٢٦) فيليب إميل لجران: شعر الإسكندرية، ترجمة د. محمد صقر خفاجه، مكتبه النهضه المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١١٠، وراجع أيضاً محمد حمدى ابراهيم، الأدب السكندرى دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٢٨٠ – ٢٨٣.

للأبحاث العلمية، كما منح الإمبراطور ثيودسيوس هذه الأكاديمية وضع الجامعة عام ٤٢٥م، أما جيستنيان فقد حرص على تشجيع أقسام هذه الجامعة سواء اللاهوتية أو الدنيوية على البحث والتأليف، ولم يكن الرومان فى ذلك الوقت يعرفون فن الطباعة، فقد كانت كل المؤلفات فى شكل مخطوطات أو منسوخات لأعمال قديمه، وكان كل ناسخ يقوم بنسخ عمل أما نقلاً عن الأصل أو من نسخه معتمدة، ونتيجة لذلك فقد كان التعليم العالى باهظ التكاليف والمخطوطات نادرة وثمينة ولا يقتنيها إلا القادرون.

موسوعة جيستنيان القانونية:

لفت نظر جيستنيان ان مواد القوانين تطبق أحياناً بطريقه خاطئه وان السبب فى ذلك هو أنها غير متاحة لرجال القانون فى شكل موسوعه، وأن بعض مواد القوانين أصبحت عقيمة وفى حاجة إلى تطوير وتعديل، وكان الإمبراطور ثيودسيوس الثانى قد أمر بجمع مواد القانون فى شكل موسوعه عرفت بأسم موسوعه ثيودسيوس القانونية Codex Theodosianus، غير ان بعض مواد القانون سقطت من هذه الموسوعة، وعلى ذلك أمر جيستنيان بتكليف نخبة من خيرة فقهاء القانون بجمع كافة مواد القوانين الرومانية فى مجلد واحد واستمرت اللجنة فى عملها أربعه عشر شهراً واصدرت مجلداً كبيراً عرف باسم موسوعة جبتسنيان Codex Justinianus التى أصبحت اساساً لقانوننا المعاصر[٢٧].

وقد تكونت موسوعة جيستنيان من أربعة مجموعات تحمل اسم جيستنيان هى:

١- مجموعة التشريعات Codex وصدرت عام ٥٣٤م وتحتوى على كل التشريعات القانونية Leges الصادرة فى الفترة من هادريان حتى جيستنيان، وتتكون من ١٢ كتاب.

---

(٢٧) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٨٩، حيث تتبع خطوات تطور القانون الرومانى منذ العصر الجمهورى حتى الإمبراطورى، ص ص ١٨٩ - ١٩٤.

٢- المتون Institutiones صدرت عام ٥٣٣ وتحتوى على المبادئ الأساسيه Elementa وقد أخذت هذه المتون المادة الأساسيه من الأعمال القانونية لفقهاء العصر الذهبى.

٣- الموسوعة Digesta أو ما عرفت باسم الباندكتاى Pandectaeوصدرت عام ٥٣٣م وسميت بالموسوعة لأنها احتوت على ما يقرب من تسعة آلاف نص قانونى مع عرض منظم للشروح الفقهيه فى القانون المدنى والفتاوى القانونية، وتعد هذه الموسوعه بمثابة مختصر لكل الفقه القانونى الرومانى وتقع فى خمسين كتاباً كل كتاب ينقسم إلى أبواب وفقرات وبنود، وكل فقرة أو بند يحمل اسم مؤلفه الأصلى وأسم الكتاب الذى تم الاقتباس منه(٢٨).

٤- المراسيم المستحدثة Novellae وتضم التشريعات التى أصدرها جيستنيان نفسه والتى صدر أغلبها باللغة اليونانية فى الفترة ما بين ٥٣٤ - ١٥٥٦م وقد أصدر جيستنيان مرسوماً امبراطورياً يقضى بمنع التعليق على هذه المجموعات خشيه التحريف فيها أو مسخها إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الشروح أهمها شروح ثيوفيلوس على المتون Paraphrasis Institutionum Theophili وقد صدرت باللغه اليونانية(٢٩) وفى أواخر القرن التاسع اصدر الإمبراطور ليو السادس مجموعة قانونية سميت «المجموعة البازيليكيه Basilica» أى القوانين الملكية، إلا أنها لم تخرج عن مجموعات جيستنيان القانونية مع بعض التنقيح والتنسيق وأحياناً بعض التعديلات البسيطه(٣٠).

---

(٢٨) عبد اللطيف أحمد على، مصادر التاريخ الرومانى، بيروت، ١٩٧٠، ص ص ١٠٠-١٠٢.

(٢٩) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(30) Peter Stien, Roman Law in European History, Cambridge University Press, 1999, p. 38 ff.

وبفضل موسوعة جيستنيان القانونية أصبحت القوانين تطبق بطريقة واحدة فى جميع انحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبح الناس أكثر علماً بروح القوانين وادراكاً بمواده ووعياً بحقوقهم، كما تركت أثراً بالغاً فى تاريخ التشريع الأوروبى ولا تزال هذه الموسوعة تدرس فى كليات الحقوق فى جامعات العالم إلى الآن(٣١).

عموماً وبفضل سياسة جيستنيان ازدهرت الحركة التجارية فى القسطنطينية وأصبحت القسطنطينية واحده من أهم مراكز التجارة بين الشرق والغرب ولما كانت التجارة العالميه ترتبط بأحوال السياسه، فقد وضع جيستنيان التجارة تحت وصاية الدولة لتضفى عليها الرعايه والتشجيع، وكانت علاقة الرومان مع الدولة الساسانيه هى العامل المتحكم فى مقياس تجارة الحرير وذلك لأن طريق الحرير كان يمر بالدولة الفارسية التى كانت تفرض ضرائب باهظة على مروره مما يضاعف من التكاليف، ولما كان الفرس يسيطرون على الطريق البحرى بين الخليج العربى والهند وسيلان، فقد حاول جيستنيان إحكام السيطرة على تجارة البحر الأحمر خاصة وان مصر التى تتحكم فى منافذه الشمالية، كانت ولاية رومانية ومنفذاً لتصدير البضائع، ولكى يفعل ذلك قوى علاقاته مع دولة أكسوم الحبشيه وجعل اساس هذه العلاقة النفوذ الدينى فقد كانت دوله أكسوم دولة مسيحية، فزاد فى الروابط بين الرومان والأحباش وأرسل اليهم المبشرين وقوى الأمل عندهم لنشر المسيحية فى جنوب الجزيرة العربية تمهيداً لاحتلالها وللحد من حركة التهديد التى كانت تنتشر بين العرب على أيدى أحبار اليهود(٣٢).

---

(31) Collinet P., Etudes Sur Le Droit De Justinien, T.I, 1912, "Le Caractere De l'oeuvre De Justinien".

تعريب عبد العزيز فهمى، القاهرة، ١٩٤٦.

(٣٢) اسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهليه وصدر الاسلام، مطبعة الاعتماد بمصر، ١٩٢٧، ص ص ١٥ - ٢٠.

المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية:

في عام ٥٥٣م عقد جيستنيان مجمعاً مسكونياً في القسطنطينيه لتدارس أمور العقيدة والكنيسة وهو ثان مجمع يعقد بالقسطنطينية وكان من أهم الموضوعات التي بحث فيها ذلك المجمع مشكله اتباع أوريجينيس الذي درس الأفلاطونيه الحديثة وتعرض للاضطهاد والتعذيب في عصور الأباطره الرومان سبتميوس سيفيروس وابنه كاركلا وديكيوس وقد تأثرت آرائه بديانات الهند التي كانت قد بأت تتسلل عبر فارس والرافدين إلى الشام ومصر وذلك خلال القرن الثاني الميلادي خلال عصر الآباطره الصالحين، عصر التسامح والتقاء الحضارات والديانات(٣٣).

وفي عام ٥٤٨م ماتت ثيودورا زوجة جستنيان وملهمته فخلد ذكراها ببناء كنيسة لها في دير سانت كاترين في صحراء سيناء وقد عاش بعدها سبع عشرة سنه وكان محظوظاً لأنه غادر الدنيا في عام ٥٦٥م قبل ان يرى الامبراطورية التي أرهق نفسه في بنائها وترميمها وهي تتهاوى مرة أخرى، وقبل أن يرى اللومبارديين يجتاحون ايطاليا، وقبائل البلغار والسلاف تجتاح البلقان، ويقيمون دويلات صغيرة(٣٤).

---

(٣٣) محمد اسماعيل الندوى، الهند وحضارتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م ص ١١٠ وما بعدها، وراجع أيضاً ول ديورانت، قصة الحضارة: الهند وجيرانها، المجلد الأول الجزء الثالث، ترجمة زكي نجيب محمود ص ص ٢١٦ – ٢٢٠، وعن الافلاطونيه المحدثه التي اسسها أفلوطين يقول مجدى السيد أحمد كيلاني في مؤلفه «المدارس الفلسفية المتأخرة»، ان افلوطين كان يعرف المسيحية لكنه لزم الصمت بخصوصها ولم يبدى رأيا فيها، وأنه لم يصبح مسيحياً أبداً رغم إيمانه بمثل عليا أخلاقية وروحيه ليست فقط في مذهبه الفلسفي بل أيضاً في حياته الخاصة، ص ٤٥٩. راجع: مجدى السيد أحمد كيلاني، المدارس الفلسفية المتأخرة، المركز الاستشاري المصري للتدريب ونشر البحوث العلميه، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، حيث تحدث بأسهاب عن الامبراطورية المحدثه إبان افلوطين وبعد وفاته.

(٣٤) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربي، ص١١١.

خلفاء جيستنيان:

نتيجة الانفاق السخى على العمران والثقافة والفنون من قبل جيستنيان، بدأت بوادر الاعياء الاقتصادى تظهر على الإمبراطورية بعد رحيله وقد واكب هذا الاعياء الاقتصادى عودة البرابره إلى الاغارة على حدود إيطاليا كما بدأت جبهة الشرق الأدنى تشتعل من جديد نتيجة لنشاط الدولة الساسانية وقد دفع خلفاء جيستنيان وهم جستين الثانى ٥٦٥ – ٥٧٨م، وموريس ٥٨٢ – ٦٠٢م، وفوقاس ٦٠٢ – ٦١٠م الثمن باهظاً.

جوستين الثاني ٥٦٥ - ٥٧٨م:

تولى جوستين العرش بعد وفاة جيستنيان وكان يتيه غروراً ويحلم بالعظمه وبالمجد للإمبراطورية وقد كلفه ابتعاده عن الواقع كثيراً وقد تمثل هذا الثمن فى اشتعال الجبهة بين الرومان والفرس من جديد إذ رفض جوستين ان تواصل الامبراطورية دفع الجزية السنوية للفرس مقابل السلام واخذ يدعم وجود الرومان فى ارمينيا مخالفاً بذلك للاتفاق السابق مع الفرس وقد تحالف الرومان مع قبائل الترك هناك لضرب إقتصاديات الدولة الفارسيه بحرمانها من المكوس والضرائب التى كانت تفرضها على مرور تجارة الحرير القادمة من الصين.

إزاء تصرفات جوستين اجتاح الفرس الحدود الشرقية وهزموا جيش الإمبراطورية واستولى على قلعة «دارا» وفى الوقت ذاته اقتحمت قبائل الآفار البربرية حدود الإمبراطورية الشمالية، كما اجتاح اللومبارديون ٥٧٠م ايطاليا وفى منطقة البلقان اليونانية زاد تسلل السلاف.

أصيب جوستين بلوثه عقليه إزاء كل هذه المخاطر وتدهورت صحته وهنا تدخلت زوجته الإمبراطوره صوفيا ودفعت ٤٥ ألف دينار ذهبى للفرس مقابل عودة السلام. واقترحت على زوجها ان يتبنى أحد كبار القواد وهو طيباريوس

ليكون ولياً للعهد وتم ذلك فى ٥٧٤م وهكذا أصبح طيباريوس الأول (تيبريوس الأول).

تيبريوس الأول ٥٧٨ - ٥٨٢م:

كان واقعياً فى سياسته الخارجية واستطاع أن يكسب رضاء الطبقات الدنيا والوسطى من شعبه ورفع رواتب الجند واسدل الستار على فكرة توحيد الإمبراطورية الرومانية ونجده يترك ايطاليا للومبارديون، ولم يعد للرومان أى ممتلكات هناك سوى سواحل ايطاليا الجنوبية.

لقد رأى أن الخطر الأوحد الذى كان يهدد الإمبراطورية هو الدولة الساسانيه. وهكذا يمكن ان تتلخص سياسة تيبريوس الأول فى أنه ضحى بالغرب من أجل نفاذ الشرق.

وبالطبع لم يهدف ابداً إلى غزو بلاد الفرس وانما كان يهدف الى عقد صلح مشرف معهم ودارت الحرب سجالاً معهم ولكن تحت ضغط هجوم الصقالبة على الاقاليم الرومانية الشمالية، أضطر إلى عقد صلح مهين مع الفرس نظير اتاوه كبيره لهم.

اختار بعدها زوج ابنته موريس (موريق Mauricius)[٣٥] ليكون خليفته بعد وفاته.

- موريق ٥٨٢ - ٦٠٢م:

تركزت سياسته فى شراء السلام من الفرس بأى ثمن لكى يتفرغ لأنقاذ البلقان وآسيا الصغرى من الآفار والسلاف، وقد تمكن بالفعل من السيطرة على جبهة الدانوب عام ٦٠٢م.

- (٣٥) المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن على): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الجزء الأول، بيروت، ص ١١٠ حيث يسميه مورق.

أتخذ تدابير حازمة لتقوية الهيكل الدفاعى للإمبراطورية، وجعل الولايات تعتمد على ذاتها فى الدفاع عن نفسها لهذا جعل السلطة الإدارية فى الولايات فى ايدى العسكريين للتعامل مع أى خطر يطرأ وهكذا استطاع أن ينقذ ما تبقى للإمبراطورية من ممتلكات فى الغرب وكون منهما ولايتين إحدهما راڤنا والأخرى قرطاجه وجعل على رأس كل ولاية حاكم عسكرى بدرجة Archon إرخون يجمع بين يديه السلطتين المدنية والعسكرية.

– اثارت سياسة ضغط النفقات وتخفيض رواتب الجند سخط الجنود والشعب عليه خاصة قوات جبهة الدانوب، واستغل قائد قواد هذه الجبهه ويدعى فوكاس غضب الجنود ليحقق حلمه فى الجلوس على عرش الإمبراطورية فزحف بقواته على القسطنطينيه، وهاجم القصر الإمبراطورى ونودى به امبراطوراً بعد قتله للإمبراطور واسرته.

- فوكاس Phacas٦٠٢ - ٦١٠م:

احدث اغتصابه للعرش انقساماً كبيراً فى الداخل والخارج إذ فى حين اعلن البابا جريجوريوس الكبير من مقره فى روما مباركته لانقلاب فوكاس اعلن كسرى الثانى ملك فارس عدم إعترافه بالمغتصب بل وأنه سوف ينتقم لحليفه موريق.

– كان حكم فوكاس بمثابه الكابوس الذى جثم على صدر الإمبراطورية بغلظه إذ كان يجهل اساليب السياسة والحكم ولا يهمه سوى الاحتفاظ بالعرش.

– ولم يكد يجلس على العرش حتى اجتاحت الإمبراطورية ثورة عارمة بدأت فى القسطنطينية كثورة طبقية اجتماعية ضد الأرستقراطية العسكرية والتى كان يؤيدها الزرق وقادتها الطبقة الوسطى من فلاحين وحرفيين وصغار الجنود والذين كان يؤيدهم الخضر، وامتدت الثورة إلى الولايات فى مصر

والشام وآسيا الصغرى وتحولت إلى ثورة دينيه واجتماعية ضد أصحاب مذهب الطبيعتين التابعين لكنيسة القسطنطينية[٣٦].

وفى وسط هذه الفوضى العارمة، نفذ كسرى الثانى ما أعلنه، وزحف بقواته تجاه حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فاستولى على أرمينيا، وسقط فى يده حصن «دارا» وفى عام ٦٠٧م اجتاحت جيوشه الشام وعاثت فيها النهب، وعبرت جبال طوروس إلى آسيا الصغرى حيث وصلت إلى مدينة خلقدونيه المواجهة للقسطنطينية على الجانب الآسيوى للبسفور وزاد الطين بله انتشار وباء الطاعون فى القسطنطينية حيث قضى على شطر كبير من السكان وخرج الجياع يهتفون بسقوط فوكاس وأعلنت حاميه انطاكيه خروجها عن طاعته.

وأبحر على الفور هرقل ارخون قرطاجه إلى القسطنطينية ونجح بمساعدة كبار القادة ورجال الإدارة من احداث انقلاب صامت، عزل بمقتضاه فوقاس واعدمه واستقبل شعب القسطنطينية عام ٦١٠م هرقل بالترحيب وهتفوا به امبراطوراً لتشهد اسرته مرحلة تاريخية جديدة أهم ما ميزها كان ظهور الإسلام وبزوغ نجم العرب.

---

(٣٦) السيد الباز العرينى، مرجع سابق، ص ص ٣٧٦ – ٣٨٠.



آراء في سقوط الإمبراطورية الرومانية



الفصل السادس
آراء في سقوط الإمبراطورية الرومانية

رأينا خلال عرضنا السابق كيف ظهر النظام الإمبراطورى الرومانى وكيف نشأت الإمبراطورية ثم عرجنا إلى مسلسل تطور النظام الإمبراطورى من القوة إلى الضعف ثم إلى الإنهيار فليست الإمبراطورية الرومانية ولا غيرها من الموجودات فى الطبيعة لتناقض مع طبيعة الحياة آلا وهى التغيير.

ويأتى هذا الفصل بعنوان آراء فى سقوط الامبراطورية لختم ما بدأناه ويهدف هذا الفصل لعرض ظروف المجتمع الرومانى إبان القرنين الرابع والخامس الميلاديين التى اسهمت فى إضعاف بناء الإمبراطورية وبالمثل سلطة الأباطرة عليها ومن ثم أدت فى النهاية إلى السقوط والانهيار كما يهدف أيضاً إلى عرض رأى الباحثين المهتمين بهذا الموضوع.

أولاً: ظروف المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس:

يمكن اعتبار ظروف المجتمع الرومانى فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين إنما تعكس خمسة ظواهر هامة كفيلة بأسقاط أعتى القوى أوالإمبراطوريات أو النظم السياسية وهى كالتالى:

١- الفوضى الفكرية. ٢- اليأس السياسى. ٣- العسر الاقتصادى.

٤- الظلم الاجتماعى. ٥- التسلط البيروقراطى.

- وفى الواقع فقد نجم عن هذه الظواهر بروز طبقتين فى المجتمع الرومانى لا ثالث لهما وهم: **طبقة البرولتياريا الجائعة**، وهى التى هاجمها

اليأس وبدأت فى البحث عن الخلاص من مشاكل العالم المادية فى دنيا السحر والخزعبلات مما أدى إلى تدنى الفكر والثقافة.

أما الطبقة الثانية: طبقة الارستقراطية الحاكمة التى تحكمت فى المجتمع عن طريق الأجهزة البيروقراطيه وعن طريق نظام الإقطاع الذى سيطرت به على الأراضى الواسعة بمن عليها من عبيد وفلاحين.

– ومع دخول المسيحية إلى المجتمع الرومانى أنضمت اليها طبقة البرولتياريا التى كانت دائمة البحث عن الخلاص واعتقدت أنها ستجده فيها، فى حين تمسكت طبقة الارستقراطية الحاكمة بالتراث الوثنى الذى سعدت بتطويره بالأفكار التى كانت تجمع بين الفلسفه والدين مثل الرواقية والفيثاغورية والافلاطونيه المحدثه من أجل منافسة المسيحية التى اعتبروها حركة هدامة وخطراً على التراث القومى العريق، وهكذا تحولت طبقة الارستقراطية لتصبح مقاتله مدافعه عن وجودها ومكاسبها ضد الفقراء[١].

وما أن انتصرت المسيحية حتى ثبت ان الخطر كان كامناً بين عناصرها (الكنيسة) ولكن شهدت هذه الفترة مرحلة اكتمال قانون الإيمان المسيحى ووضع القواعد مثل تحديد يوم الأحد كيوم الرب، وتحديد عيد ميلاد المسيح Natalis Domini وهو السابع من يناير فى الشرق والخامس والعشرين من شهر ديسمبر فى الغرب، وتحديد عيد القيامة وقد رأى بعض المهتمين بالمصريات القديمة ان اختيار الخامس والعشرين من ديسمبر ما هو إلا استمرار للعيد المصرى القديم «يوم ميلاد رع» فهو كان اليوم الموافق لنهاية السنة المصرية القديمة[٢].

وسوف نتعرض الآن لظاهرتين من الظواهر الخمس السابق عرضهم.

---

(١) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٨٣.

(2) Jaroslav Cerny, Ancient Egyptian Religion, 1952, London, pp. 148 - 149.

الأولي: الظلم الاجتماعي:

ما من شك ان المجتمع الرومانى فى هذه الفترة كان يعانى من ظلماً وصراعاً طبقياً شديداً وقد تسبب فى ذلك اختفاء الطبقة الوسطى وقد تحول المجتمع إلى طبقتين سبقت الاشارة اليهما، ووجدنا إن افراد الطبقة الارستقراطيه من النبلاء والأعيان ينسبون أنفسهم إلى الطبقة السيناتوريه وذلك بهدف الحصول على اعفاءات وامتيازات مثل الاعفاء من دفع الضرائب وآداء الخدمات الإلزامية والخدمات فى الجيش، وكان اللقب السيناتورى يعطيهم وحدهم حق تولى المناصب العليا.

ونظراً لأن السياسة الإمبراطورية فى القرنين الثالث والرابع كانت قد وضعت قانوناً يحرم على النبلاء العمل فى الصناعة والتجارة فقد كان معظم رجال الطبقة السيناتوريه من الإقطاعيين وقصر العمل فى الصناعة والتجارة على الحرفيين صغار التجار الذى لم يكن لهم دور يذكر فى اقتصاد الإمبراطورية[٣]، وعمل النبلاء على استثمار أموالهم فى شراء الأراضى وكونوا اقطاعيات Latifundia التى يتوسطها البيت Villa الذى كان يتحكم فيه النبلاء فى كل شيئ بما فى ذلك من زراع Coloni وعبيد Servi وحرفيين[٤].

وفى مجتمع الـ Villa كان العبيد هم أدنى الطبقات الاجتماعية، وعلى الرغم من ذلك فقد تحسنت أوضاعهم فى القرن الثالث إذ اعتبرتهم الإمبراطورية طاقة هامة لا غنى لاقتصادها عنها، ووصل الحال ان بعض الاقطاعيين قد منح عبيدهم قطعاً صغيرة من الأراضى يتوسطها كوخ يقيم فيه

---

(٣) راجع المقال القيم لـ أ. هـ. م جونز، آراء فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٣، الجزء الأول، مايو ١٩٦١،

(٤) سيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضارى، ص ٤٨٥.

العبد ويشرف منه على زراعة هذه القطعة وبذلك ظهرت طبقة عبيد الأكواخ، وقد حظر على العبيد جمع الثروات لأنفسهم.

وكان هناك اجراء زراعيون Coloni الذين كانوا عبيداً للمالك ولكن فى نظر القانون كانوا احرار بالمولد وكانوا كالعبيد يملكون مع الأرض، وكان وضع الاجراء الزراعيون الاجتماعى ينتقل إلى أبنائهم فإبن الأجير يجب أن يكون أجيراً وكان الفارق الوحيد الذى يميز الاجراء الزراعيون عن العبيد أنه كان من حق الاجراء امتلاك المال وتوريثه لأبنائه.

ونظراً لأن غالبيه الاجراء كانوا من صغار الملاك فساءت أحوالهم بسبب ارتفاع قيمة الضرائب وقلة المحصول فعجزوا عن زراعة الأرض، وكانوا يسلمونها للاقطاعى نظير حمايتهم من ظلم جباة الضرائب وقد عرف ذلك بنظام الوصاية Commendatio .

– أما فى المدن فلم يقتصر عمل العبيد على الأعمال المنزلية الوضيعه بل تعداه إلى أن أصبح المتعلمون منهم سكرتيرين ونساخاً وامناء للمكتبات ومعلمين وأطباء لأبناء الأسرة، كما استخدموا بشكل منظم فى انتاج احتياجات سادتهم فيما يشبه المصانع البدائية، بل وتعدوا هذا إلى المتاجرة بفائض هذه الاحتياجات[٥].

وكان يسكن المدينة عادة طبقه كبار الموظفين خاصة الذين كانوا يتولون نيابه عن الإمبراطورية وفرضت عليهم الحكومة الإمبراطورية تولى عضوية المجالس البلدية Municipia وقد عرفوا بأسم Curiales وأحياناً عرفوا باسم الديقوريون Decuriones[٦]، وكما كان هؤلاء الموظفون ضحية لظلم النظام

(5) Scullard H. H., A History of the Roman World, London, pp. 185 - 190 ff.

(٦) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٨٧.

الحاكم فقد وجدوا فى المزارعين الفقراء ضحية وكبش فداء فاستخدموا معهم ابشع الطرق من أجل تحصيل الضرائب المطلوبة لدرجة ان أصبح الـ Curialis مرادفاً لكلمة المتعسف.

الثانية: الفوضي الفكرية:

لقد طحن الفقر معظم الناس وبعدهم تماماً عما يدور حولهم من تقلبات سياسيه، وكما يحدث فى مجتمعات التخلف يلجأ الفرد الكادح إلى السحر والغيبيات هروباً من الواقع وبحثاً عن الخلاص، هذا الهروب Escapism للنفوس الحائرة جعل الناس تقبل على ما نادى به المبشرين الذين لوحوا بنعيم يوم الأخره.

ولقد تركت الرواقية تأثيراً عميقاً على فكر المثقفين بمناداتها بالأخوة العالمية والمساواة بين البشر وإيمانها بقوى الطبيعة وقانونها الأزلى الذى ينطبق على كافة البشر ومادام الموت يسوى بين كل الكائنات Mors Omnia Aequat فلا فائدة إذا من الفروق الطبقية الاجتماعية لأنها من صنع العالم المادى الوضعى وهو عالم محدود موقت(٧).

وهكذا تبلورت فلسفه جديدة تجمع بين الفكر الرواقى الصارم والروحانية الافلاطونية والرياضة الفيثاغورية فى قالب جديد يمزجها بالدين والتراث

(7) Sabine G., A History of Political Thought, N.Y., 1964, p. 150.

وكذلك عثمان أمين، الفلسفه الرواقية، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٥٧ وما بعدها، وكذلك مجدى السيد أحمد الكيلانى، المدارس الفلسفية المتأخرة، مرجع سابق، ص ص ٣٠٩-٣٣٩، حيث أسهب فى غرض العلاقة بين الرواقية والمسيحية وأوضح ان الرواقية كانت خير تمهيد للمسيحية هذا على الرغم من اختلاف الرواقية عن المسيحية فى نقاط جوهرية أهمها المادية Materialism والحلوليه Pantheism والقدرية Fatalism قارن Diogenes Laertius, VII, 56.

الوثنى فيما عرف بالافلاطونيه المحدثة Neo-Platonism ووجدت لها عشاقاً وتبناها الأباطرة كحركة مناوئه للمسيحية ونظراً لأنها كانت صعبة على الفهم فاتجهوا إلى الديانات الشرقية بروحانيتها ودعوتها للعالم الآخر متمثله فى عبادة مثرا ورب الشمس الذى لا يقهر، وسبق وان تحدثنا عن عبادة مثرا فى سياق عرضنا للديانات التى ظهرت فى الإمبراطورية الرومانية قبيل المسيحية وذلك فى الفصل الثالث من مؤلفنا هذا والأن نعرض بشكل مبسط للافلاطونية المحدثه.

الأفلاطونية المحدثة:

كان الفيلسوف الرومانى الأسيوطى «افلوطين»[٨] هو أول من أرسى اتجاه اتحاد الفيثاغورية والافلاطونية والرواقية فى قالب دينى واحد من أجل أنقاذ تراث الوثنية الاغريقيه الرومانى وذلك فى كتابه «التاسوعات» Enneads الذى حاول فيه ان يوفق بين العالم المتيافيزيقى المجرد والعالم الأرضى المحسوس مستخدما منطق الافلاطونيه فى أن الحقيقة هى الفضيلة والفضيلة هى الروح.

على أى حال نجح افلوطين الفيلسوف المصرى فى أن يعرض فلسفته على الإمبراطورية الرومانية ومات افلوطين الفيلسوف عام ٢٧٠م من جراء مرض اصاب فمه يرجح العلماء بأنه سرطان الفم، وقد مات تاركا فلسفة دينية قوية لها عبادها وبفضلهم ظلت مزدهرة حتى قرر الإمبراطور الشرقى جيستنيان اغلاقها مع سائر المدارس الوثنية عام ٥٢٩م[٩].

---

(٨) ولد افلوطين فى مدينة ليكوبوليس بصعيد مصر ٢٠٤/٢٠٥م ومصدرنا الأول عن حياته هو كتاب فورفوريوس عن حياة افلوطين Porphyrius, Vita Plotini, III, 6-24.

(٩) راجع فؤاد حسن زكريا، التاسوعه الرابعة لافلوطين – الدار القومية، ١٩٧١، القاهرة، وكذلك:
- Armstrong Hilary, J.H.S., Vol XCIII, 1973, pp 15-22, Also, Dodds J., J.R.S., 1960, pp. 1 - 7.

المسيحية وطوائفها:

باءت كل المحاولات الوثنية والفلسفية بالفشل وذلك فى محاولتها القضاء على المسيحية التى برزت كمنافس خطير للافلاطونية المحدثه، وقد انتشرت المسيحية فى الوقت المناسب فهزت الإمبراطورية الرومانية، ولهذا حاولت الوثنية وانصارها الارستقراطين سحق هذه الحركة.

تتلخص المسيحية فى الإيمان بالأب الذى هو الله والأبن المسيح والروح القدس Spiritus Sanctus الذى عن طريقه انجب الله المسيح من مريم العذراء وان الهدف من قدوم المسيح إلى العالم هو خلاصة، وقد جاء لخاصته ولكن خاصته (بنى اسرائيل) لم تقبله، فصلبوه، ولكنه قام فى اليوم الثالث خرج من القبر وصعد إلى السماء عند ابيه حيث يجلس عن يمينه ولن يعود المسيح إلى الأرض إلا قبل قيام الساعة حيث يقود الفقراء والمظلومين إلى المملكه السماوية التى سوف يحققها لهم هذا من ناحية العقيدة، أما من ناحية الواقع فإن المسيحية تقوم على التراث اليهودى والشريعة الموسويه، ولم تكن الأفكار العالمية التى جاءت بها المسيحية وحدها هى التى ساعدتها على الانتشار وسط ربوع العالم المسكون، بل لأن المسيحية تشربت بالأفكار الاغريقيه واستخدمت اللغة الاغريقية العامية Koine ولم تستخدم الآرامية اللغة التى وعظ بها السيد المسيح نفسه.

– لقد دفعت الكنيسة ثمن عقيدتها بالدم وقاومت الاضطهاد ومن أشهر الاضطهادات التى مرت بالمسيحية اضطهاد تراچانوس عام ٩٨م ثم اضطهاد ڤاليريانوس عام ٢٥٤م وكان اعنفها جميعاً اضطهاد دقلديانوس.

– كانت المذابح التى انزلها دقلديانوس بالمسيحيين خاصة فى مصر رهيبة حتى ان الكنيسة القبطية المرقسية فى مصر جعلت بدء تقويمها عام

٢٨٤م وهى السنه التى تولى فيها دقلديانوس حكم الإمبراطورية ويسمى هذا التقويم بتقويم الشهداء(١٠).

غير أن وصول الكنيسة إلى شاطئ الأمان كان بداية الانفجار بين طوائف المسيحية المختلفة وطغت على السطح المتناقضات العنصرية والاجتماعية والفكرية التى اختفت فى القاع وقتها.

وكانت الكنيسة تتعرض لخطر الاضطهاد وتفكك عرى الكنيسة المسكونية الواحدة إلى طوائف وفرق متصارعة فظهرت الدوناتية والآريوسيه والمونوفتسيه والبلاجيوسية والمانيخية «اتباع مانى».

– وكانت دعوة «مانى» توفيقا بين المسيحية والميثرائيه ومحورها هو الصراع الأبدى بين الرب الذى هو النور والمعرفة وبين الشيطان الذى هو الظلم والظلام(١١) وقد وصف العهد القديم بأنه من صنع رب الظلام Ahriman بينما العهد الجديد من صنع رب الشمس والنور Ahura - Mazda، ولقد لقيت المانية هوى فى نفوس شعوب مصر والشرق الأوسط حيث ترك الظلم والاستغلال الرومانى بصماته.

– وكانت الدوناتيه من المذاهب التى دعت إلى الثورة والتى قادها «دوناتوس» ودعت إلى وجوب تحرير العبيد واجبار الأسياد على القيام بدور العبيد كشرط للقبول فى الكنيسة، وبالرغم من إدانه الكنيسة الرومانية للدوناتيه إلا أنها بقيت مؤثره فى شمال افريقيا منذ عهد قنسطنطين حتى الفتح الوندالى

---

(١٠) مراد كامل، مرجع سابق، ص ص ٣١، ٣٢.

(11) Eusebius, The History of the Church from Christ to Constantine, Trans. by. williamson, Middleex, 1965, pp. 319-320.

لشمال افريقيا عام ٤٢٩م، وقد استقبل الدوناتيون الغزاه الونداليون بالترحاب واعتبروهم محررين لهم من بطش الرومان وكنيستهم[١٢].

- على ان الآريوسيه كانت اشد الطوائف المسيحية خطراً على الكنيسة فى روما لتجاوب منطقها مع المنطق العقلانى للشعوب الجرمانية التى اغارت على روما بل ان الإمبراطور قسطنطينوس نفسه آمن بها وقد خرجت الآريوسيه من الاسكندرية.

- أما النسطوريه وهى نسبه إلى نسطور Nestor كبير اساقفه القسطنطينيه عام ٤٢٨م فقد قادته دراساته اللاهوتية إلى ان الطبيعة البشرية هى التى تطغى على المسيح حيث ان مريم العذراء ام المسيح من البشر.

- أما الطائفه البيلاجيوسية والتى أوجدها الراهب البريطانى المولد بيلاجيوس Pelagius فقد ذهب إلى ان الانسان مخير وليس مسير وبالتالى شك فى قدرة الإنسان ان يحرر نفسه من الشر والخطيئه بمشيئته الذاتيه وبناء على ذلك انكر فكره توارث الخطيئه منذ أيام آدم أبى البشر[١٣].

ثانياً: تفسيرات المؤرخين القدماء والمحدثين لسقوط الإمبراطورية:

منذ أن سقطت الإمبراطورية الرومانية ومازال البحث جارياً من قبل المؤرخون وراء اسباب سقوطها وقد اختلفت الآراء بينهم حسب رؤية كل منهم وحسب المناخ الفكرى والسياسى الذى سيطر على العصر الذى عاش فيه.

وربما كان أوزوالد شبنجلر الفيلسوف والمؤرخ الألمانى صاحب أحد أهم

---

(12) Neil S., A History of Christian Missions, 1964, London, p. 38

(١٣) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٩٧.

هذه الآراء والتى ضمنها مؤلفه Decline of the West أو تدهور الغرب وهو من أشهر ما صدر فى أوائل القرن العشرين ونهاية عام ١٩١٨ وهو كتاب لا يمكن ان نسبغ عليه صفه البحث العلمى المنظم وذلك نظراً لاتساعه الهائل إذ يتحدث فيه عهن جوته وبرنارد شو وانيشتاين، كما يتحدث عن الفن الصينى والنحت الاغريقى والموسيقى وتحدث ايضاً عن علمى الاحياء والرياضيات(١٤).

– يعتمد شبنجلر فى كتابه على مقارنة الحضارات بعضها ببعض، ويجزم شبنجلر ان حضارة العصر الحديث فى طريقها إلى التدهور كما تدهورت حضارات سابقه، فالحضارة هى نشاط انسانى خلاف مرتبط بالإنسان الذى يولد ثم ينضج ثم يموت، وبالتالى فلابد من ان تمر الحضارة بنفس المراحل، وهو يقسم التاريخ إلى حضارات هى حضارة ابوللو وحضارة السحر وحضارة فاوست التى يقع ضمنها حضارة عصرنا الحديث.

– واتفق ارنولد توينبى فى كتابه A Study of History «أو بحث فى التاريخ» مع شبنجلر فى كراهيته للمؤرخين الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج التاريخ.

• أما فكرة ارنولد توينبى فهى تتلخص فى مبدأ «التحدى ورد الفعل» Challange and Reaction فهو لا يعتقد ان البشر يزدهرون فى اسهل الظروف بل على العكس يزدهرون فى الظروف الصعبه التى تتحداهم وكلما ازداد التحدى صار البشر الذين يواجهونه اشد عظمه، كما رأى توينبى أيضاً ان تدهور الحضارات انما يرجع إلى الكلمة اليونانية Hybris التى تعنى الزهو أو الغرور والكبر والانانيه. إذ رأى أنه بعد التحول من النظام الجمهورى إلى

---

(١٤) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٥١.

الإمبراطورى بدأت الإمبراطورية الرومانية فى النمو بسرعة حتى وصلت إلى قمة نضوجها وقوتها وهنا بدأت لا تستجيب تماماً للتحديات الداخلية أو الخارجية بعد ان كانت فى مرحلة تكوينها قد استجابت لكل التحديات بنجاح كبير، فى حين فشلت الإمبراطورية فى مواجهة تحدى البرولتياريا الداخليه وهى الجماهير العادية كما فشلت فى مواجهة تحدى البرولتياريا الخارجية مثل الفرس والجرمان والعرب وقد أدى عجز الحكومة الرومانية عن الاستجابه للتحديات الداخلية والخارجية إلى انهيار الإمبراطورية[١٥].

وقد رأى أيضاً ان تلك الإمبراطورية سقطت لأنها عجزت عن منافسة الكنيسة لأن الكنيسة تولت الزعامة وكسبت ولاء الناس لها، بينما فشلت الإمبراطورية فى الفوز بهذا أو ذاك[١٦].

أما المؤرخ إدوارد جيبون Edward Gibbon فقد رأى فى كتابه الشهير «اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية» أن تدهور روما واضمحلالها كان نتيجة طبيعية وحتميه، فالرفاهية التى عاشها الرومان اثمرت مبدأ الاضمحلال. ولقد تضاعفت عوامل الدمار بامتداد الغزو وتوسع الإمبراطورية، ويرى جيبون متفقاً فى ذلك مع توينبى ان الديانة المسيحية كانت من أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية لأنها قضت على العبادات القديمة التى كانت الدعامة الخلقية للرومان، كما انها ناصبت الثقافة القديمة العداء، فحاربت العلم والفلسفه والأدب والفن واتت بالتصوف الشرقى الواهن بدلاً من الفلسفه الرواقية التى كانت متغلغله بواقعيتها فى الحياة الرومانية، وحولت أفكار

---

(15) Toynbee A., A Sdudy of History, A, Bridged Edition, Oxford, 1962, pp. 402 - 412

(١٦) ارنولد توينبى، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ص ١٨ – ٢٥.

الرومان عن واجباتهم واغرتهم بالجرى وراء النجاة الفردية عن طريق الزهد والصلاة، وشجعت اتباعها على الامتناع عن آداء الخدمة العسكرية ويعد هذا كله انتصاراً للمسيحية.

والواقع ان ذلك الرأى قد وصمه الكثير من المؤرخين بالضعف ومنهم «بينز» الذى قال ان ذلك الاتهام الموجه للديانه المسيحيه انما يعود لأيام القديس أوغسطين ٣٥٤-٤٣٠م بعد سقوط روما فى أيدى الليرك ملك القوط الغربيين ٤١٠م [١٧].

ولا يقل رد المؤرخ «كولتون» إقناعاً عن رد باينز إذ ذكر ان المسيحية كانت كسباً حقيقياً للإمبراطورية الرومانية فالمجتمع الرومانى كان قد وصل إلى مرحلة تفشى فيها الانحلال والمساوئ فى الوقت الذى تدهورت فيه الأصاله فى الآداب والعلوم والفنون وعهد بأمر الدفاع عن الإمبراطورية إلى الجرمان والمتبربرين[١٨].

- وهناك المؤرخ ج ليبج J. Liebig واتباعه الذين أرجعوا تدهور الإمبراطورية إلى أسباب اقتصادية ففى رأيهم ان الأرض الزراعية أصابها الضعف والانهاك يوماً بعد يوم واستنفذت قدرتها على الإنتاج، ولم يعد الفلاح يستطيع أن يعتمد عليها فى كسب عيشه وقد رفض روستوفتزف ذلك الرأى على أساس أنه إن كان هذا الرأى قد يصدق على بعض اجزاء اليونان وايطاليا

---

(17) Baynes Norman H., Decay of The Western Power and its Causes. in Universal History Without of the World ed. by Hammerton J.A.. Vol, 4, London, withovt date, p. 2233.

(١٨) كولتون ج.ج، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ص ٤٦ - ٤٧.

فلا يمكن ان نعممه كظاهرة وأرجع انهاك التربه إلى قطع الغابات واهمال صرف المياه في ايطاليا[١٩].

وقد رأى المؤرخ الروسى ميخائيل روستوفتزف فى كتابه «تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى» أن لانحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها وجهين:

أولهما سياسى واجتماعى واقتصادى، وثانيهما ثقافى، فمن الناحية السياسية اصطبغت تلك الإمبراطورية فى الداخل بصبغة همجية خاصة فى الشطر الغربى منها وقد وصل الجرمان فى القرنين الثالث والرابع إلى مناصب عالية فى كل من الحكومة والجيش إما عن طريق التغلغل السلمى أو عن طريق الغزو.

ومن وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية رأى روستو فتزف أن العالم القديم قد عاد تدريجياً إلى أشكال بدائية من الحياة الاقتصادية، فالمدن التى كانت مزدهرة انحطت تدريجياً واختفى أغلبها اختفاءاً يكاد يكون تاماً، أما النظام الاجتماعى فقد سار فى نفس الطريق المؤدية للانحلال.

ومن وجهة النظر الثقافية فقد لوحظ انحلال حضارة المدن فى العالم اليونانى والرومانى، فالمدن اليونانية التى شهدت إنتصارات عظيمة فى مجالات العلم والأدب والفن بدأ الانحلال يسرى فى أوصالها منذ القرن الثانى قبل الميلاد.

---

(19) Rostovizeff M., Social and Economic History of the Roman Empire, Vol I, pp. 374 - 377.

والترجمة العربية، ميخائيل رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى الجزء الأول، ترجمة ومراجعة زكى على، محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٧، ص ص ٤٤٤-٤٤٠.

ويخرج رستوفتزف من مجمل عرضه إلى أن الطابع البارز فى إنهيار الحضارة الرومانية هو احتواء الطبقات السفى للطبقات العليا فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية فى القرن الثالث الميلادى، وفى النهاية طغى طوفان من العناصر البربرية الآتية من الخارج عن طريق التغلغل السلمى أو الغزو فأغرق تلك الحضارة.

أما المؤرخ نورمان باينز Norma H. Baynes فقد درس مختلف النظريات التى قالت بها شتى المدارس التاريخية حول إنهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوروبى تحديداً. فى مقاله «اضمحلال النفوذ الغربى وأسبابه Decay of the Western Power and its Causes».

وبعد أن قام بالرد عليها يخلص لنا برأيه الذى تمثل فى أن سبب سقوط الإمبراطورية هو كثرة اعتماد الأباطرة الرومان على الجرمان مما أرهق خزانة الدولة لدرجة أنها لم تصبح قادرة على الوفاء بطلبات الجيش والأسطول وبالتالى خرجت بريطانيا من تحت سيطرة الإمبراطورية كما وقعت أغنى أراضى بلاد الغال فريسة فى أيدى القوط وتسلم الوندال أفريقية ففقدت روما بذلك هيمنتها على البحر المتوسط، كما حمل نورمان باينز الطبقة الأرستقراطية الرومانية وزر سقوط الإمبراطورية إذ رأى أنها لم تساند الإمبراطورية فى عثرتها الاقتصادية رغم كل ما تمتعت به من ثراء[٢٠].

ورأى المؤرخ الفرنسى فرديناند لوت Ferdinand Lot فى كتابه «نهاية العالم القديم وبداية العصور الوسطى» أن الجرمان لم يحطموا الإمبراطورية الرومانية فى الغرب وإنما يعود سقوط الإمبراطورية إلى ما كانت تعانيه من

(20) Baynes Norman H., Decay ofthe Western Power and its Causes, op.cit., pp. 2233 - 2234.

أمراض داخلية والتى فشلت فى علاجها بسبب ما تبنته من سياسة جامدة وبالتالى لم تستطيع أن تهرب من مصيرها المحتوم(٢١).

أما المؤرخ كاتز Katz فقد رأى فى كتابه «أفول روما ونشأة أوربا العصور الوسطى» أن إنهيار الإمبراطورية أتى تدريجياً وأنه من المستحيل أن نعطى أولوية لعامل بعينه ليكون سبباً فى تفسير سقوط الإمبراطورية وإنما رأى أن كل العوامل مجتمعة متفاعلة كانت سبباً فى سقوط الإمبراطورية. بل وهاجم Katz أصحاب التفسير العنصرى لسقوط الإمبراطورية وهو أن التدهور كان نتيجة لاستنزاف العنصر الرومانى الراقى بسبب الحروب المتعاقبة وبسبب الانخفاض المتلاحق فى معدل المواليد بين الرومان الخالصين، ويتساءل من قال أن الحروب المتلاحقة أهلكت العنصر الرومانى وحده ؟ خاصة إننا نعرف أن الرومان بدأوا يعزفون عن دخول الجيش الرومانى منذ عصر أغسطس نفسه، كما أن الحضارة الرومانية والثراء الرومانى لم يكن من خلق العنصر الرومانى وحده بل لقد ثبت أن الأباطرة الذين انخرطوا من عناصر غير رومانية كانوا أصدق وأخلص بكثير من غيرهم الذين ينخرطون من عرق رومانى خالص، كما أن الافتراض القائل بأن الرومان الخالصين كانوا يضربون عن الإنجاب أو عن الإكثار من الإنجاب هراء إذ ليس هناك من دليل على أنهم كانوا يريدون لعنصرهم أن ينقرض(٢٢).

وقد هاجم «بيورى» هذا الزعم مؤكداً أنه لا يوجد أى دليل على أن تعداد سكان إيطاليا فى القرنين الثالث والرابع كان أقل تعداد إبان القرنين الأول

---

(21) Lot Ferdinand, The End of the Ancient World and the Beginings of the Middle Ages, London, 1931, p. 236.

(22) Katz, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, Corneil, 1963, p. 72 - 77.

والثانى الميلادى وردد ما ردده كاتز فيما بعد بأن موجات الأوبئة التى عصفت بسكان الإمبراطورية لم تكن بالخطيرة لدرجة أن نعزى إليها تدهور واضمحلال الإمبراطورية الرومانية(٢٣).

ومن الذين ذهبوا إلى أن دمار الاقتصاد فى الإمبراطورية أدى إلى تدهورها وسقوطها المؤرخ الفرنسى أندريه بيجانيول André Piganiol الذى لخص السبب فى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد وهم الطاقة الأساسية لأعمال الإنتاج الزراعى، ثم الحروب الأهلية وأعمال التمرد المتعددة التى قام بها القادة ومحاولتهم الانفصال والاكتفاء ذاتياً بمقاطعاتهم مما أدى إلى عودة النظام الاقتصادى البدائى ثم تدهور مركز روما التجارى الدولى بسبب فقدها السيطرة على الطرق الدولية للتجارة نتيجة لظهور الفرس كقوة جديدة فى منطقة الخليج والشرق الأوسط، لقد أورد بيجانيول رعونة الدولة فى إدارة اقتصادها عندما حاولت التدخل فى المشروعات وقامت بدور الرأسمالى المستغل الذى يجند العمال إجبارياً ويفرض عليهم الضرائب الباهظة مما أدى إلى الهروب الجماعى أو تسليم الفلاحين لأراضيهم مثلاً إلى الإقطاعيين الذين كان معظمهم لايدفعون الضرائب نظراً لمراكزهم الاجتماعية العالية(٢٤).

وقد رأى أيضاً أن بعث الإمبراطورية الفارسية فى الشرق أغرق الإمبراطورية فى حروب باهظة ومكلفة فاضطرت إلى رفع الضرائب لتعويض نفقات الحرب فتدهور الاقتصاد بينما فشلت الإمبراطورية فى مقاومة الغزاة.

---

(23) Bury J. B., History of the Late Roman Empire 395 - 565 A. D., vol. I, London, 1923, pp. 308 - 318.

(24) Piganiol André : L'Empire Chrétien, Paris, 1947, pp. 411 - 422.

وقد أكد «وولبانك» على مسئولية الإقطاع الذى كان مرجعه إلى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد، فضلاً عن الاعتماد على بدائية الوسائل المستعملة فى الإنتاج مما جعل العمل مرهقاً والمحصول ضئيلاً بينما الضرائب باهظة، فبدائية طرق الإنتاج هو الذى أدى إلى خراب اقتصاد الإمبراطورية ومن ثم إلى سقوطها[٢٥].

ونجد «وسترمان» يعتبر أن قتل الاقتصاد الحر والقضاء على المشروعات التى يقوم بها الأفراد هو الذى قضى على الاقتصاد وذلك بعد تقويض الطاقة المنتجة[٢٦].

وقد رأى بعض المؤرخين أن السبب هو أن التجارة الدولية لم تكن فى صالح الاقتصاد الرومانى ومنهم شتراير ج. ومينرو د. وإينيس ميللر [٢٧]، وقد رفض وسترمان هذه الفكرة مدللاً على أن التجارة مع الهند وبلاد العرب التى تحدث عنها بلينى فى كتابه «التاريخ الطبيعى» Historia Naturalis كانت فى صالح روما بقدر ما كانت فى صالح بلاد العرب والهند[٢٨].

---

(25) Walbank F. W., The Awful Revolution. The Decline of the Roman Empire in the West, Liverpool Univ. Press, 1969. p. 2. ff.

(26) Westerman W., "The Decline of Ancient Cultures". The American Historical Review, 1919.

(27) Strayer J. and Munro D., The Middle Ages 395 - 1500, N. Y., 1942, p. 6 - 7. Cf. Millar Innes, The Spice Trade of the Roman Empire 29 B.C. to 641 A.D.; Oxford, The Clarendon Press, 1969, p. 227 - 241.

(28) Pliny, Historia Naturalis, vol. VI, 101 also Westerman W., Op. cit., p. 370.

أما جونز فقد رأى أن سبب سقوط الإمبراطورية هو هجمات الشعوب المعادية مثل الجرمان والهون والفرس والعرب ولا يرى أن الاقتصاد هو السبب الرئيسى أو حتى الأكثر أهمية فى سقوط الإمبراطورية، وقد شرح جونز نظريته بأن السبب المباشر لسقوط الإمبراطورية الغربية هو هزيمتها على يد القبائل البربرية الجرمانية، فضلاً على أن هؤلاء البرابرة قد فرضوا على الإمبراطورية حملاً ثقيلاً فى تكبد نفقات باهضة وقد دافع جونز عن نظريته القائلة بأن تدهور القوة العسكرية كان هو السبب الأساسى فى تدهور الإمبراطورية. كما ألقى اللوم على المسيحية لأنها ساعدت على تزايد الإحساس السلبى إما بإرجاع كل ما يحدث إلى إرادة الله التى يريد بها امتحان المؤمنين فى التحمل، أو إلى دعوتها لرجالها بالابتعاد عن تولى الوظائف الحكومية تفادياً للخطيئة وحتى لا يوقع الأذى بالآخرين، مما حرم الإدارة من عنصر نظيف فى وقت سادت فيه الرشوة كل قطاعات الإدارة وقد وجد بعض الباحثين تشابهاً بين رأى جونز ورأى إداورد جيبون(٢٩) الذى فسر به تدهور وسقوط الإمبراطورية والذى أتى فى الجزء الرابع من كتابه حيث يشير إلى أن الإنحلال الذى أخذ يدب فى الإمبراطورية بعد موت ماركوس أوريليوس عام ١٨٠م مرجعه تفاقم الخطر الناجم عن الهجمات البربرية وأن انتصاراتها زعزعت الإيمان بالإمبراطورية فى الداخل وكسرت هيبتها فى الخارج كما حمل جيبون المسيحية وزر كل ما حدث إذ اعتبرها عاملاً هداماً لكافة القيم الاقتصادية والعسكرية والسياسية(٣٠).

---

(٢٩) سيد أحمد على الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

(30) Gibbon Edward, Decline and Fall of the Roman Empire, vol. IV, London, 1901, pp. 160 - 163.

هذا وقد انتقد المؤرخون الألمان آراء جيبون على أساس أن القبائل الجرمانية التى هاجمت الإمبراطورية دُفعوا إلى ذلك دفعاً بسبب إجتياح قبائل الهون وإن هدف الجرمان كان هو الاحتماء داخل حدود الإمبراطورية وليس العدوان عليها. وقد عرفت الإمبراطورية الجرمان منذ وقت طويل وكان الجرمان يحظون باحترام الرومان وتقديرهم لدرجة أن تاكيتوس وقد أشاد بهم ووصفهم بالشجاعة وامتدح فضائل نسائهم وفضلهن على النساء الرومان(٣١).

ويطلعنا المؤرخ ليسنر Laistner فى كتابه «فكر وآداب الغرب الأوربى من ٥٠٠ إلى ٩٠٠» على رأيه موضحاً أن غزوات الجرمان لم تكن الطوفان المفاجئ الذى أجتاح الإمبراطورية الغربية وأودى بها، ذلك أن اضمحلال الإمبراطورية وسقوطها كانا عملية تدريجية بطيئة استمرت حوالى قرنين من الزمان وربما كان من الممكن أن تسير تلك العملية مسيرة أبطأ، لولا غزوات قبائل الهون المتبربرة التى أفزعت المجتمع الرومانى(٣٢).

وقد صور هودجكين Thomas Hodgkin فى كتابه «إيطاليا وغزواتها» سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب قائلاً «لقد سقطت الإمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوروبى لأنها استنفذت الغرض التى قامت من أجله وحان الوقت الذى يجب فيه أن تزول بعد أن شاخت وهرمت، لقد كان قيام تلك الإمبراطورية وامتداد نفوذها إلى كل بلاد العالم المتحضر نعمة جليلة للبشرية، وعلى قدر تلك النعمة كان حكمها الطويل نقمة رغم سلسلة الأباطرة المصلحين الذين اعتلوا عرشها مثل تراجانوس ٩٨ - ١١٧م وماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠م، لقد منحت تلك الإمبراطورية جميع شعوب البحر

---

(31) Strayer J. and Munero D., Op. cit., pp. 25 - 8.

(32) Laistner, Loc. it., p. 24.

المتوسط السلام ومهدت لانتشار المسيحية ولكن بعد أن طال الأمد بها سلبت تلك الشعوب حريتها وعموماً فقد قام بناء الإمبراطورية وسقط فى النهاية وهذه إرادة الله ولا راد لقضائه وحكمه»[٣٣].

وقد تناول سيدنى بينتر Sidney Painter فى كتابه «تاريخ العصور الوسطى» تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية فى سطور قليلة قائلاً «إن إزدهار الإمبراطورية المادى والحضارى كان قد بدأ السير فى طريق الأفول قبل أن يقتحم الجرمان والمتبربرون حدود الإمبراطورية فى أعداد هائلة وكل ما فعله أولئك الجرمان أنهم عجلوا بأمر كان قد بدأ فعلاً.

ويذكر المؤرخ كلوف Clough وآخرون فى كتابهم «تاريخ العالم الغربى» أن الغزوات البربرية كان لها تأثير فعال على خيال المؤرخين المعاصرين لأحداثها لدرجة جعلتهم يقررون أن البرابرة كانوا سبب القضاء على الإمبراطورية الرومانية، ولكن الباحثين المحدثين رفضوا أى تفسير بذاته. ذلك أن أزمات الإمبراطورية الرومانية المتأخرة ترجع إلى عوامل متداخلة داخلية وخارجية[٣٤].

وقد خالف دى بورج De Bourgh مدارس المحللين فى تحليله السياسى لسقوط الإمبراطورية وذلك أنه اتبع المنهج المباشر الذى لا يبحث عن جذور التحلل العميقة بل يعتبر إصلاحات دقلديانوس هى نقطة التحول نحو الإنحدار والسقوط وهى نقطة أخذ بها كثير من المؤرخين من غير أصحاب النظريات، وفحوى نظريته أن إصلاحات دقلديانوس جاءت بعكس المطلوب فهو مثلاً

---

(33) Hodgkin Thomas, Italy and her Invaders, Oxford, Vol. II, pp. 532 - 533.

(٣٤) محمد محمود الحويرى : مرجع سابق، ص ١٩٠.

فصل بين السلطتين العسكرية والمدنيـة، ولكن ذلك أدى إلى إرباك الوضع الداخلى وخلق ثغرة فى الجهاز.

كما أن تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم وتقسيم كل إقليم منها إلى عدد من الوحدات الإدارية خلق ارتباكاً فى الإدارة وعرقل المصالح الحكومية وساعد البيروقراطية على التضخم لتصبح آفة قاتلة متغلغلة فى إدارات الإمبراطورية وفى أعداد الموظفين التى ملئت الأجهزة الجديدة المعقدة.

وقد ألقى دى بورج على دقلديانوس مسئولية الإنهيار الاقتصادى لأنه جعل الصناعات والحرف التجارية تحت الإشراف الحكومى المباشر بل وجعل هذه المهن وراثية محولاً بذلك نقابات الحرفيين وجمعياتهم إلى أجهزة خدمات تابعة للدولة فقتل الإبداع، وتحولت طاقة الإمبراطورية إلى الجمود والتحجر، كما أنه لم يحاول تخفيف عبء الضرائب عن الطبقات الكادحة المنتجة مصدر السخط والثورة[٣٥].

كما أن هناك فريق من المؤرخين يعزون تدهور الإمبراطورية إلى تقلبات مناخية تولد عنها نكبات أصابت المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف ويشير هنتجتون Huntigton إلى أن الإحصائيات تبين أن العالم تعرض فى الفترة ما بين ٢٠٠ – ٤٠٠م إلى فترة جفاف مريرة نتج عنها مجاعات وهذه المجاعات أدت إلى الثورات[٣٦].

---

(35) De Burgh W., the Legacy of the Ancient World Middle Sex, 1953, Vol. II, p. 390.

(36) Huntigton Ellsworth, "Climatic Change and Agricultural Exhaustion as Elements in the Fall of Rome", Quarterly Journal of Economics, 1916.

ويعزى سيمكوفيتش Simkhovitch سقوط الإمبراطورية إلى الإفلاس الزراعى الناتج من إنهاك التربة وإهمال الحكومة فى أى مشروعات لتحسين الزراعة والصرف والرى وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف وبهاظة الضرائب مما شجع الناس على ترك المزارع فتحولت إلى مراعى، وقد لوحظ ذلك من قائمة الأسعار التى أصدرها دقلديانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم(٣٧)، بينما ارتفعت أثمان المحاصيل الزراعية، ويضيف سيمكوفيتش إلى ذلك تفاقم خطر الأوبئة التى راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد فى الأيدى العاملة خاصة فى مجال الزراعة.

وقد اعترض على هذا التفسير المؤرخ باينز مبيناً أن الدمار الزراعى لم يلحق بكل ولايات الإمبراطورية وإنما ببعضها فقط وضرب مثالاً ببلاد الغال حيث بقيت زراعتها مزدهرة حتى القرن الخامس الميلادى ولكنه يلقى اللوم على نظام إدارة الأراضى الزراعية. وذلك أن أصحاب الإقطاعيات الكبرى Latifundia تركوا زمام الإدارة إلى وكلائهم وبقوا هم فى المدن يعيشون من دخلها فنتج عن ذلك إهمال هؤلاء الوكلاء وعدم حرصهم على رفع الإنتاج أو المستوى الزراعى للأراضى الزراعية(٣٨).

وفيما يخص آراء القدماء من المؤرخين فى سقوط الإمبراطورية، ففى ظل جو التوتر الدينى بين الوثنية والمسيحية تبادل مؤرخو كل من الفريقين التهم

---

(37) Simkhovitch G., "Rome's Fall, Re-Considered" Journal of Political Science, 1916.

(38) Baynes Norman, "The Decline of the Roman Empire in Western Europe", Journal of Roman Studies, 1943, Cf.
سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص٥٠٠.

فقال زوسيموس Zosimus أحد كبار مؤرخى القرن الخامس ومؤلف «موسوعة التاريخ الجديد» أن المسيحية هى المسئولة عن تردى الأحوال الاقتصادية فى الإمبراطورية وأن سقوط روما على يد الليرك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التى وضعت روما وبنت عظمتها ثم ألقى اللوم على الإمبراطور قسطنطين بأن المسئول الأول عن هذا السقوط لأنه دحر الوثنية وأحل المسيحية محلها.

وقد تلقف الأخلاقيون المسيحيون القضية فأعلن سالفيانوس فى كتابه De Gubernatione Dei «عن حكومة الله» أن الله وحكومته ضد أى إعوجاج خاصة الأخلاقى، وقد فسر سقوط الإمبراطورية بأنه عقاب من الله بسبب الخطايا والضلال والإنحراف الذى يعيش فيه الرومان، أما القديس أوغسطين مؤلف كتاب «مدينة الله» فقد ذهب بأن سقوط روما - التى شبهها بسقوط بابل كما جاء فى التوراة - هو نتيجة الإرادة الإلهية التى تدير الكون وتوجه مصائر البشر حتى تنتصر مملكة الله الأبدية وهذا مصير كل الدول والبشر[٣٩].

أما المؤرخ الوثنى المتسامح أميانوس ماركللينوس Ammianus Marcellinus المولود عام ٣٣٠م فى أنطاكية فقد نسب المصائب التى حلت بالرومان إلى انعدام الوازع الأخلاقى عندهم[٤٠].

وأخيراً يتناول يوحنا أسقف نيقية نفس الفكرة الأخلاقية فى العصر البيزنطى ليشرح سبب انتصار العرب على الرومان بعد فتح عمرو بن العاص لمصر فإن ذلك تم عقاباً على ما اقترفه جستينيان وهرقل أباطرة بيزنطة من اضطهاد الأقباط الأرثوذكسيين فى مصر.

---

(39) St. Augusttine, The City of God, Translated and Abridged by G. Walsh and Others, N. Y., 1958, pp. 16 - 31.

(40) Ammianus Marcellinus, Translated by J. Rolfe, Cambridge, 1935, XVI.

هذا وإن جاز لنا فى هذا الخضم الهائل من الآراء أن ننحاز إلى رأى مما سبق .فأننا ننحاز إلى المدرسة الشمولية التى رأت أنه لا يجوز الأخذ أو المناداة بعامل واحد بعينه دون الآخر فكل العوامل كانت مـ ـة وكلها تكاتفت وأدت إلى سقوط الإمبراطورية مع تسجيل تحفظنا على آراء المؤرخين الذين رأوا فى المسيحية عاملاً لعب دوراً أساسياً فى سقوط الإمبراطورية وذلك على أساس قناعتنا التامة بأن الأديان السماوية لم تكن فى يوم أبداً على مر العصور سبباً فى سقوط أو إنهيار وإنما هى دائماً مشجعة ودافعة نحو الأفضل ولكن يبدو أن الإمبراطورية الرومانية لم تستطيع تفهم المسيحية أو التشبع بمبادئها فقد حاولت إما التخلص منها أو توظيفها لخدمة أهداف الإمبراطورية السياسية.

والله المستعان....

ملاحـق الدراسـة

(*) أعتمدت بشكل أساسى فى ملاحق وخرائط ورسوم هذه الدراسة على ما ورد لدى أ.د/ حسين الشيخ فى مؤلفه، «الرومان»، مرجع سابق، نظراً لشموليتها وتنوعها الذى يخدم موضوع الدراسة.



ملحق رقم (١)
جدول تاريخي لأهم الأحداث في العالم الروماني

عام ٨٠٠ ق.م	أول استقرار على تل البالاتين.
٧٥٣	تأسيس روما. وفى الفترة المتأخرة من القرن الثامن بدأت الحركة التوسعية اليونانية لاحتلال صقلية والتمركز فى جنوبى ايطاليا
٧٢٥ – ٧٠٠	تأسيس قرطاجة
٧٠٠ – ٦٠٠	سيطرة الاتروسك تمتد إلى إقليم لاتيوم وكمبانيا ووادى نهر البو
٥٠٩	نهاية سيطرة الاتروسك فى روما. نهاية الملكية. تعيين أول قنصل
٤٣٥	انشاء وظيفة الكنسور
٤٢٦ – ٤١٧	انشاء وظيفة التريبون
٤٠٠	هجرة الكلتيين إلى وادى البو
٣٩٠ أو ٣٨٧	غزو الغال لروما
٣٦٦ أو ٣٦٢	انشاء وظيفة البرايتور
٣٤٣ – ٣٤١	الحرب السمنية الأولى
٣٣٨	حرب اللاتين
٣٢٦ – ٣٠٤	الحرب السمنية الثانية
٣٠٩ – ٣٠٨	الحرب مع الاتروسك
٣٧٩	تحالف روما مع قرطاجة
٢٦٤ – ٢٤١	الحرب البونية الأولى
٢٥٦ – ٢٥٥	غزو روما لافريقيا
٢٣٧	هاميلكار فى اسبانيا
٢٢٩	هازدروبال يخلف هاميلكار فى أسبانيا
٢٢١	هانيبال فى أسبانيا
٢١٨ – ٢٠١	الحرب البونية الثانية
٢١٥	تحالف هانيبال مع فيليب الخامس المقدونى. الحرب المقدونية الأولى

٢٠٤	سكيبيو يغزو أفريقيا
٢٠٢	موقعة زاما ونهاية قرطاجة
٢٠٠ – ١٩٦	الحرب المقدونية الثانية
١٧١ – ١٦٧	الحرب المقدونية الثالثة
١٤٩ – ١٤٦	الحرب البونية الثالثة
١٤٩ – ١٤٨	الحرب المقدونية الرابعة
١٤٨	مقدونيا تتحول إلى مقاطعة رومانية
١٤٦	تدمير قرطاجة وافريقيا تصبح مقاطعة رومانية
١٢٣ – ١٢٢	جايوس جراكوس تريبونا
٨٢ – ٨١	ديكتاتورية سلا
٧٧ – ٧١	بومبى قائدا فى أسبانيا
٧٠	أول قنصلية لبومبى وكراسوس
٦٣	شيشرون قنصلا – مؤامرة كاتالينا
٥٩	قيصر قنصلاً
٤٨	موقعة فارسالوس. موت بومبى
٤٨ – ٤٧	حرب الاسكندرية
٤٤	اغتيال يوليوس قيصر
٤٣	أوكتافيان قنصلاً
٣١	موقعة اكتيوم
٣٠	موت أنطونيوس وكيلوباترا. مصر مقاطعة رومانية
٢٧ – ١٤م	أوغسطس
١٤ – ٣٧ م	تيبريوس
٣٧ – ٤١م	جايوس كاليجولا
٤١ – ٥٤م	كلاوديوس
٥٤ – ٦٨م	نيرون

ملحق رقم (٢)
تعريف ببعض الأسماء والوظائف والإصطلاحات الواردة في الدراسة

Aedile

(الايديل) موظف عمومى فى المدينة يشرف على المنشآت العامة والأسواق ونظم المرور وامداد المدينة بالمياه، وتوجد هذه الوظيفة فى البلدان أيضا.

Ala

(آلاى) فصيلة من الفرسان يصل عددها بعد عصر أوغسطس إلى ٥٠٠ أو ١٠٠٠ جندى يتم تعبئتهم من الولايات.

Annona

(أنونا) ومعناها الحرفى «الحصاد» وهى هيئة امداد روما بالحبوب أصبحت لها أهمية قصوى فى عصر جايوس جراكوس. وقام أوغسطس بتنظيمها على أنها مصلحة أميرية.

Censor

(الكنسور) وهو رجل يعين ليقوم بعمل تعداد للسكان كل خمس سنوات وتقدير قيمة المقاطعات حتى تفرض الضرائب (ذلك فى عام ٤٤٥ ق.م) ووضعت قائمة أعضاء مجلس الشيوخ تحت اشرافه، وبذلك أصبح له نفوذ قوى فى عام٣١٢ ق.م. وفيما بعد أصبح فى دائرة اختصاصه سلطات واسعة لمراقبة الاخلاق والتصرفات.

Civitates, Civitas

(دويله) وكانت أثناء الحكم الامبراطورى عبارة عن وحدة محلية ذات حكومة ذاتية وفى الغالب ما تكون هذه الوحدة مدينة ولكن ليس هذا شرطاً أساسياً.

Cohortes, Cohors

كانت منذ زمن ماريوس عبارة عن وحدة من الفرقة للتحركات العسكرية وكانت كل عشر وحدات تكون فرقة من ٦٠٠ جندى، أما فى زمن الامبراطورية فقد أصبح هذا الاسم يطلق على وحدات المشاة من الولايات.

Colonate

وهم الفلاحون المستأجرون فى عصر الامبراطورية وخاصة من يستأجر المقاطاعات الأميرية.

Colonie, Colonia

(مستعمرة) وهى فى الأصل تعنى استقرار مواطنين رومان أو لاتين فى أرض ما عن طريق مشروع الغرض منه الزراعة أو الدفاع وفيما بعد أصبحت الدولة هى التى تنشئ المستعمرات لأغراض اقتصادية وغالباً ما تكون خارج ايطاليا – وفى عصر الامبراطورية كانت المستعمرات عادة من أجل أسكان المحاربين القدماء.

Conloni, Colonus

وهى تعنى (١) عضو فى مجتمع المستعمرة Colonia

(٢) فلاح مستأجر

Consistorium

وهو عبارة عن مجلس امبراطورى تكون منذ القرن الرابع الميلادى يعقده الامبراطور ويتكون من رؤساء المصالح الأميرية.

Consul

(القنصل) وهى أعلى وظيفة فى عصر الجمهورية وكان هناك قنصلان ينتخبهما الشعب ولفترة طولها عام واحد وكان القناصل يزاولون سلطات عسكرية نظراً لأنهم خلفوا الملوك فى سلطاتهم أما فى عصر الامبراطورية فقد أصبحت القنصلية وظيفة شرفية إلى حد كبير.

Consular

(وتعنى قنصل سابق)

Imperium

(سلطة الامبريوم) وهى أعلى سلطة إدارية يتمتع بها كبار موظفى الجمهورية فى منطقة (وهى الولاية) نفوذهم

Imperium Infinitum Aequum

(السلطة غير المحدودة والمساوية لسلطات الحكام) وهى سلطة ليست لها حدود جغرافية ومساوية لسلطة أى حاكم لولاية.

Iugerum

وهى مقياس رومانى لقياس الأراضى مساوية ($\frac{٥}{٨}$ الفدان)

Legatus

وهى تعنى (١) مبعوث.

(٢) نائب عن حاكم لولاية

(٣) قائد الفرقة الرومانية وذلك فى عصر الامبراطورية.

(٤) حاكم لولاية تابعة للامبراطور.

Magistrate

فى عهد الجمهورية كان هو الموظف التنفيذى فى الدولة ينتخبه الشعب ويزاول سلطاته لمدة عام عادة. وأهم هؤلاء الموظفين هم: القنصل الكنسور، البرايتور، الكوايستور، والايديل.

Master of Horse

(قائد الفرسان) وهى وظيفة يقوم الدكتاتور بتعيين شخص فيها ليكون نائباً عنه.

Master of Soldiers

جاءت فى أواخر عصر الامبراطورية وهى تعنى القائد الأعلى لقوات المشاة والفرسان. وقد تولاها البرابرة فيما بعد.

(Modii) Modius

المقياس العام للمكيال الرومانى، وهو يعادل ١,١ من المكيال الانجليزى (وهو ٢ جالون).

(Municipia) Municipium

وهى تعنى (١) مقاطعة ايطالية تتمتع بالحكم الذاتى.

(٢) مجتمع من مجتمعات الولايات يتمتع بالحكم الذاتى وهو أقل مرتبة من (الدويلات Civitates) التى كانت فى بلاد الغال وبريطانيا.

Plebs

كتلة المواطنين الرومان عامة باعتبارها طبقة أخرى غير طبقة الارستقراطية (Patricii).

Populares

اصطلاح يطلق بالذات على الحزب الذى يعتمد على تأييد الطبقات الفقيرة، وذلك منذ القرن الثانى قبل الميلاد. ولكن هذا الحزب كان فى الواقع يقف فى وجه الارستقراطية فيما يختص بمصالح الطبقة المتوسطة.

Praetor

وظيفة من وظائف الجمهورية العامة، مجال اختصاصها الأساسى هو الاشراف

على العدالة. وكان (Praetor Peregrinus) أو برايتور الأجانب يفصل فى القضايا التى يكون الزوار والأجانب المقيمون فى روما طرفا فيها.

Primipilaris

كلمة استخدمت فى عصر الامبراطورية وهى تطلق على قائد المجموعة الأولى من الفرقة. وبعد تسريح هؤلاء القادة كانوا عادة يجندون للقيام بخدمات مدنية.

Princeps

كلمة اختارها أوغسطس ليصف بها مركزه فى الامبراطورية باعتباره زعيما للدولة. وفيما بعد انتحل الاباطرة الرومان هذا اللقب لأنفسهم عند اعتلائهم العرش.

Proconsul

كان هذا اللقب فى عصر الجمهورية المتأخر يطلق على حاكم الولاية. أما فى عصر الامبراطورية فقد كان يطلق على حاكم ولاية تابعة لمجلس الشيوخ.

Procurator

ظهرت فى عصر الامبراطورية وهى تطلق على ضابط مالى تابع للامبراطورية يشرف على الشئون المالية وشئون المناجم والعملة والمقاطعات فى الولايات.

(Publicani) Publicanus

وهم الذين اختصوا بجمع الضرائب من الولايات، وكانوا يتمتعون بثراء فاحش فى عصر الجمهورية، ولكن قل شأنهم فى عصر الإمبراطورية.

Quaestor

وظيفة وجدت فى عصر الجمهورية، اختصاص هذا الموظف الرئيسى هو الشئون المالية

Tribune

وهو التريبون العسكرى، قائد جيش احتياطى، وقد كان هناك سته ترابنة فى كل فرقة أثناء العصور الأخيرة من الجمهورية.

(Tribuni plebis) Tribunes

وهم ترابنة العامة، ضباط ينتخبون ليصونوا مصالح الشعب من بطش الارستقراطية، وقد كانوا يتمتعون باستخدام حق الاعتراض (Veto) تمتعا فائقا.

ملحق رقم (٢)
ثبت بأسماء الاباطرة الرومان وتواريخ توليهم عرش الامبراطورية الرومانية

أولا - من أوغسطس حتي سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية:

٢٦ ق.م - ١٤ م	أوغسطس
١٤ - ٣٧	تيبريوس
٣٧ - ٤١	كاليجولا
٤١ - ٥٤	كلوديوس
٥٤ - ٦٨	نيرون
٦٨ - ٦٩	جالبا
٦٩	أوتو
٦٩	فيتليوس
٦٩ - ٧٩	ڤاسباسيان
٧٩ - ٨١	تيتيوس
٨١ - ٩٦	دوميتيان
٩٦ - ٩٨	نيرفا
٩٨ - ١١٧	تراجان
١١٧ - ١٣٨	هادريان
١٣٨ - ١٦١	انطونينوس بيوس
١٦١ - ١٨٠	ماركوس أوريليوس
١٨٠ - ١٩٢	كمودوس
١٩٣	برتيناكس
١٩٣ - ٢١١	سبتيموس سفيروس
٢١١ - ٢١٧	كاراكلا
٢١٧ - ٢١٨	مكرينوس

٢١٨ – ٢٢٢	انطونينوس بيوس
٢٢٢ – ٢٣٥	سفيروس الاسكندر
٢٣٥ – ٢٣٨	مكسيمينوس التراقى
٢٣٨	جورديان الأول
٢٣٨ – ٢٤٤	جورديان الثالث
٢٤٤ – ٢٤٩	فيليب
٢٤٩ – ٢٥١	دسيوس
٢٥١ – ٢٥٣	تريبنيانوس جالوس
٢٥٣ – ٢٦٠	فاليريان
٢٦٠ – ٢٦٨	جالبينوس
٢٦٨ – ٢٧٠	كلوديوس الثانى
٢٧٠ – ٢٧٥	أوريليان
٢٧٥ – ٢٧٦	تاسيتوس
٢٧٦ – ٢٨٢	بروبوس
٢٨٢ – ٢٨٣	كاروس
٢٨٣ – ٢٨٤	كارينوس
٢٨٤ – ٣٠٥	دقلديانوس (اعتزل العرش فى ٣٠٥)
٢٨٦ – ٣٠٥	مكسيميان (اعتزل العرش فى ٣٠٥)
٣٠٥ – ٣١١	جاليريوس وآخرون
٣١١ – ٣٢٤	قسطنطين الأول ولبسينوس
٣٢٤ – ٣٣٧	قسطنطين الأول
٣٣١ – ٣٤٠	قسطنطين الثانى
٣٤٠ – ٣٥٠	قسطنطين الثانى وقنستانز
٣٥٠ – ٣٦١	قسطنطين الثانى
٣٦١ – ٣٦٣	جوليان
٣٦٣ – ٣٦٤	جوفيان

٣٦٤ – ٣٧٥	فالتينيان الأول
٣٧٥ – ٣٧٨	فالنس
٣٧٨ – ٣٩٥	ثيودوسيوس الأول وآخرون
٣٩٥	تقسيم الامبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية، والاباطرة التالية اسماؤهم حكموا فى الجزء الغربى من الامبراطورية
٣٩٥ – ٤٢٣	هونوريوس
٤٢٥ – ٤٥٥	فالنتينيان الثالث
٤٥٥	بترونيوس كلسيموس
٤٥٥ – ٤٥٦	ارفينوس
٤٥٧ – ٤٦١	ماجوريان
٤٦١ – ٤٦٥	ليبيوس سفيروس
٤٦٧ – ٤٧٢	انتميوس
٤٧٢	أولبريوس
٤٧٣ – ٤٧٤	جليسريوس
٤٧٤ – ٤٧٥	يوليوس نبوس
٤٧٥ – ٤٧٦	روملوس أوغسطولوس، وهو آخر الاباطرة الرومان الغربيون وقد خلع عن العرش وبه تنتهى الامبراطورية الرومانية الغربية

ثانيا- اباطرة الرومان في الشرق منذ تقسيم الامبراطورية وحتي سقوط القسطنطينية:

	تقسيم الامبراطورية الى شرقية وغربية
٣٩٥	اسرة ثيودوسيوس وضمت اسكاديوس نيودوسيوس الثانى مارشيان
٣٩٥ – ٤٥٧	أسرة ليو وضمت ليو الأول – ليو الثانى – زينو – انسطاسيوس
٤٥٧ – ٥١٨	أسرة جستنيان وضمت جوستين الأول – جوستين الثانى – نيروس
٥١٨ – ٦١٠	الثانى – موريس – فوكاس.
٦١٠ – ٧١٧	أسرة هرقل وضمت هرقل – كوستانز الثانى – تبريوس الثالث – بروانس – انسطاسيوس – قسطنطين الرابع – جستينيان الثانى – ليونتيوس الثانى – ثيودوسيوس الثالث

٧١٧ – ٨٢٠	الاسرة الايزورية وضمت ليو الثالث – قسطنطين الخامس – ليو الرابع – قسطنطين السادس – ايرين – نقفور – استراواثيوس – ميخائيل الأول – ليو الخامس
٨٢٠ – ٨٦٧	أسرة فريجيا وضمت ميخائيل الثانى – نيوفيلوس – ميخائيل الثالث
٨٦٧ – ١٠٥٧	الأسرة المقدونية وضمت بازيليوس الأول – ليو السادس – قسطنطين السابع – رومانوس الأول – رومانوس الثانى – نقفور الثانى – جون الأول – رومانوس الثالث – ميخائيل الرابع – ميخائيل الخامس – ثيودورا – قسطنطين التاسع – ميخائيل السادس
١٠٥٧ – ١٠٨٥	أسرة كوفينوس وضمت ايزاك الأول – قسطنطين العاشر – رومانوس الرابع – ميخائيل السابع – نقفور الثالث – الكسيوس الأول – جون الثانى – اندرونيكوس الأول
١١٨٥ – ١٢٠٤	اسرة الانجيليين وضمت ايزاك الثانى – الكسيوس الثالث – الكسيوس الرابع – الكسيوس الخامس
١٢٠٤	استولت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية وأسست فيها حكم الاباطرة اللاتين. واستمر حكمهم حتى ١٢٦١ حين أعيد استرداد القسطنطينية.
١٢٦١ – ١٤٥٣	اسرة باليولوجوس وضمت ميخائيل الثامن – اندرونيكوس الثانى – ميخائيل التاسع – اندرونيكوس الثالث – جون الخامس – جون السادس – اندرونيكوس الرابع – جون السابع – مانويل الثانى – جون الثامن – قسطنطين الحادى عشر وكان آخر أباطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية وحكم حتى ١٤٥٣ حين استولى محمد الثانى على القسطنطينية لتنتهى بذلك الامبراطورية الرومانية الشرقية وتبدأ الامبراطورية التركية.

ملحق رقم (٤)
أسماء بعض المدن والمناطق القديمة ومقابلها الحديث

الاسم اللاتيني	الاسم الحديث
Agrigentum أجريجنتوم	Agrigento أجريجتو
Alesia اليسيا	Alise-Ste-Reine اليس ستى رين
Arretium اريتيوم	Arezzo اريتزو
Arelate اريلاتى	Arles ارليس
Aujusta Vindelicorum اوجستا فيندليكوروم	Augsburg اوجسبرج
Bononia بونونيا	Bologna بولونا
Hippo هيبو	Bone بون
Bordigala بورديجالا	Bordeaux بوردو
Aquincum اكوينكوم	Budapest بودابست
Gades جاديس	Cadiy قادش
Nova Carthago نوفاكارتاجو	Cartagena قرطاجنة
Catania كاتانيا	Catana كاتانا
Deva ديفا	Chester تشستر
Corinium كورنيوم	Cirencester كيرنسستر
Camulodonum كامولدونوم	Colchester كولشستر
Colonia Agrippina كولونيا اجريبنا	Cologne كولون
Byzantuim بيزنتيوم	Constantinople القسطنطينية
Dyrrachium دوراخيوم	Durazzo دوراتزو
Genevea جنيفا	Geneva جنيف
Glevum جليفوم	Gloucester جلوسستر
Byzantium بيزانتيوم	Istanbul استنبول
Lambaesis لامبايسيس	Lambessa لامبسا
Lindum ليندوم	Lincoln لينكولن
Olisipo اوليسبو	Lisbon لشبونه
Londinium لونديديوم	London لندن
Lugdunum لوجدونوم	Lyons ليون
Moguntiacum مجونتياكوم	Mainz مينز
Malaca مالاكا	Malaga مالاجا
Lulybaeum لوليبايوم	Marsala مارسالا
Massilia ماسيليا	Marseilles

الاسم اللاتيني		الاسم الحديث	
أمريتا	Emerita	مريدا	Merida
مسانا	Massana	مسينا	Messina
ميديولانوم	Mediolanum	ميلان	Milan
نيابوليس	Neapolis	نابولى	Naples
ناربو	Narbo	ناربون	Narbonne
نيماوسوس	Nemausus	نيمى	Nimes
نايسوس	Naisus	نيس	Nish
باتافيوم	Patavium	بادوا	Padua
بانورموس	Panormus	باليرمو	Palermo
أريمينوم	Areminum	ريمينى	Rimini
ساجونتوم	Saguntum	ساجونتو	Sagunto
كايساراوجستا	Caesaraugusta	ساراجوسا	Saragossa
هادروميتوم	Hadrumetum	سوس	Sausse
سبالاتو	Spalato	سبلت	Split
ارجنتوراتوم	Argentoratum	ستاسبورج	Stasbourg
تنجيس	Tingis	طنجة	Tangier
تاورومنيوم	Tauromenium	تاورومينا	Taoromina
تريلتوم	Tarentum	ترانتو	Taranto
تاراكو	Tarraco	تاراجونا	Tarragona
أوجستا تريفرورم	Augusta Treverorum	ترفى	Treves
ترجستى	Tergeste	تريستى	Trieste
فيندوبونا	Vindobona	فينا	Vienna
فيروكونيوم	Viroconium	روكستر	Wroxeter
ابوراكوم	Eboracum	يورك	York

ملحق (٥)

ثبت بالأباطرة وأعضاء العائلات الإمبراطورية

٢٧ ق.م – ١٤م	١– أغسطس (جايوس أوكتافيوس ثورينوس)
	ليڤيا: زوجة أغسطس
	أجريبا: صديق أغسطس
	چوليا: أبنة أغسطس من سكريبونيا
	جايوس قيصر: إبن أجريبنا من چوليا
١٤ – ٣٧ م	٢– تيبيريوس (تيبيريوس كلاوديوس نيرو)
	دروسوس: ابن تيبيريوس من فيسبانيا
	نيرو كلاوديوس دروسوس: أخو تيبيريوس
	أنتونيا: زوجة نيرو كلاوديوس دروسوس
	جرمانيكوس: ابن نيرو كلاوديوس دروسوس
	أجريبنا الكبرى: ابنة أجريبا وچوليا
	نيرو قيصر: ابن جرمانيكوس وأجريبنا
	دروسوس قيصر: ابن جرمانيكوس وأجريبنا
٣٧ – ٤١ م	٣– كاليجولا (جايوس قيصر)
	كايسونيا: الزوجة الرابعة لكاليجولا
٤١ – ٥٤ م	٤– كلاوديوس (تيبيريوس كلاوديوس دروسوس)
	مسالينا: ڤاليريا مساليـنا الزوجـة الثالثة لكلاوديوس
	بريتانيكوس: تيبيريوس – كلاوديوس – بريتانيكوس ابن كلاوديوس ومسالينا
	أجريبنا الصغرى: ابنة جرمانيكوس وأجريبنا الكبرى
٥٤ – ٦٨ م	٥– نيرو (نيرو كلاوديوس قيصر دروسوس

جرمانيكوس)
أوكتافيا: الزوجة الأولى لنيرو
بوبايا: بوبايا سابينا: الزوجة الثانية لنيرو
كلاوديا: ابنه نيرو وبوبايا

٦٨ - ٦٩ م	٦- جالبا (سرفيوس سولبيكيوس جالبا)
٦٩ م	٧- أوتو (ماركوس سالفيوس أوتو)
٦٩ م	٨- فيتليوس (أولوس فيتليوس لوكيوس فيتليوس: أو فيتليوس
٦٩ - ٧٩ م	٩- فسباسيان (تيتوس فلافيوس فسباسيانوس) فلافيا دوميتيلا : الزوجة الأولى لفسباسيان دوميتيلا الصغرى: ابنة فسباسيان
٧٩ - ٨١ م	١٠- تيتوس (تيتوس فلافيوس فسباسيانوس) چوليا تيتى: ابنة تيتوس
٨١ - ٩٦ م	١١- دوميتيان (تيتوس فلافيوس دوميتيانوس) دوميتيا: زوجة دوميتيان
٩٦ - ٩٨ م	١٢- نيرفا (ماركوس كوكيوس نيرفا)
٩٨ - ١١٧ م	١٣- تراجان (ماركوس أولبيوس ترايانوس) بلوتينا: بومبيا بلوتينا زوجة تراجان تراجان باتير: أبو تراجان ماركيانا: أخت تراجان ماتيديا: إبنة ماركيانا
١١٧ - ١٣٨ م	١٤- هادريان (بوبليوس أيليوس هادريانوس) سابينا: زوجة هادريان أنتينوس: خليل هادريان أيليوس فيروس: لوكيوس - أيليوس - فيروس متبنى هادريان.
١٣٨ - ١٦١ م	١٥- أنتونينوس بيوس (تيتوس أوريليوس فولفوس

بويونيوس أريوس أنتونينوس)
فاوستينا الكبرى: زوجة أنتونينوس بيوس
جاليريوس أنتونينوس: إبن أنتونينوس بيوس

١٦١ - ١٨٠م ١٦- ماركوس أوريليوس (ماركوس أيليوس أوريليوس فيروس)
فاوستينا الصغرى: أنياجاليريا فاوستينا ابنة انتونينوس بيوس وزوجة ماركوس أوريليوس

١٦١ - ١٦٩ م لوكيوس فيروس (لوكيوس أوريليوس فيروس) امبراطور مشارك
لوكيلا: زوجة لوكيوس فيروس

١٧٧ - ١٩٢ م ١٧- كومودوس (لوكيوس أوريليوس كومودوس)
كريسبينا: بروتيا كريسبينا زوجة كومودوس.

١٩٣ م ١٨- برتيناكس (بوبليوس هلفيوس برتيناكس)

١٩٣ م ١٩- ديديوس يوليانوس (ماركوس ديديوس يوليانوس)
مانليا سكانتيلا: زوجة ديديوس يوليانوس
ديديا كلارا: ابنة ديديوس يوليانوس

١٩٣ - ١٩٤ م بسكنيوس نيجر (جايوس بسكنيوس نيجر) حاكم سوريا ١٩٣ - ١٩٤ م

١٩٥ - ١٩٧ م كلوديوس ألبينوس (ديكيموس كلوديوس سبتميوس ألبينوس) حاكم بريطانيا

١٩٣ - ٢١١ م ٢٠- سبتميوس سفيروس (لوكيوس سبتميوس سفيروس)
جوليا دومنا: زوجة سبتميوس سفيروس

١٩٨ - ٢١٧ م ٢١- كاراكالا (ماركوس أوريليوس أنتونينوس كاراكالا)
بلاوتيلا: زوجة كاراكلا

٢٠٣ – ٢١٢ م	جيتا (بوبليوس سبتميوس جيتا) إمبراطور مشارك
٢١٧ – ٢١٨ م	٢٢– ماكرينوس (ماركوس أوبليوس ماكرينوس) ديادومنيان: ماركوس – أوبليوس – ديادومنيانوس ابن ماكرينوس
٢١٨ – ٢٢٢ م	٢٣– إلاجابالوس (ماركوس أوريليوس أنتونينوس) چولياباولا: چوليا كورنيليا باولا زوجة إلاجابالوس أكويليا سيڤيرا: چوليا أكويليا سيڤيرا زوجة إلاجابالوس أنيا فاوستينا زوجة إلاجابالوس الثالثة چوليا سوايمياس: أم إلاجابالوس چوليا مايسا: جدة إلاجابالوس
٢٢٢ – ٢٣٥ م	٢٤– سڤيروس الاسكندر (ماركوس أوريليوس سڤيروس الإسكندر) أوربيانا: سالويتيا باربيا أوربيانا زوجة سڤيروس الاسكندر چوليا مامايا: أم سڤيروس الاسكندر
٢٣٥ – ٢٣٨ م	٢٥– ماكسيمنيوس الأول (جايوس – يوليوس – ڤيروس – ماكسيمنيوس) باولينا: زوجة ماكسيمينوس ماكسيموس: ابن ماكسيمينوس
٢٣٨ م	٢٦– جورديان الأول الإفريقى (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
٢٣٨ م	جورديان الثانى الافريقى (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
٢٣٨ م	٢٧– بالبينوس (ديكيموس كايليوس بالبينوس)

٢٣٨ م	بوبينوس (ماركوس كلوديوس بوبينوس ماكسيموس)
٢٣٨ – ٢٤٤ م	٢٨– جورديان الثالث (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
	ترانكويلينا: فوريا سابينيا ترانكويلينا زوجة جورديان الثالث
٢٤٤ – ٢٤٩ م	٢٩– فيليب الأول (ماركوس يوليوس فيليبوس)
	أوتاكيليا سيڤيرا: ماركيا أوتاكيليا سيڤيرا زوجة فيليب.
٢٤٧ – ٢٤٩ م	فيليب الثانى (ماركوس يوليوس فيليبوس)
	باكتيان (تيبيريوس كلاوديوس مارينوس باكاتيانوس)
٢٤٨ م	مويسيا العليا
٢٤٨ م	جوتابيان (ماركوس فولڤيوس روفوس يوتابيانوس) قائد القوات فى سوريا
٢٤٩ – ٢٥١ م	٣٠– تراجان ديكيوس (جايوس مسيوس كوينيوس ترايانوس ديكيوس)
	هرنيا إتروسكيلا: زوجة تراجان ديكيوس
٢٥١ م	هرنيوس إتروسكوس – هرنيوس – إتروسكوس – مسيوس ديكيوس)
٢٥١ م	هوستيليان (جايوس ڤالنس – هوستيليانوس – مسيوس – كوينتوس)
٢٥١ – ٢٥٣ م	٣١– تريانيانوس جاللوس (جايوس – ڤيبيوس – تريونيانوس – جاللوس)
٢٥١ – ٢٥٣ م	فولوسيان – جايوس – ڤيبيوس – أفينيوس – جاللوس – ڤندومنيانوس ڤولوسيانوس)
٢٥٢ – ٢٥٣ م	٣٢– أيميليان (ماركوس أيميليوس أيميليانوس)
	كورنيليا سوبرا: زوجة أيميليان

الاسم	التاريخ
٣٣- ڤاليريان الأول (بوبليوس ليكينيوس ڤاليريانوس)	٢٥٣ – ٢٦٠ م
مارينيانا: زوجة ڤاليريان الأول	
٣٤- جالينوس (بوبليوس ليكينيوس إجناثيوس جالينوس)	٢٥٣ – ٢٦٨ م
سالونينا: كورينليا سالونينا زوجة جالينوس	
ڤاليريان الثانى (بوبليوس – كورنيليوس – ليكينيوس ڤاليريانوس) الإبن الأكبر لجالينوس	٢٥٣ – ٢٥٥ م
سالونينوس (بوبليوس – ليكينيوس – كورنيليوس – سالونينوس ڤاليريانوس) الإبن الأصغر لجالينوس)	٢٥٩ م
ماكريانوس (فولڤيوس يوليوس ماكريانوس)	٢٦٠ – ٢٦١ م
كويتوس (فولڤيوس يوليوس كويتوس)	٢٦٠ – ٢٦١ م
رجاليانوس (بوبليوس جايوس رجاليانوس)	٢٦٠ – ٢٦١ م
بوستوموس (ماركوس – كاسيانيوس – لاثينيوس – بوستوموس) حاكم الغال وإسبانيا وإنجلترا	٢٥٩ – ٢٦٨ م
لايليانوس (أولبيوس كورنيليوس لايليانوس)	٢٦٨ م
ماريوس (ماركوس أوريليوس ماريوس)	٢٦٨ م
٣٥- كلاوديوس الثانى القوطى (ماركوس أوريليوس كلاوديوس)	٢٦٨ – ٢٧٠ م
ڤيكتورينوس (ماركوس بياڤونيوس ڤيكتورينوس)	٢٦٨ – ٢٧٠ م
كوينتيلوس (ماركوس أوريليوس كلاوديوس كوينتيلوس)	٢٧٠ م
٣٦- أوريليان (لوكيوس دوميتيوس أوريليانوس)	٢٧٠ – ٢٧٥ م
سيڤيرينا: زوجة أوريليان	
زنوبيا: سبتيميا زنوبيا	
ڤابالاتوس	٢٧١ – ٢٧٢ م
تتريكوس الأول (جايوس بيوس أسوڤيوس تتريكوس)	٢٧٠ – ٢٧٣ م

تتريكوس الثانى (جايوس بيوس إسوفيوس تتريكوس)	٢٧٠ - ٢٧٣ م
٣٧- تاكيتوس (ماركوس كلاوديوس تاكيتوس)	٢٧٥ - ٢٧٦ م
٣٨- فلوريانوس (ماركوس أنيوس فلوريانوس)	٢٧٦ م
٣٩- بروبوس (ماركوس أوريليوس بروبوس)	٢٧٦ - ٢٨٢ م
بونوسوس	٢٨٠ م
٤٠- كاروس (ماركوس أوريليوس كاروش)	٢٨٢ - ٢٨٣ م
نوميريان (ماركوس أوريليوس نوميريانوس)	٢٨٣ - ٢٨٤ م
٤١- كارينوس (ماركوس أوريليوس كارينوس)	٢٨٣ - ٢٨٥ م
ماجنيا أوربيكا: زوجة كارينوس	
نيجرينيان: ربما ابن كارينوس	
چوليان (ماركوس أوريليوس يوليانوس)	٢٨٤ - ٢٨٥ م
٤٢- دقلديانوس	٢٨٤ - ٣٠٥ م
كاراوسيوس	٢٨٧ - ٢٩٣ م
أليكتوس	٢٩٣ - ٢٩٦ م
دوميتيوس دوميتيانوس	٢٩٦ - ٢٩٧ م
٤٣- ماكسيميانوس	٢٨٦ - ٣٠٥، ٣٠٦ - ٣٠٨، ٣١٠م
٤٤- كونستانتيوس كلوروس	٣٠٥ - ٣٠٦ م
٤٥- جاليريوس	٣٠٥ - ٣١١ م
جاليريا ڤاليريا: زوجة جاليريوس	
٤٦- سڤيروس الثانى	٣٠٦ - ٣٠٧ م
٤٧- ماكسيمنوس الثانى	٣٠٩ - ٣١٣ م
٤٨- ماكسنتيوس	٣٠٦ - ٣١٢ م
رومولوس: ابن ماكسنتيوس	
٤٩- ليكينيوس الأول	٣٠٨ - ٣٢٤ م
ليكينيوس الثانى	٣١٧ - ٣٢٤ م
ڤالنس	٣١٤ م

٣٢٤ م مارتنيان

٣٠٧ – ٣٣٧ م ٥٠– قسطنطين الأول

فاوستا: زوجة قسطنطين

هيلينا: زوجة قسطنطين

٣١٧ – ٣٢٦ م كريسبوس

٣٣٥ – ٣٣٧ م دالماتيوس

٣٣٥ – ٣٣٧ م هانيباليانوس

٣٣٧ – ٣٤٠ م ٥١– قسطنطين الثانى (فلاڤيوس – كلاوديوس – كونستانتيوس)

٣٣٧ – ٣٥٠ م ٥٢– كونستانس (فلاڤيوس يوليوس كونستانس)

٣٣٧ – ٣٦١ م ٥٣– كونستانيوس الثانى (فلاڤيوس – يوليوس كونستانتيوس)

٣٥٠ – ٣٥٣ م ماجننتيوس (فلاڤيوس ماجنوس ماجننتيوس)

٣٥١ – ٣٥٣ م ديكنتيوس

٣٥٠ م ڤتراتيو

٣٥٠ م نيبوتيان

٣٥١ – ٣٥٤ م كونستانتيوس جاللوس (فلاڤيوس – كلاوديوس – كونستانتيوس)

٣٦٠ – ٣٦٣ م ٥٤– چوليان الثانى (فلاڤيوس كلاوديوس يوليانوس)

٣٦٣ – ٣٦٤ م ٥٥– چوڤيان (فلاڤيوس يوڤيانوس)

٣٦٤ – ٣٧٥ م ٥٦– ڤالنتينيان الأول (فلاڤيوس فالنتينيانوس)

٣٦٤ – ٣٧٨ م ٥٧– فالنس (فلاڤيوس فالنس)

٣٦٥ – ٣٦٦ م بروكوبيوس

٣٦٧ – ٣٨٣ م ٥٨– جراتيان (فلاڤيوس جراتيانوس)

٣٧٥ – ٣٩٢ م ٥٩– ڤالنتينيان الثانى (فلاڤيوس ثيودوسيوس)

٣٧٩ – ٣٩٥ م ٦٠– ثيودوسيوس الأول (فلاڤيوس ثيودوسيوس)

أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول

٣٨٣ – ٣٨٨ م	ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس – كليمنس – ماكسيموس)
٣٨٧ – ٣٨٨ م	أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول
٣٨٣ – ٣٨٨ م	ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس – كليمنس – ماكسيموس)
٣٨٧ – ٣٨٨ م	فلاڤيوس ڤيكتور
٣٩٢ – ٣٩٤ م	يوچنيوس
٣٨٣ – ٤٠٨ م	٦١– أركاديوس (فلاڤيوس أركاديوس)
	يودوكسيا: أيليا يودوكسيا زوجة أركاديوس
٣٩٣ – ٤٢٣ م	٦٢– هونوريوس (فلاڤيوس هونوريوس)
٤٠٧ – ٤١١ م	قسطنطين الثالث
٤٠٨ – ٤١١ م	كونستانس
٤٠٩ – ٤١١ م	ماكسيموس
٤٠٩ – ٤١٠، ٤١٤ – ٤١٥م	بريسكوس أتاللوس
٤١١ – ٤١٣ م	چوڤينوس
٤١٢ – ٤١٣ م	سباستيانوس
٤٢١ م	كونستانتيوس الثالث
	جالا بلاكيديا
٤٢٣ – ٤٢٥ م	يوهانس
٤٠٢ – ٤٥٠ م	٦٣– ثيودوسيوس الثانى
	يودوكيا: أيليا يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى
	بولكيريا: أيليا بولكيريا ابنة أركاديوس
٤٢٥ – ٤٥٥ م	٦٤– ڤالنتينيان الثالث (بلاكيديوس ڤالنتينيانوس)
	ليكينيا يودوكسيا: زوجة ڤالنتينيان الثالث
	هونوريا: يوستاجراتا هونوريا ابنة كونستانتيوس الثالث

٤٥٠ – ٤٥٧ م	٦٥- ماركيان
٤٥٥ م	بترونيوس ماكسيموس
٤٥٥ – ٤٥٦ م	أڤيتوس
٤٥٧ – ٤٧٤ م	٦٦- ليو الأول
	ڤرينا: أيليا ڤرينا زوجة ليو الأول
٤٧٣ – ٤٧٤ م	٦٧- ليو الثانى
٤٥٧ – ٤٦١ م	ماچوريان
٤٦١ – ٤٦٥ م	سڤيروس الثالث
٤٦٧ – ٤٧٢ م	أنتميوس
	يوفيميا: أيليا ماركيا يوفيميا
٤٧٢ م	أوليبريوس
٤٧٣ – ٤٧٤ م	جليكريوس
٤٧٤ – ٤٧٥ م	٦٨- يوليوس نبوس
٤٧٥ – ٤٧٦ م	٦٩- رومولوس أغسطس
٤٧٤ – ٤٩١ م	٧٠- زينو
	اريادنى: أيليا أريادنى زوجة زينو
٤٧٥ – ٤٧٦ م	باسيليسكوس
٤٨٤ – ٤٨٨ م	زنونيس: أيليا زنونيس زوجة باسيليسكوس
	ليونتيوس
٤٩١ – ٥١٨ م	٧١- أناستاسيوس الأول

ملحق (٦)

ثبت بالاختصارات والنقوش التي تظهر على العملة الرومانية

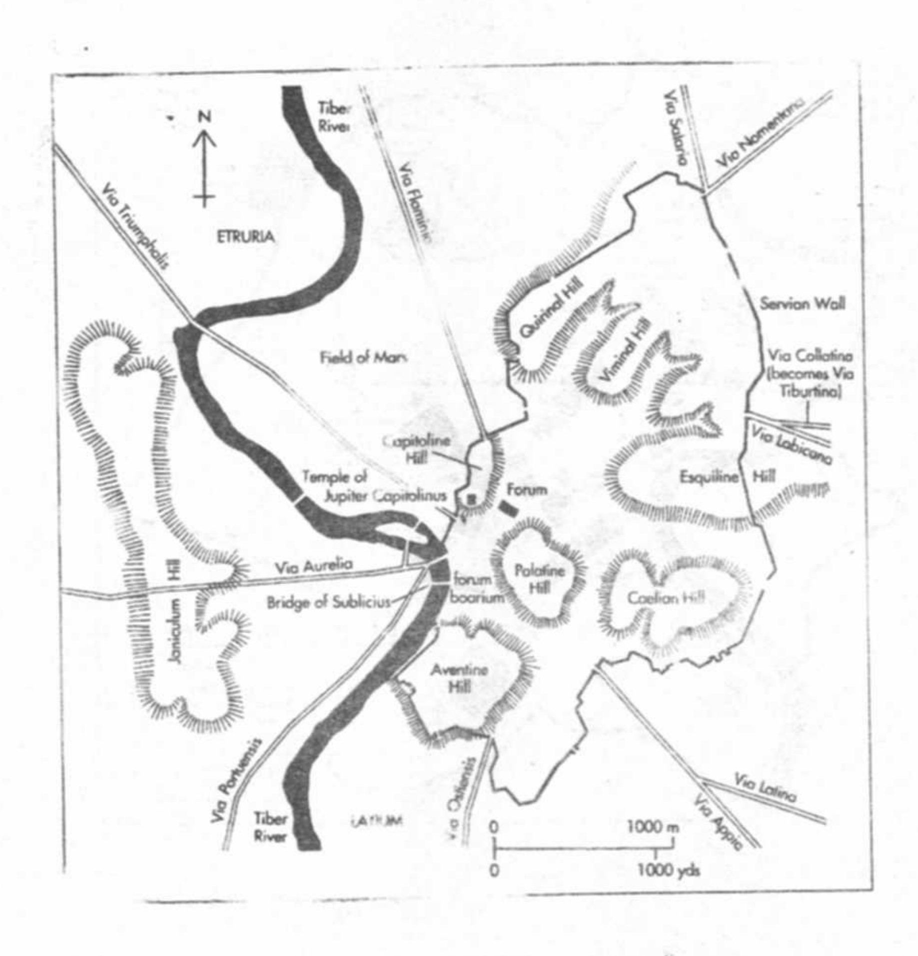
A	= Aulus, Annius
A'ET.	= Aetarnitas
AFR,	= Africanus.
ARAB,	= Arabia adquisita.
ARM,	= Armeniacus.
AV,	= Aurelius, Augustus, Augusta.
AVG.F.	= Augusti filius (filia).
AVG.D.F.	= Augusti divi filius.
AVGG,	= Duorum Augustorum.
AVGGG.	= Trium Augustorum
BON, EVENT.	= Bonus Eventus.
BRT.	= Britannicus.
C.	= Caius, Caesar, Consul, Consulto.
CAE.	= Caelius.
COM., COMM.	= Commodus.
CONC.	= Concordia.
CONOB.	= Constantinopoli Obryziacum.
COS.	= Consul.
COSS.	= Consules.
D.	= Dacicus, Decimus, Divus, Designatus, Dominus,
DAC.	= Dacicus.
D.C.A.	= Divus Caesar Augustus.
DD.	= Duo Domini.
DDD	= Tres Domini.
DD.NN.	= Domini Nostri.
DEC.	= Desius, Decennalia.

DIVIF.	= Divi filius.
D. N.	= Dominus Noster, Domina Nostra.
ETRV.	= Etruscus (Herennius).
F.	= felix.
F.	= filius.
FE.	= felix.
G.	= Galerius (Maximianus).
GEN.	= Genius, Genio.
G.P.R.	= Genio populi Romani.
GER. GERM.	= Germania, Germanici, Geremanicus.
G.M.	= Germanicus maximus.
G.M.Q.	= Gnaeus Messius Quintus (Traianus Decius).
HILAR.	= Hilaritas.
I.	= Jovius.
IMP.	= Imperator.
INDVLG.	= Indulgentia.
INV., INVIC.	= Invictus.
I.O.M.	= Jovi Optimo Maximo.
IVL.	= Julia, Julius.
IVN.	= Junior.
L.	= Lucius Legio, Ludi.
LA. LAT, LATL.	= Latienus (Postumus).
LEG.	= Legio.
LIC, LICI, LICIN.	= Licinius.
M	= Marcus, mater, Martia (legio), maxima (victoria), maximo (Jovi optimo m.). maximus (pontifex m.). Messius, Minervia (legio), Moneta, multis (votis).
M. AN.	= Marcus Annius (Florianus).
MAR.	= Marcus, Mars, Marti.
MAT.	= mater.

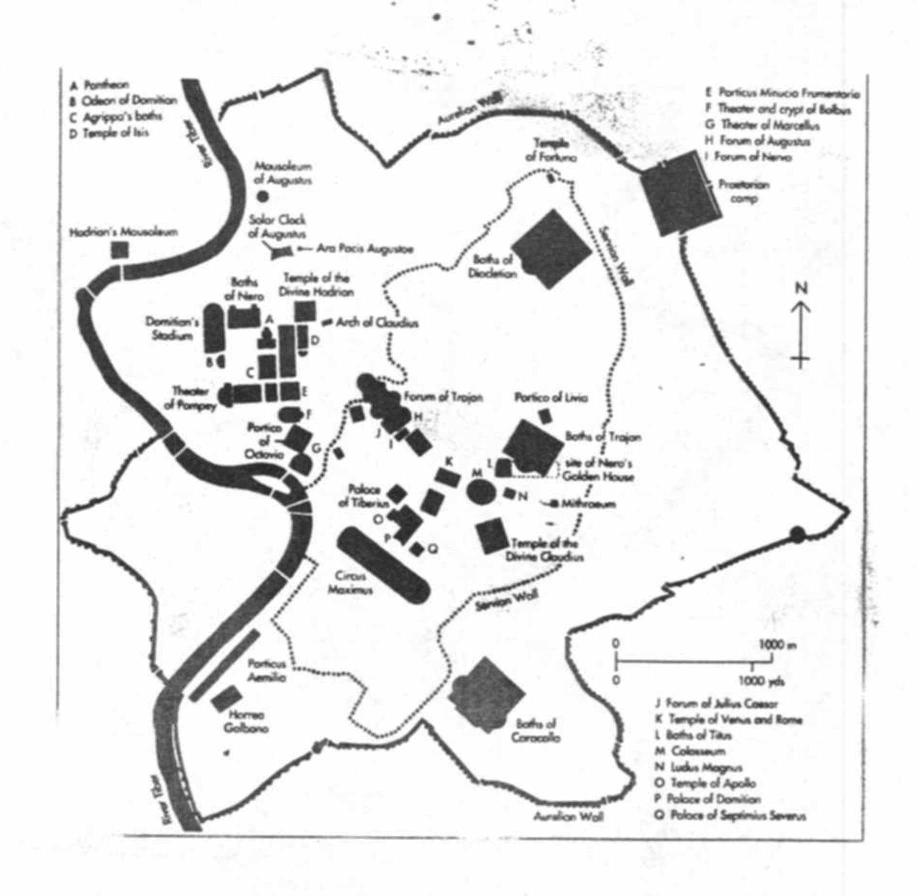
MAX.	maxima (victoria), maximus (pontifex), Maximus
MERC.	= Mercurio.
MESS.	= Messius.
MIN.	= Minerva.
N.C.	= Nero Caesar, Nobilissimus Caesar, Nostri Caesaris.
NE. CAES.	= Nerone Caesare.
NEPT.	= Neptunus.
OPT.	= Optimus.
OT, OTAC.	= Otacilia.
P.	= Pontifex (maximus).
P.R.	= Populus Romanus.
P.	= Potestas (Tribunicia potestate).
PAR.	= Parthicus.
PART.	= Parthicus.
P.,B.,G.MAX.	= Parthicus, Britannicus, Germanicus Maximus
PER, PERS.	= Persicus.
PER., PERT.	= Pertinax (Septimius Severus).
P.F.	= Pius Felix.
PL., PIAV.	= Piavonius (Victorinus).
PI.	= Pius.
PI. A.	= Pius Augustus.
PII F.	= Pii Filius.
P.L., P. LIC.	= Publius Licinius (Valerianus).
P. MAX.	= Parthicus Maximus.
POT.	= Potestate (tribunicia pot.).
P.Q.R.	= Populusque Romanus.
P.R.	= Populus Romanus.
PROCONS.	= Proconsul.
PROVID.	= Providentia.
P.R.VOT.	= Populi Romani Vota.
Q.	= Quintus.

R.P.	= Reipublicae.
S,M.	= Sacra Moneta.
SAEC. AVR.	= Saeculum Aureum.
S.C.	= Senatus Consulto.
SE.	= Severus (Alexander).
SENAT.	= Senatus.
SEN. ETP. R.	= Senatus et Populus Romanus.
SEP., SEPT.	= Septimius (Severus).
SER.	= Servius (Galba).
SEV.	= Severus, Severa.
S.P.Q.R.	= Senatus Populusque Romanus.
S.R.	= Senatus Romanus.
SVL., SVLP.	= Sulpicius (Galba).
T.	= Tiberius, Titus, Tribunicia (Potestate).
T.AEL.	= Titus Aelius (Antoninus Pius).
TL.	= Tiberius, Titus.
TR.P.	= Tribunicia Potestate.
TRBV.P.	= Tribunicia Potestate.
V.	= Valens (V. Hostilianus).
V.	= V. Valerius.
V.	= Vibius (Volusianus).
V.	= Vota.
VAL.	= Valens (Hostilianus), valerius.
VEND.	= Vendumnianus (Volusianus).
VER.	= Verus (Maximus Caesar).
VIB.	= Vibius (Volusianus).
VIC.	= Victiori (Jovi), Victoria (Augusti).
VICTR.	= Victrici (Dianae, Veneri).
VIRT.	= Virtus.

الخرائط والرسوم والصور والأشكال التوضيحية



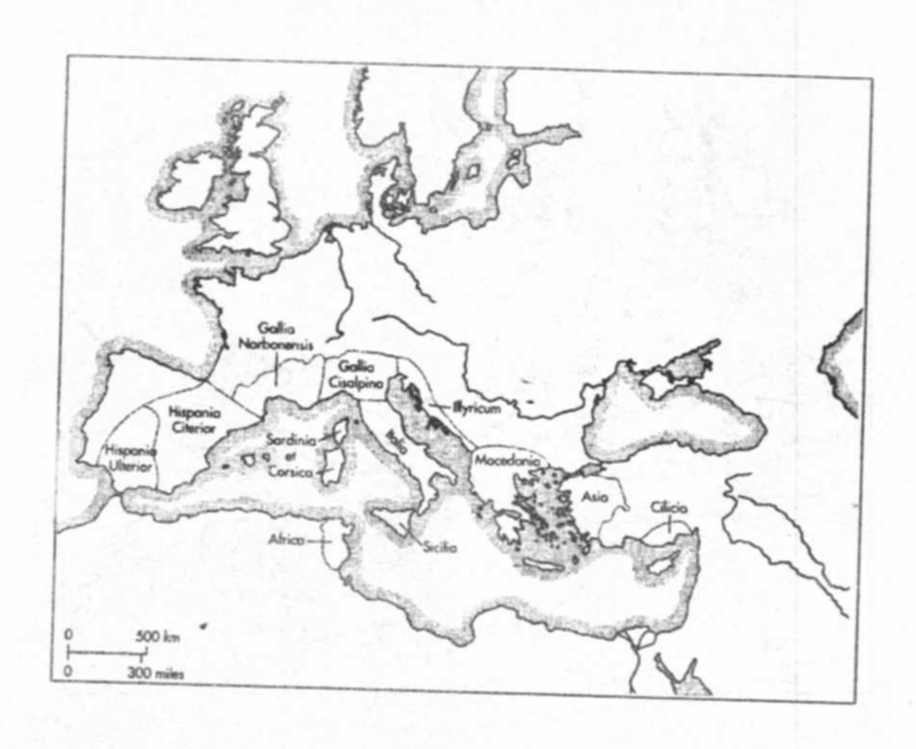
شكل (١)
روما فى العصر المبكر (التلال السبعة)



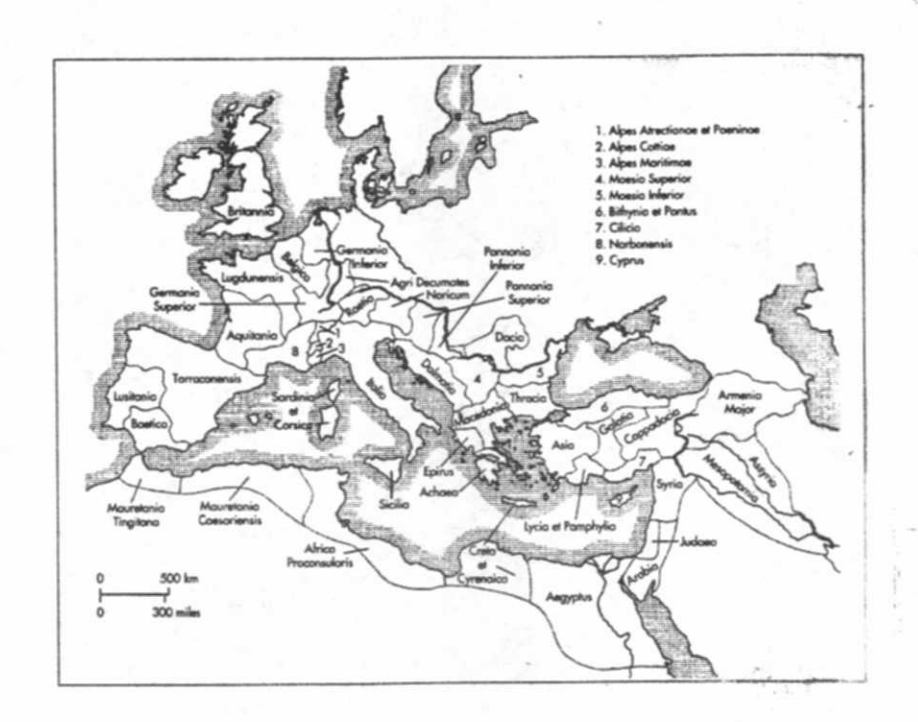
شكل (٢)
روما فى العصر الإمبراطورى (المعالم الرئيسية)



شكل (٣)
العالم الرومانى فى ١٠٠ق.م



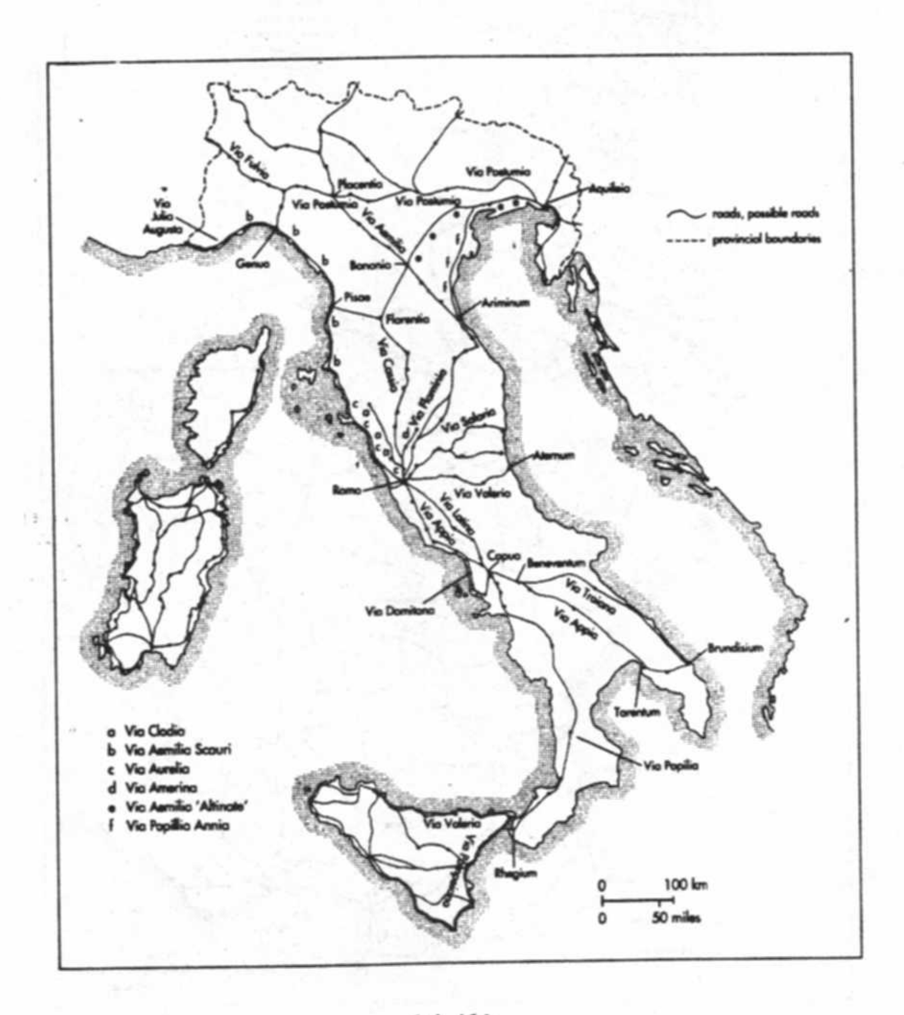
شكل (٤)
العالم الرومانى فى ٤٤ ق.م



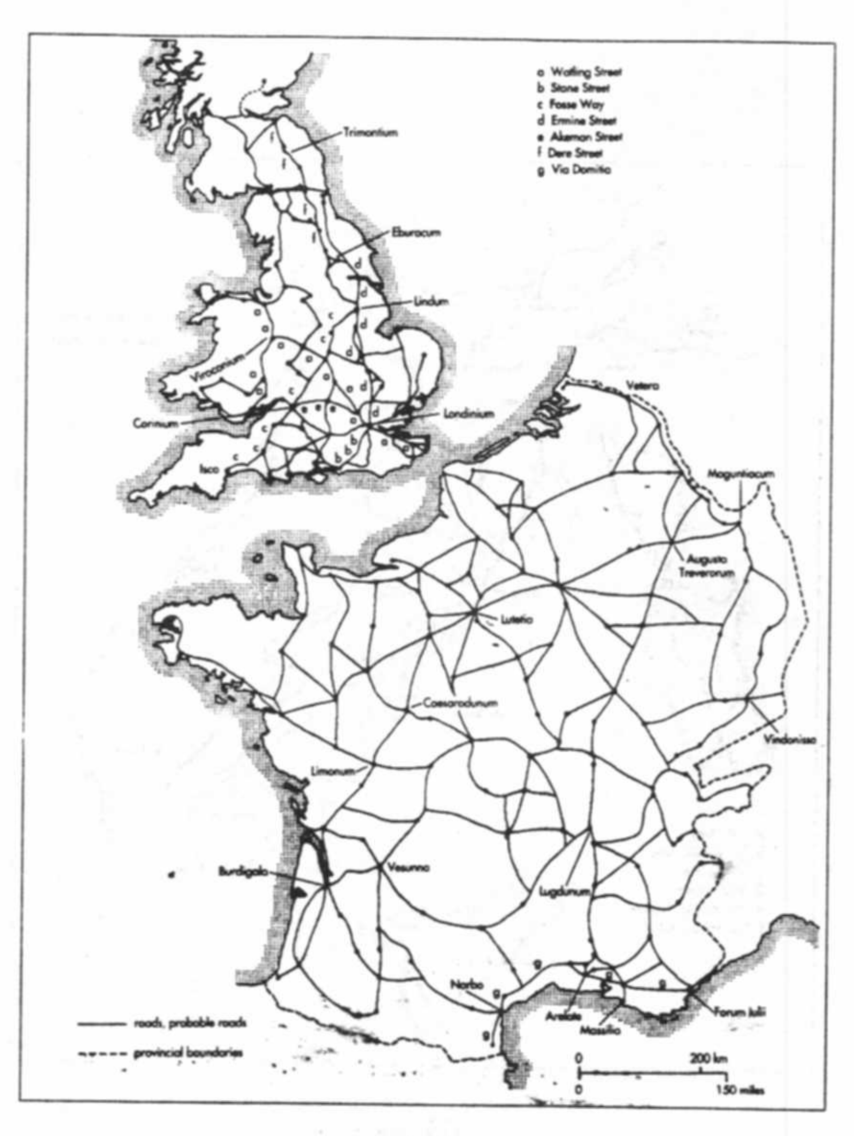
شكل (٥)
الإمبراطورية الرومانية فى ١١٧ م



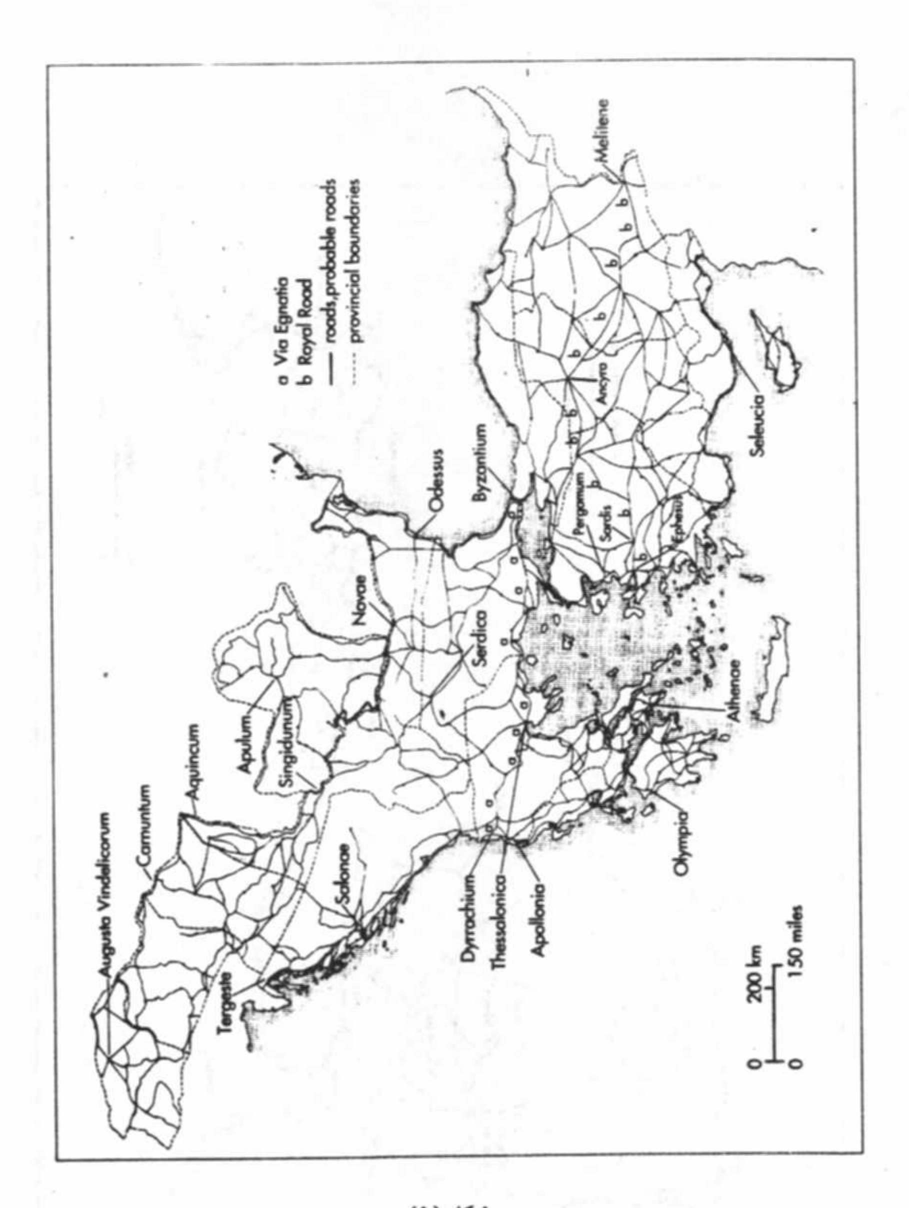
شكل (٦)
الإمبراطورية الرومانية فى٢١١ م



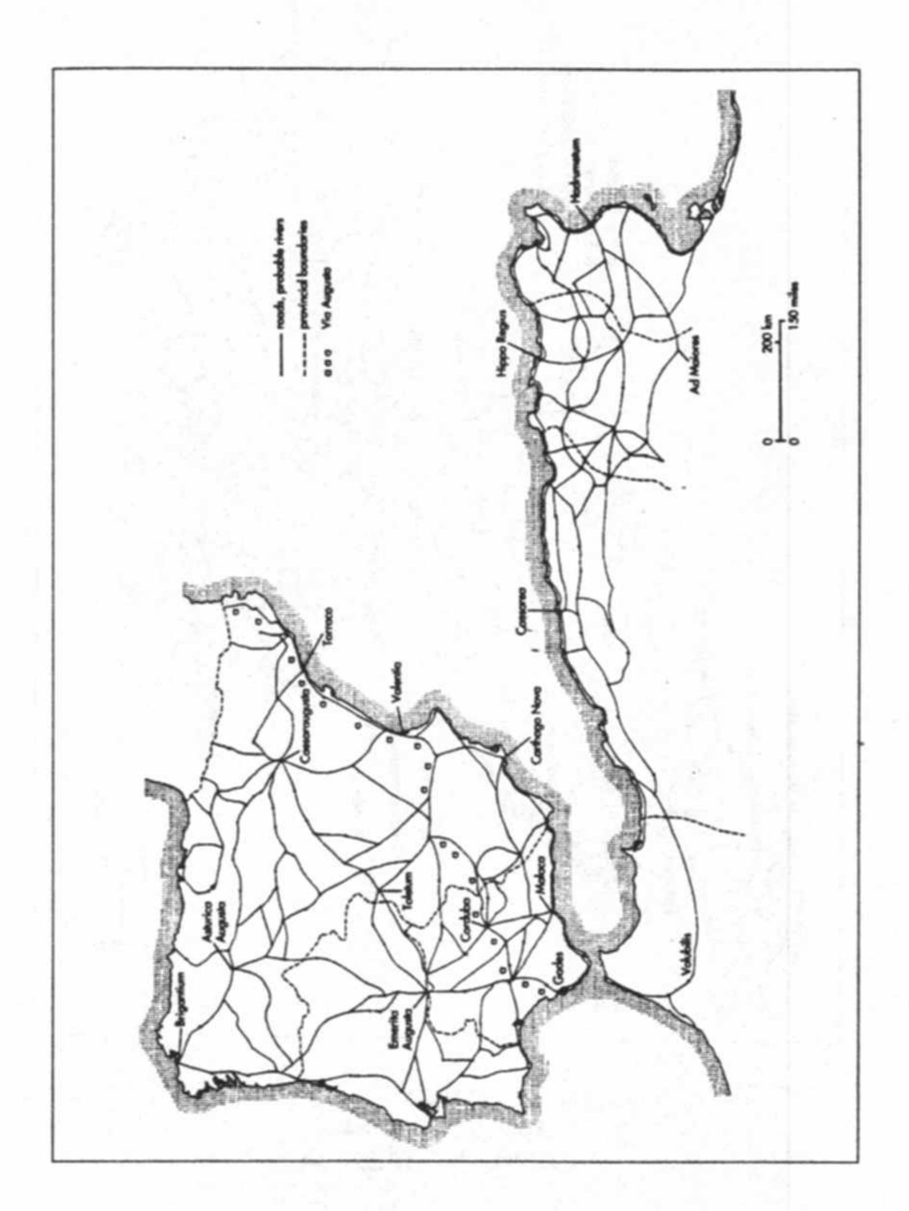
شكل (٧)
شبكة الطرق الرومانية فى ايطاليا
وساردينيا وكورسيكا



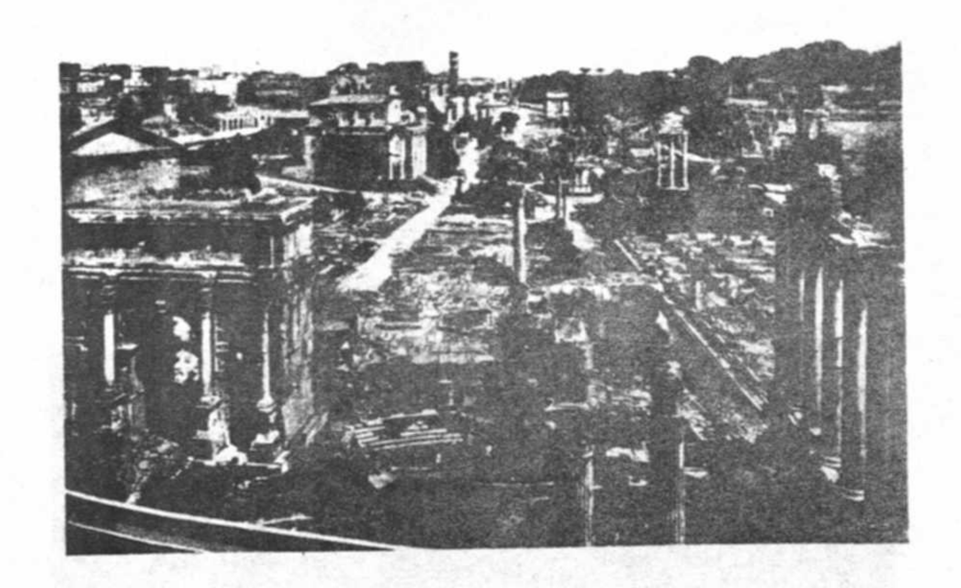
شكل (٨)
شبكة الطرق الرومانية فى بلاد
الغال والمانيا وبريطانيا



شكل (٩)
شبكة الطرق الرومانية
فى شرق اوروبا وآسيا الصغرى



شكل (١٠)
شبكة الطرق الرومانية
فى مصر وسوريا



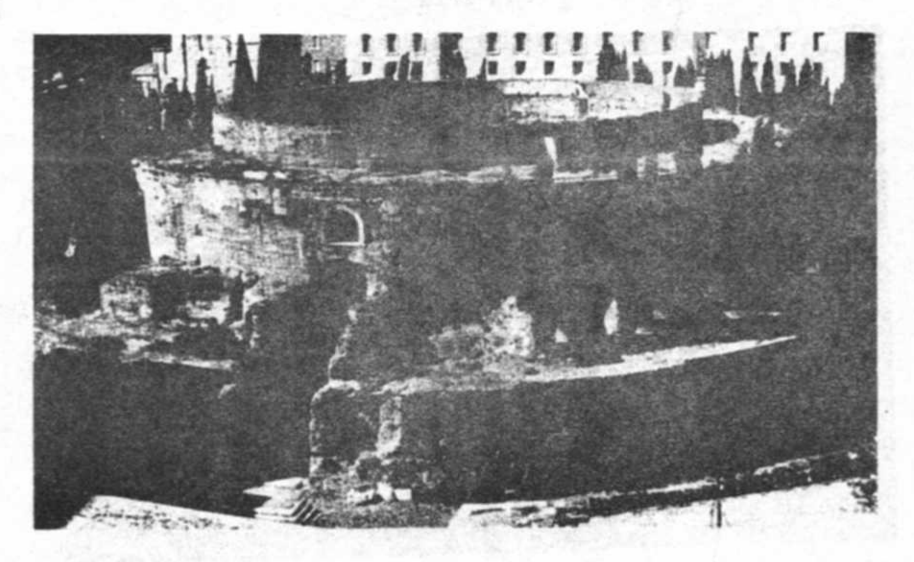
شكل (١١)
الفوروم الرومانى

شكل (١٢)
حجرة النوم فى ڤيلا بوسكوريالى بالقرب
من بومبى . منتصف القرن الأول ق.م



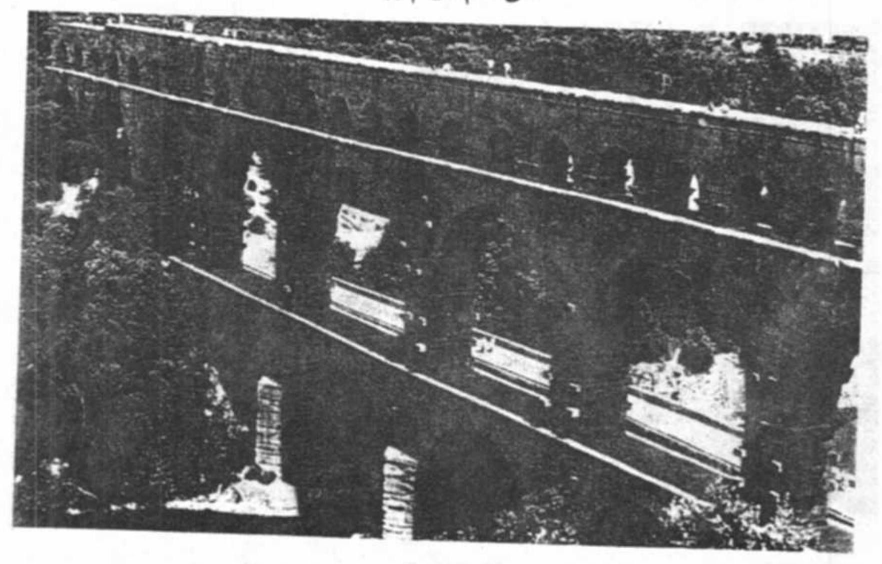
شكل (١٣)
بورتريه اوغسطس فى هيئة كاهن

شكل (١٤)
معبد الإله مارس فوروم أوغسطس
روما



شكل (١٥)
مقبرة اوغسطس
روما

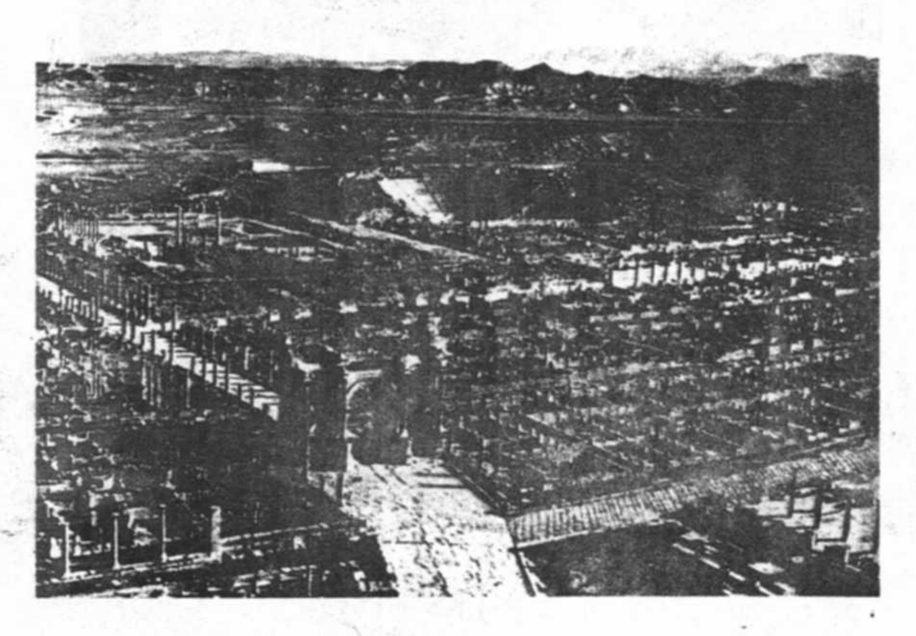
شكل (١٦)
مذبح السلام. اهدى إلى اوغسطس
فى عام ٩ق.م روما



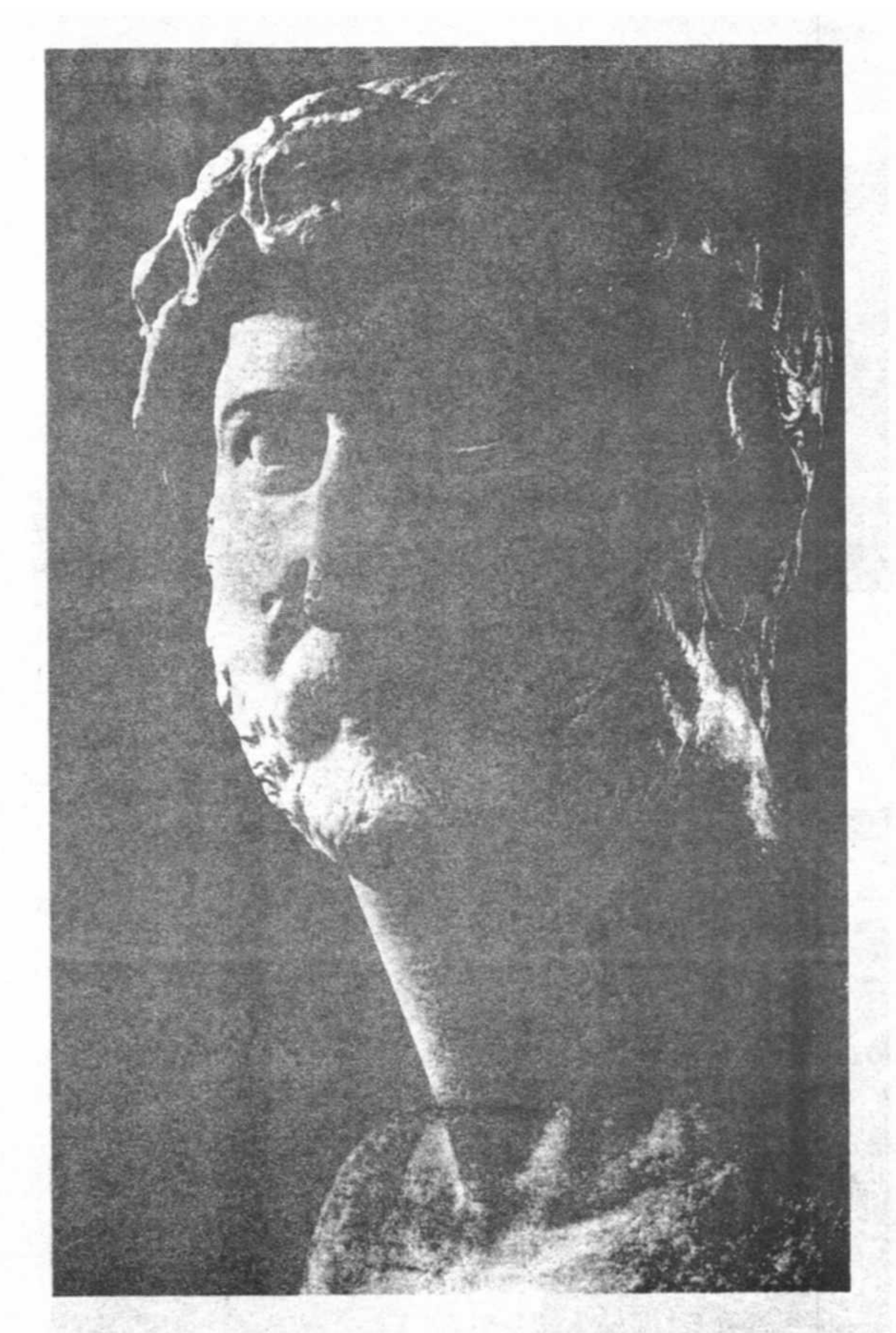
شكل (١٧)
اكوى دكتسى من ثلاثة طوابق - بونت دى جارد - فرنسا
منتصف القرن الأول الميلادى. الإرتفاع ٥٠ متر تقريبا.



شكل (١٨)
سوق تراچان . روما
حوالى ١٠٠م - ١١٢ م.



شكل (١٩)
مدينة تيمجاد . الجزائر



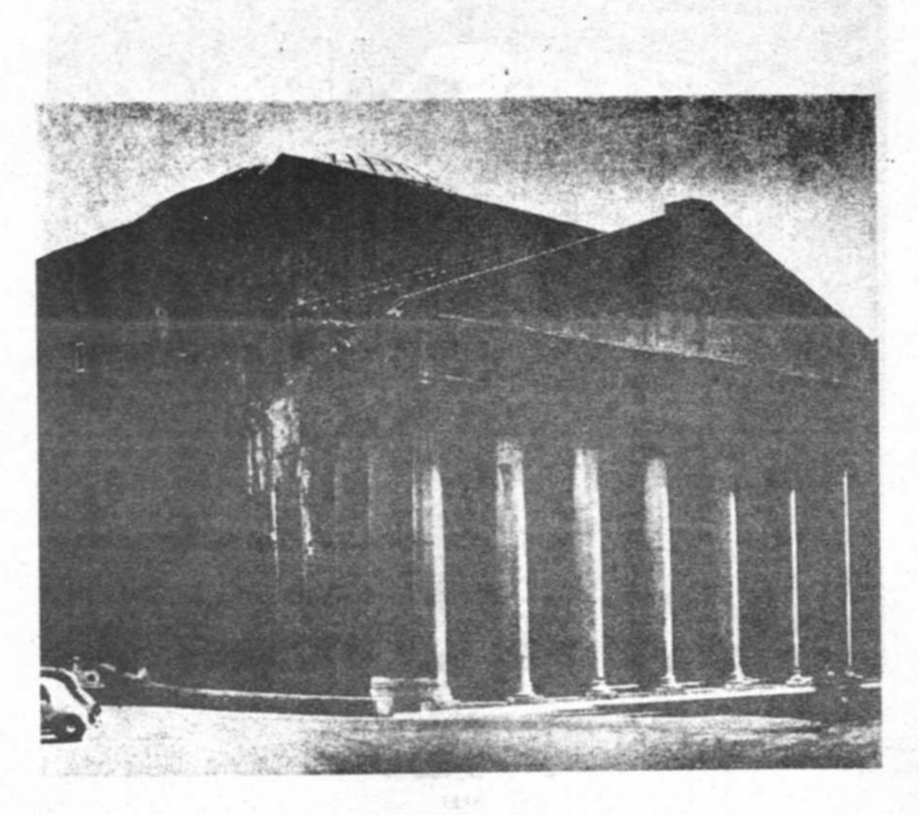
شكل (٢٠)
الإمبراطور هادريان



شكل (٢١)
الإمبراطور كاركلا



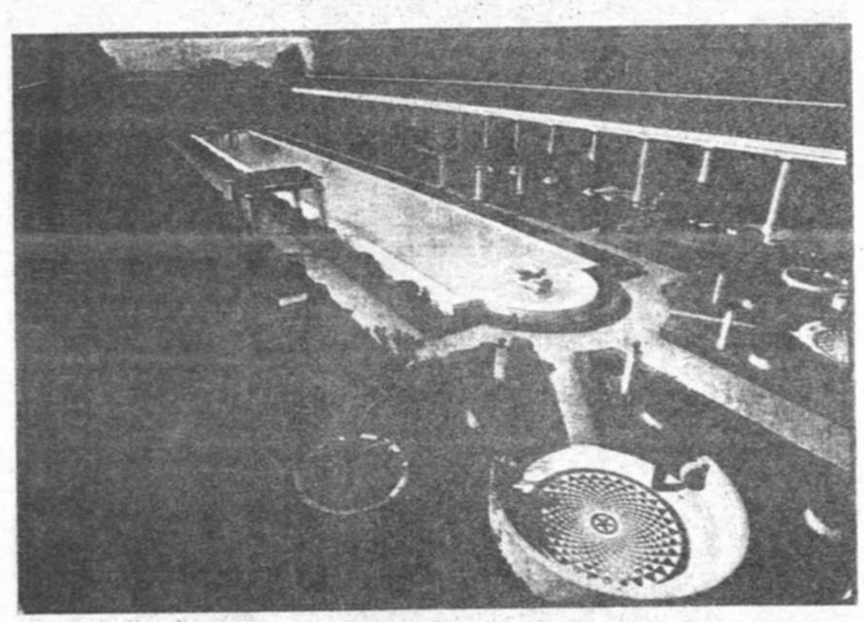
شكل (٢٢)
الكولسيوم - روما
منظر من الجو



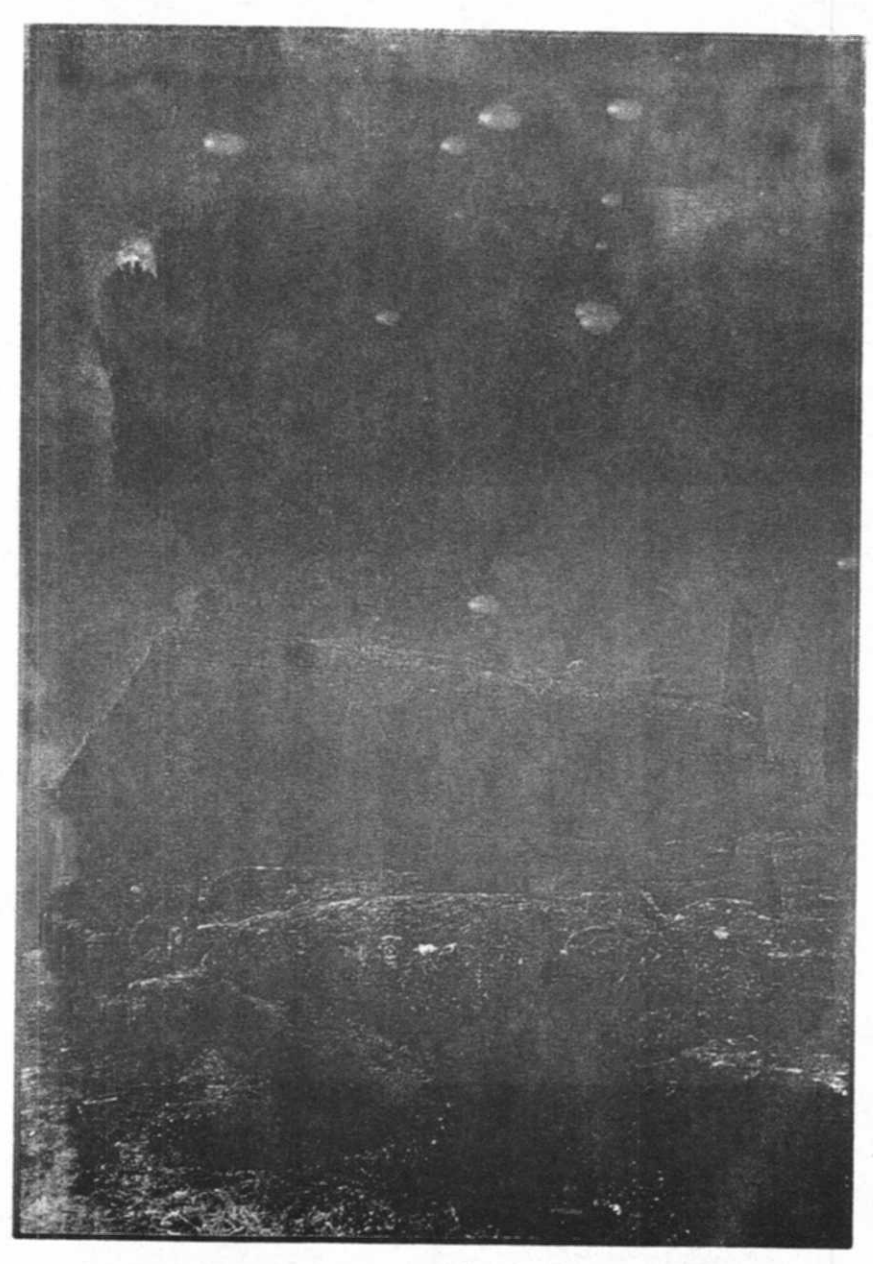
شكل (٢٣)
البانثيون من الخارج
روما



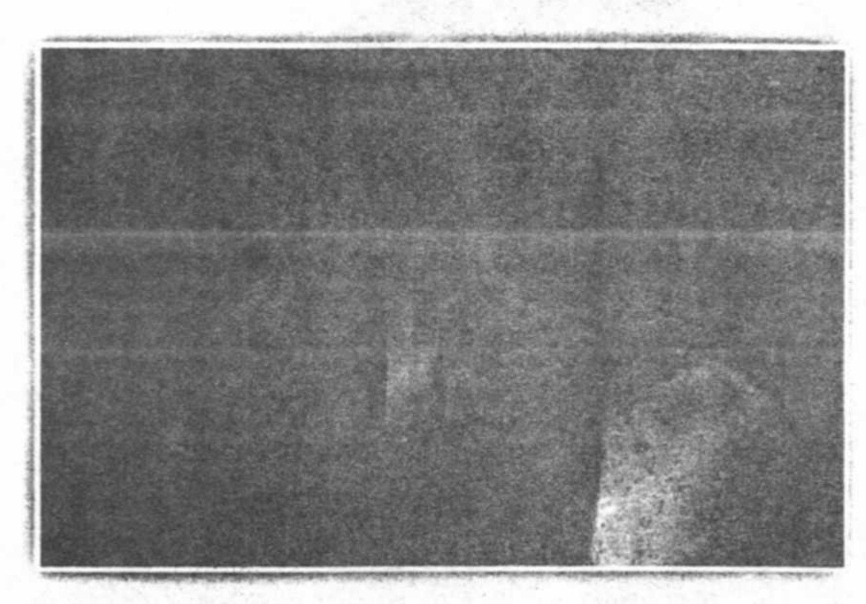
شكل (٢٤)
البانثيون من الداخل
روما



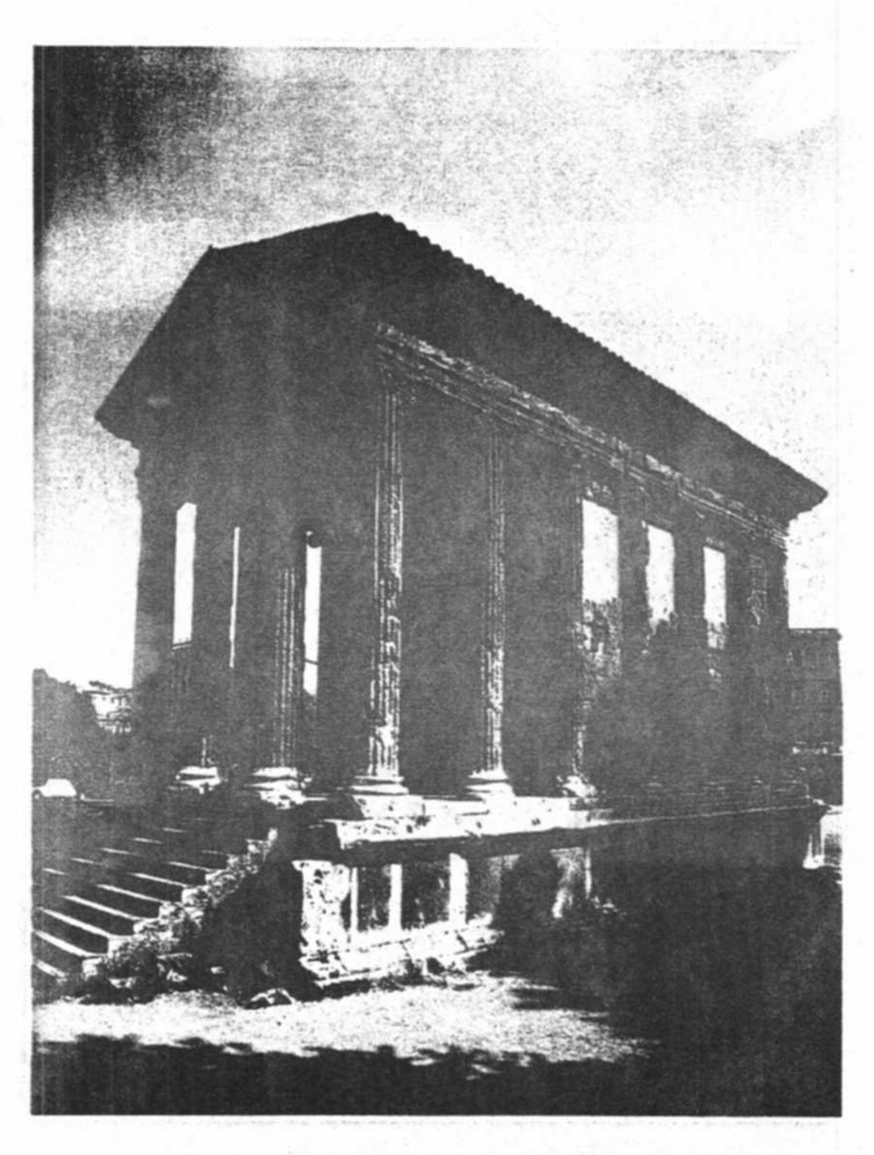
شكل (٢٥)
ڤيلا رومانية - ڤيلا بابيرى - هيركولانيوم
إعادة تصور بمتحف بول جيتى بماليبو - كاليفورنيا



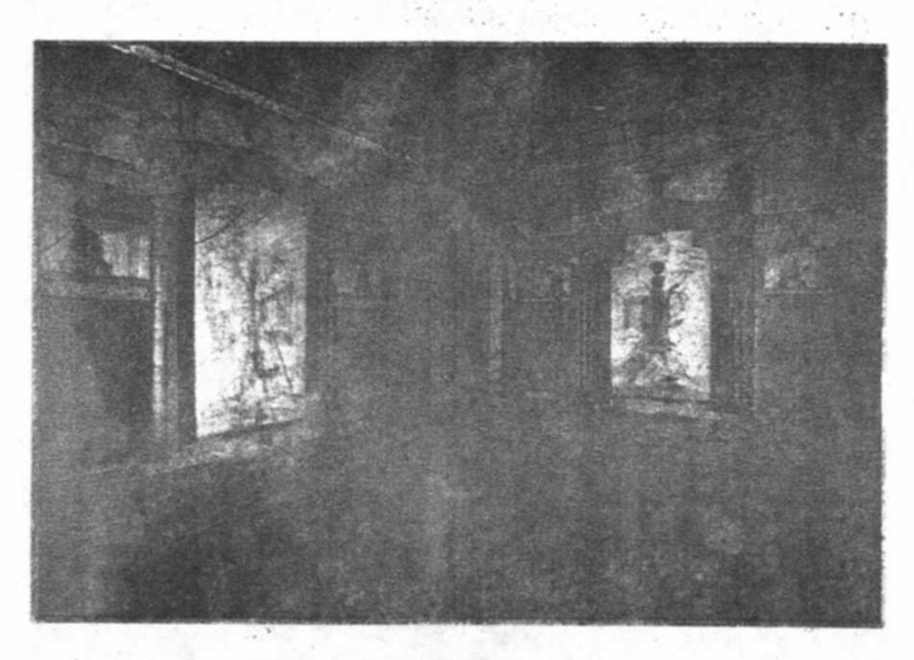
شكل (٢٦)
مقبرة اتروسكية القرن السابع إلى الرابع ق.م



شكل (٢٧)
مقبرة اتروسكية من الداخل
تابوتين على الجانبين



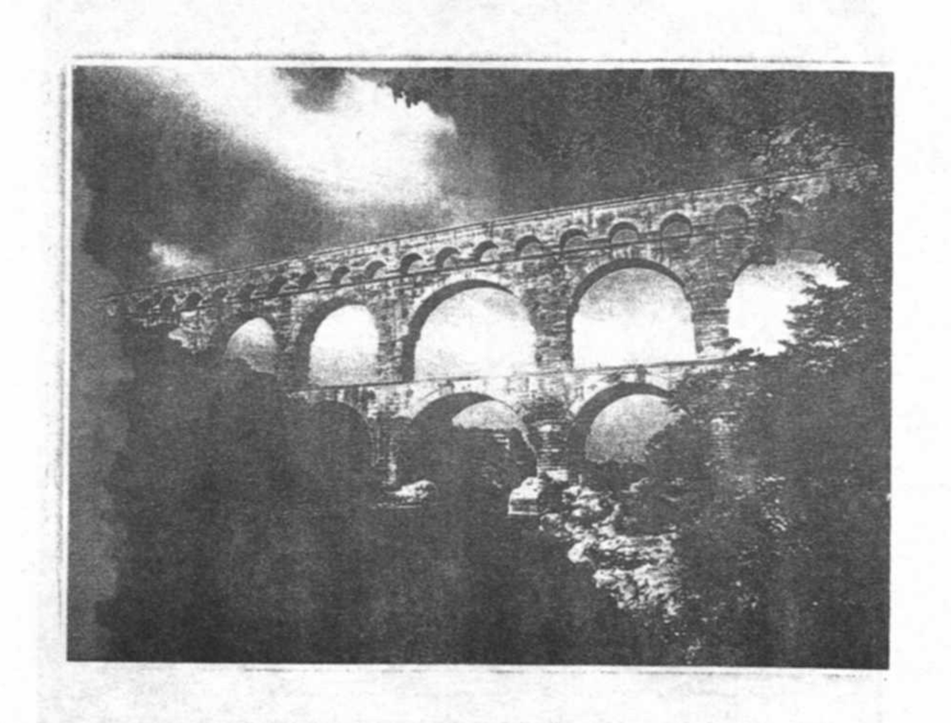
شكل (٢٨)
معبد الإلهة فورتونا فى روما ـ حوالى ١٠٠ ق.م



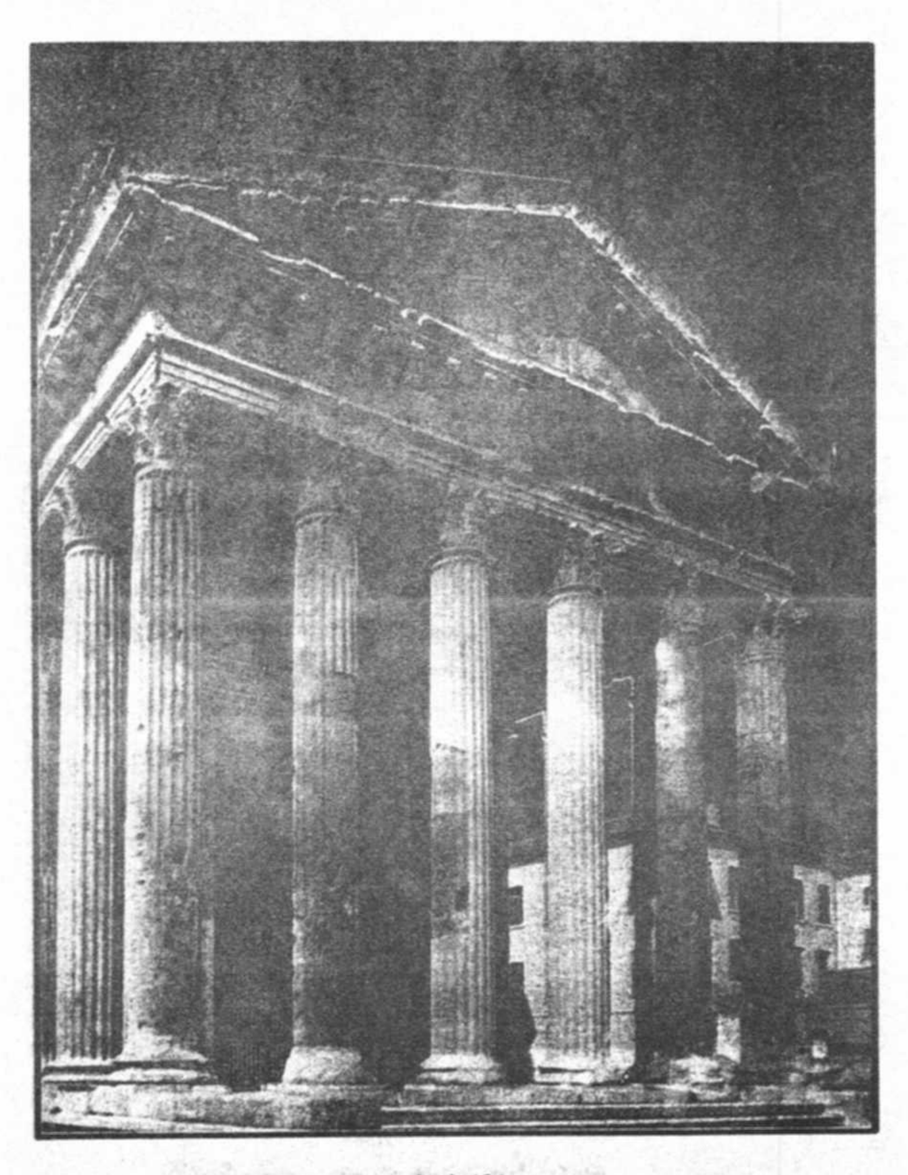
شكل (٢٦)
منزل اوغسطس على تل البالاتين
منظر داخلى. حوالى ٢٥ ق.م



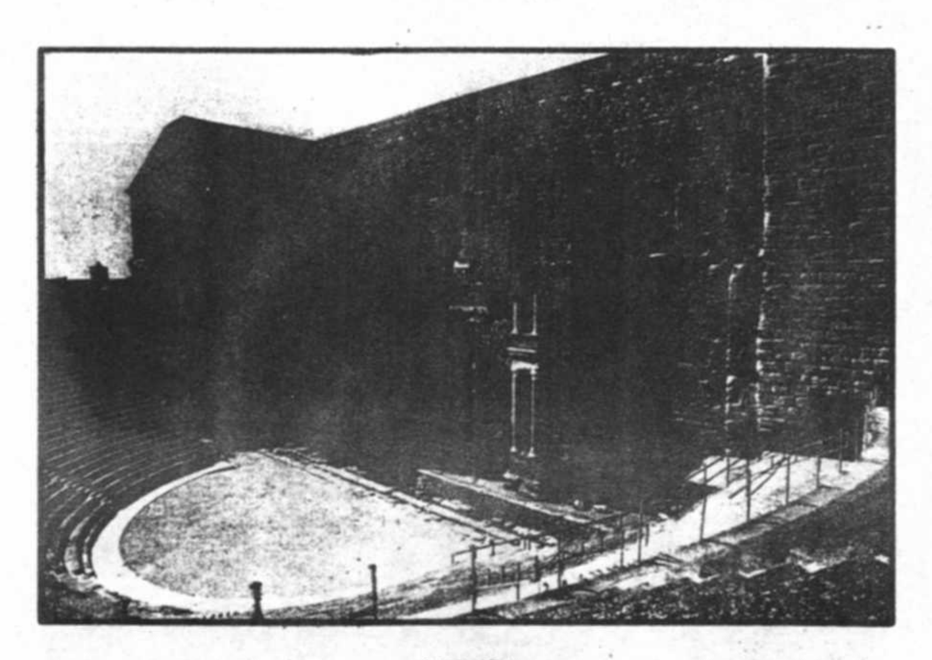
شكل (٣٠)
فيلا شيشرون(؟) فى مدينة فورميا على خليج جايتا
بدايات العصر الإمبراطورى



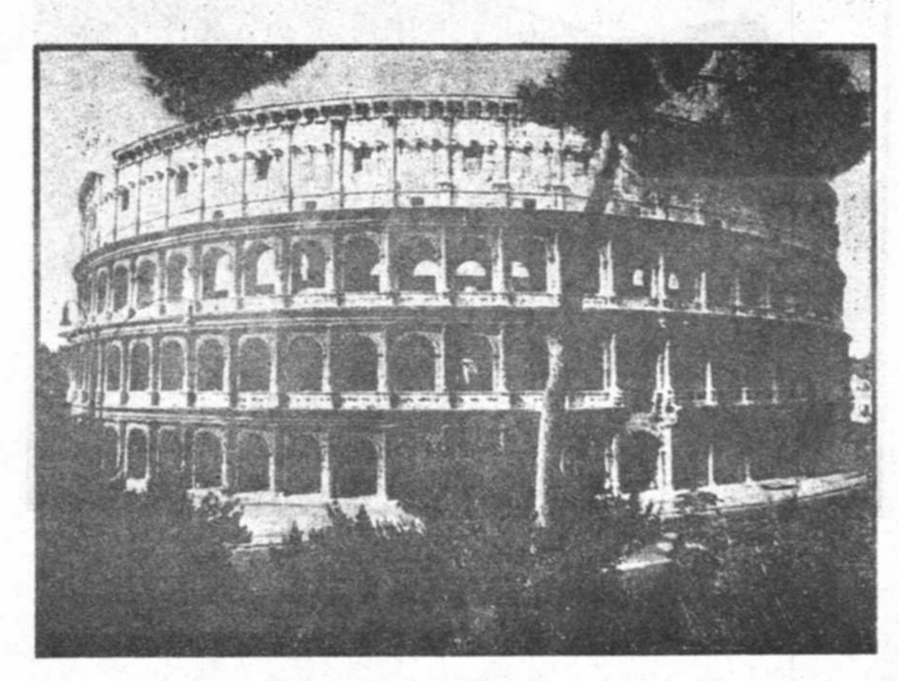
شكل (٣١)
اكوي دكت نيمس - عبر نهر جاردون بطول ٢٠٠ متر
وارتفاع ٥٠ متر - عصر اجريبا (١٩ ق.م)



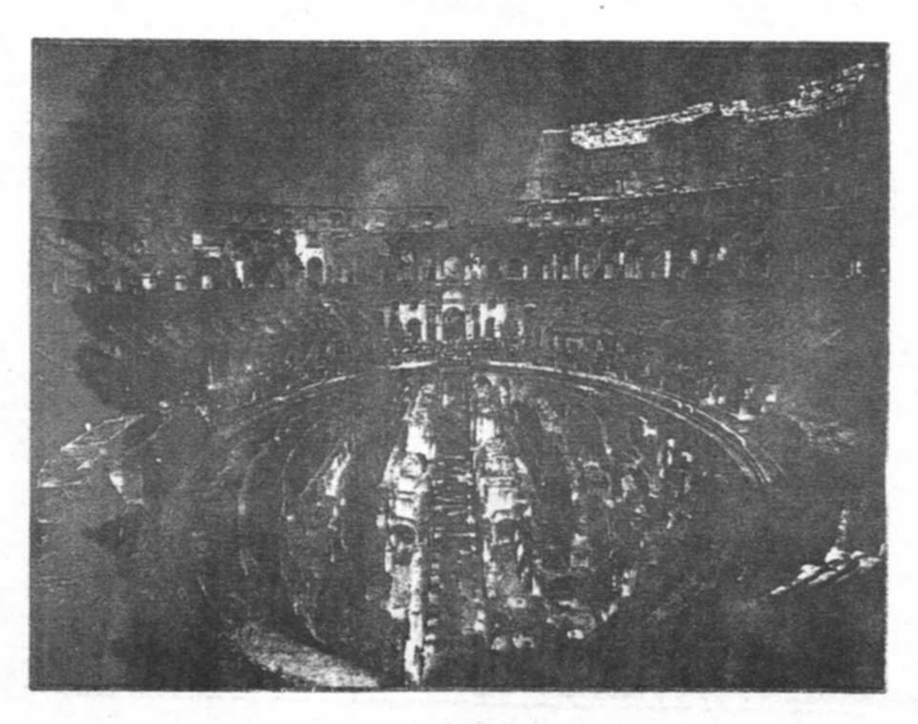
شكل (٣٢)
معبد مدينة فيينا - مهدى إلى اوغسطس وروما فى ١٥م



شكل (٣٢)
مسرح اورانج عصر تيبيريوس وكلاوديوس
الخلفية بارتفاع ٣٧ مترا .



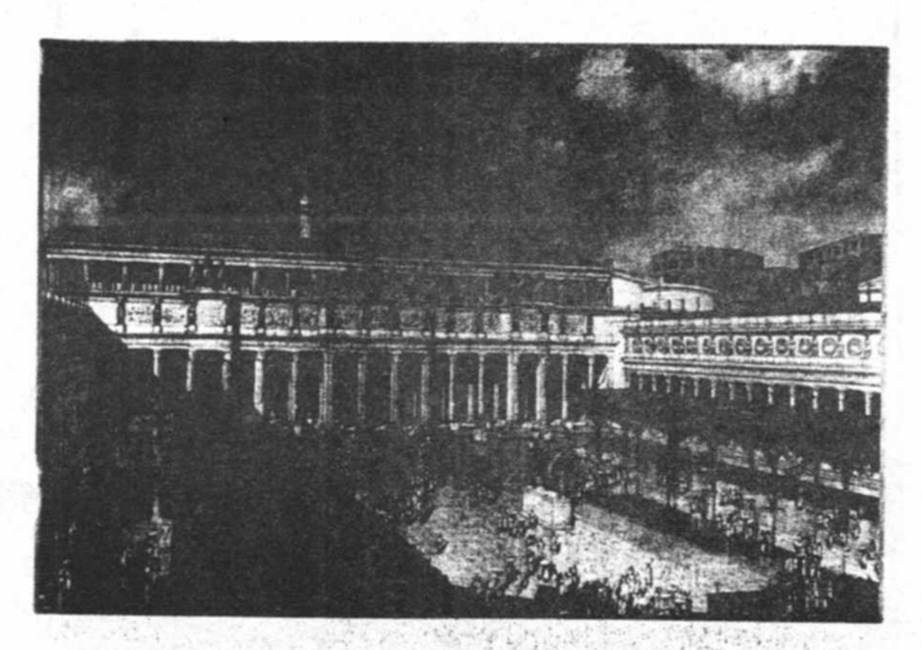
شكل (٣٤)
الكولسيوم من الخارج



شكل (٣٥)
الكولسيوم من الداخل
السعة ٧٠٠٠٠ متفرج. أغلب مقاعد المتفرجين غير موجودة.



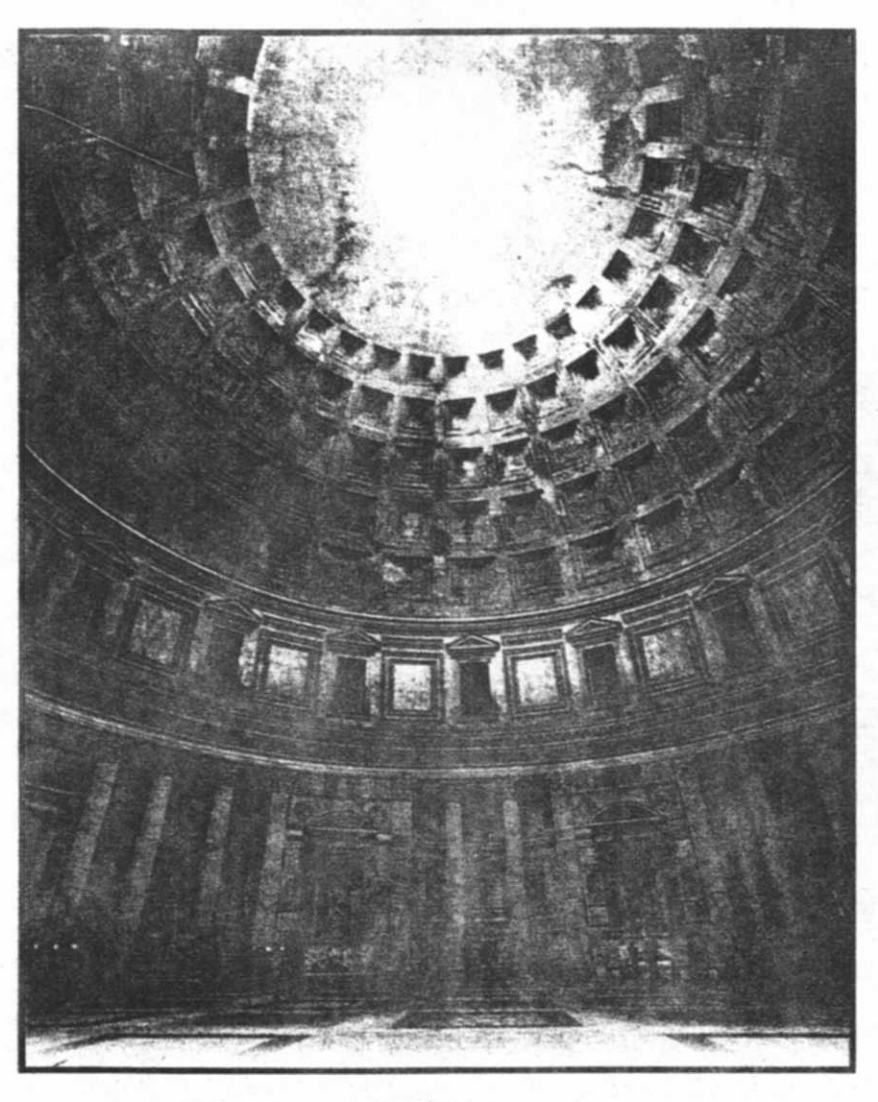
شكل (٣٦)
طريق ميركورى
الطريق إلى الفوروم. مدينة بومبى.



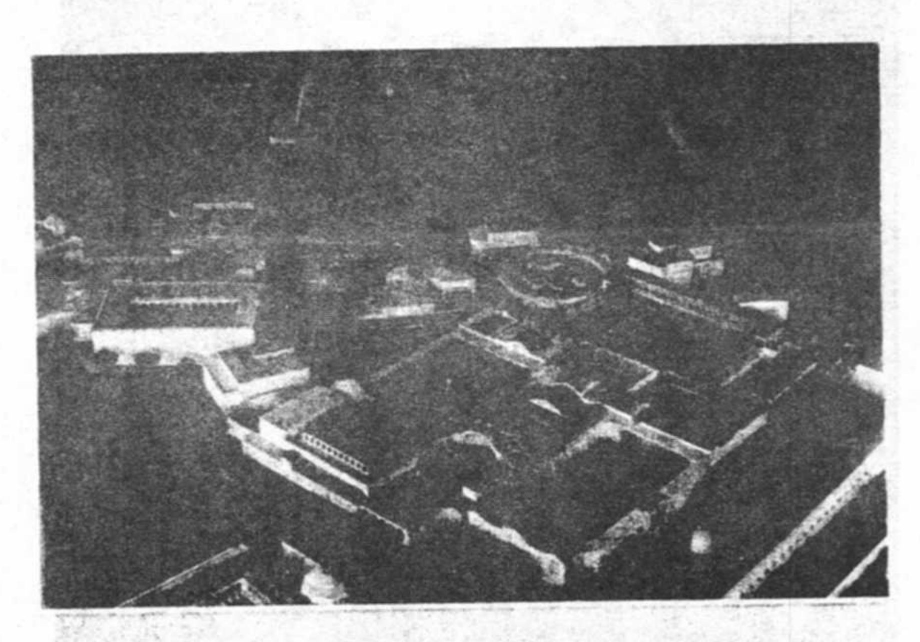
شكل (٣٧)
سوق تراچان فى روما - إعادة تصور



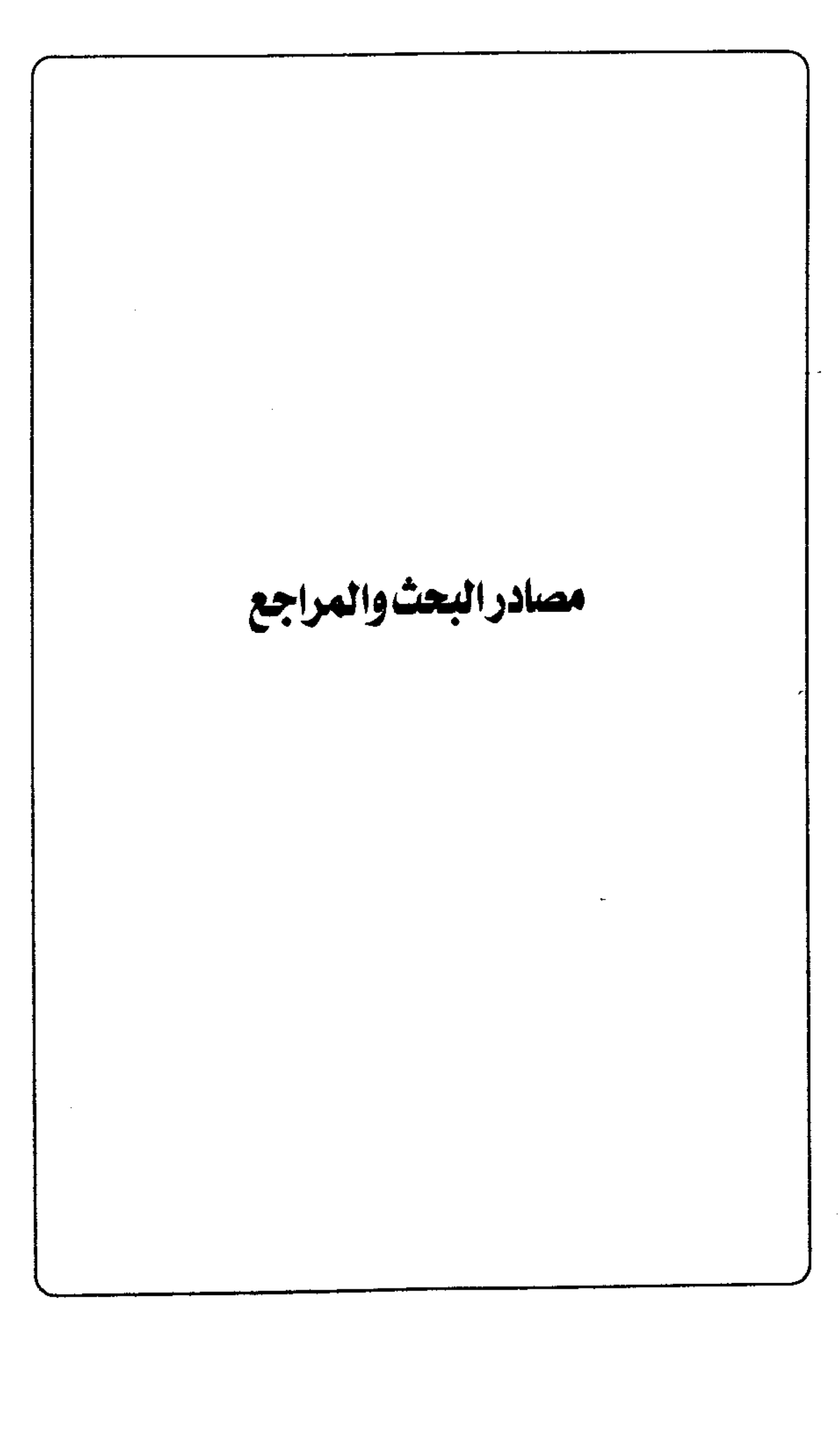
شكل (٣٨)
البانثيون من الخارج - روما
عصر الإمبراطور هادريان.



شكل (٣٩)
البانثيون من الداخل - روما



شكل (٤٠)
ڤيلا هادريان فى تيڤولى - إعادة تصور



مصادر البحث والمراجع



١- مصادر البحث:

Dio - Cassius, LCL

Eusebius, LCL

Pliny, Historia Naturalis, Epistulae. Lcl, Prophyrius. Vita Plotini.

Propertius, LCL.

Suetnius, LCL.

Tacitus, Annales, LCL.

Vergilius, Aen., LCL.

٢- المراجع العربية والمعربة:

١- ارنولد توينبى، مختصر دراسته التاريخ، ترجمة محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦

٢- أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥ .

٣- السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١.

٤- المسعودى، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الجزء الأول، بيروت.

٥- أ. هـ. م جونز، «آراء فى سقوط الإمبراطورية الرومانية»، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٢٣، الجزء الأول، مايو ١٩٦١.

٦- ابن الفقيه، «مختصر البلدان».

٧- ابن رسته، «الاعلاق النفيسة».

٨- إدوارد جيبون، «اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد أبو دره، مراجعة نجيب هاشم، الجزء الأول.

٩- اسرائيل ولفنسون، «تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧.

١٠- برايس ف. ن، «القسطنطينية فى عصر جيستينيان» موسوعة تاريخ العالم، ترجمة لفيف من الأساتذة، المجلد الرابع.

١١- توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة -٢- العصور المتوسطة والأوروبية والإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩.

١٢- حسين أحمد الشيخ، الرومان، دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة (٢)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

١٣- ....، العصر الهللينستى، مصر، دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة (٣)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩م،

١٤- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٥، الجزء الأول.

١٥- سهير إبراهيم نعينع، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤.

١٦- سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٧- ....، الروم والمشرق العربى، مركز النشر لجامعة القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٩٣،

١٨- عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الرومانى، عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى اوكتافيانوس اغسطس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

١٩- عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١ .

٢٠- فؤاد حسن زكريا، التاسوعة الرابعة لأفلوطين، الدار القومية، ١٩٧١، القاهرة.

٢١- فيليب اميل لجران، شعر الاسكندرية، ترجمة محمد صقر خفاجة، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، ١٩٥٢ .

٢٢- كانتور، تاريخ العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، مراجعة د. على النحراوى، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧٧ .

٢٣- كريستوفر دوسن، تكوين أوروبا، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة و د. سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٧ .

٢٤- كولتون ج. ج، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية، ١٩٦٧ .

٢٥- ليلى عبد الجواد، المؤرخ المصرى، العدد الرابع.

٢٦- مجدى السيد أحمد كيلانى، المدارس الفلسفية المتأخرة، المركز الاستشارى المصرى للتدريب ونشر البحوث العلمية، الاسكندرية، ٢٠٠٦ .

٢٧- محمد السيد عبد الغنى، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهورى، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهورى المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥ .

٢٨- محمد إسماعيل النبوى، الهند وحضارتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٩- محمد حمدى ابراهيم، الأدب السكندرى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥ .

٣٠- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٣١- محمد محمود الحويرى، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥.

٣٢- محمود سعيد عمران، مقالات فى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤.

٣٣- مراد كامل، حضارة مصر فى العصر البيزنطى، تاريخ الحضارة المصرية، ٢٠٠٥.

٣٤- مصطفى عبد الحميد العبادى، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

٣٥- ميخائيل روستو فتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادية، الجزء الأول، ترجمة ومراجعة ذكى على، محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٧م.

٣٦- وسام عبد العزيز فرج، «أضواء على مجتمع القسطنطينية - دراسة فى التاريخ الاجتماعى لمدينة قسطنطين حتى نهاية القرن الحادى عشر» دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٠.

٣٧- ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى من المجلد الثالث، قيصر والمسيح والحضارة الرومانية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣.

٣- مراجع ودوريات علمية أجنبية:

1- Armstrong Hilary. J. H. s., Vol XCIII. 1973.

2- Bagnall Roger S. and Rathbone Dominic W., Egypt From Alexander to The Copts, An Archaeological and Historical Guide, The British Museum Comp. Ltd, 2004.

3- Balsdon J.P.V.D., "Sulla Felix" J.R.S., 41, 1951

4- Bang Martin, "Expansion of The Teutons to A D 378' in Cambridge Medieval History. vol 1. Cambridge. 1975.

5- Barrow R. H., The Romans. Great Britain. 1975.

6- Baynes Norman H Deac of the Western Power and its Causes. in Universal History of the World. ed by J A. Hammerton. Vol.4.

7- Bradley H.. The Goths. 5th ed , London, 1887.

8- Birley. Marcus Aurelius. Eyre and Spottiswood. London. 1966.

9- Bury J. B.. History of the Late Roman Empire 2. vols. London. 1923.

- ...., A History of the Roman empire From its Foundation to The Death of Marcus Aurelius 27 B.C. - 180 A.D.. London. 1930.

10- Cameron Averil, the Later Roman Empire, 284 - 430 A.D., Fontana Press, London, 1993.

11- Cantor Norman E., Medieval History, The life and Death of a civilization, 2nd ed., U.S.A. 1969.

12- Cary M. and Scullard H.H., A History of Rome, 3rd ed, London, 1975,

13- Cary M. and Wilson John, A Shorter History of Rome, London, 1963.

14- Chadwick H.. the Early Church, London, 1967.

15- Charles Worth M.P., The Roman Empire, Great Britain, 1961.

16- Chilver G.E.G., "Historia", 1950.

17- Collinet P., Etudes Sur Le droit de Justinien, T.I, 1912, "Le Caractere de l'oeuvre de Justinien".

18- Deanesly Margaret. A History of Early Medieval Europe From 476 to 911, London, 1960.

19- Church A.J. and Brodribbe J., The Complete Works of Tacitus, N.T., 1942.

20- De Burgh W., The Legacy of The Ancient World, Middlesex, 1953., 2 vols.

21- Dill S., Roman society in The Last Century of Western Empire, London, 1925.

22- ...., Roman Society in Gaul in the Merovingian Age, U.S.A.. 1966.

23- Gibbon Edward, Decline and Fall of The Roman Empire, 4 vols, 1901.

24- Grant M., The World of Rome, London, 1960.

25- ...., The Antonines, Rout ledge, London, 1996.

26- Gregory of Tours, The History of the Franks, Trans. by Dallon O.M., Oxford,, 1927.

27- Hands A.r., Charities and Social Aid in Greece and Rome, Thames and Hudson, London, 1968.

28- Hammond M., The Augustan Principate, London, 1933.

29- Henderson B.W., Five Emperors, London, 1927.

30- Hodgkin Thomas, Italy and Her Invaders, Oxford, 2 vols.

31- Huntigton Ellsworth, "Climate Change and Agriculture Exhaustion as elements in the Fall of Rome" Guarterly Journal of Economics, 1916.

32- Innes Millar, the Spice Trade of, the Roman Empire 29 B.C. To 641 A.D. Oxford The Clarendon Press, 1969.

33- Jaroslav Cerny, Ancient Egyptian Religion, 1952.

34- Jones A.H.M., The Decline of the Ancient World, London 1967.

35- Katz Solomon, The Decline of Rome and The Rise of the Medieval Europe, N,Y., 1955.

36- Kent J.P.C. and Painter K.S., Wealth of the Roman World, Gold and Silver A.D. 300-700, British Museum 1077.

37- Levick Barbara, The Government of the Roman Tmpire, Croom Helm. London, 1985.

38- Lindsay, T.M., "The Triumph of Christianity" In Cambridge Medieval History, Vol 1.

39- Lot F., Les Invasions Germaniques, Paris, 1935.

40- ...., La Fin du monde Antique, Paris, 1951.

41- Laistner, M.L.W., Thought and Letters in Western Europe A.D. 500 to 900, London, 1957.

42- ...., The End of the Ancient World and The Beginings of the Middle Ages, London, 1931.

43- Manitius M., "The Teutonic Migrations 378-421" in Camb. Med. Hist., vol 1, Cambridge, 1975.

44- March F. B., The Founding of the Roman Empire, London, 1931.

45- Momgliano A., J.R.S., 1944.

46- Neil S., A History of Christian Missions, London, 1964.

47- Painter S., A History of the Middle Ages 248-1500, London, 1971.

48- Parker H.M.D., A History of the Roman World, London, 1971

49- Pirenne H., A History of Europe From The Invasions to the XVI Century, Trans . By Bernard Miall from French, London, 1961.

50- Robinson Cyril, A History of Europe: Ancient and Medieval, U.S.A., 1920.

51- Rostovetzeff. M., Economic and Social History of the Roman Empire 2vols, London, 1957.

52- Runciman Steven, Byzantine civilization, Methuen and Co. Ltd, London, 1975.

53- Salmon E. T., A History of the Roman World 30 Bic. To 138 a. D., Great Britain, 1974.

54- Simkhovitch G., "Rome's Fall reconsidered, Journal of Political Science, 1916.

55- Sinningn William g. and Boak E.R., A History of Rome to A. D. 565. 6th ed,m U.S.A. 1977.

56- Starr C. G., The Roman Imperial Navy, London, 2nd ed., 1960

57- Stien Peter, Roman Law in European History, Cambridge Uni versity Press, 1999.

58- Strayer J. and Munro D., The Middle Ages, 395-1500, N Y 1942.

59- Tacitus, A Treatise on The Situation, Manners and Inhabitants of Germany, U.S.A., 1977.

60- Talbot Rice Tamara, Byzantium, London, 1969.

61- Thompson J.W., History of the Middle Ages 300-1500, London, 1931 Bridged ed., Oxford, 1962.

62- Voget joseph, The Decline of Rome, English ed., London, Weidenfied and Nicolson.

63- Walbank F.W., The Awful Revolution the Decline of The Roman Empire in The West, Liverpool Univ. Press, 1969.

64- Wellesley Kenneth, The Year of The Four Emperors, Routledge, London, 2000.

65- Westerman W., "The Decline of Ancient Cultures", The American Historical Review, 1915.